الحركات الإصلاحية الإسلامية في كيرالا بالتركيز على فكر وكتابات الشيخ محمد رشيد رضا

أطروحة جامعية قدمت إلى جامعة جواهرلال نهرو

لنيل

شهادة الدكتوراه

الباحث

جعفر.ام

تحت إشراف

أ. د. رضوان الرحمن

مركز الدراسات العربية والأفريقية
مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة
جامعة جواهرلال نهرو
نيو دلهي - 110067

2019

مركز الدراسات العربية والإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi - 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax : 91-11-2671 7525

DECLARATION

I declare that the thesis entitled **"Islamic Reformative Movements in Kerala: with Special Focus on the Thoughts and Writings of Sheikh Muhammad Rasheed Rida"** submitted by me is in the partial fulfilment of the requirements of the award of the degree of **Doctor of Philosophy** of this University. The thesis has not been submitted for any other degree of this University or of any other Universities and is my own work.

JAFAR.M
(Research Scholar)

Prof. A Basheer Ahmad Jamali
(Chairperson)

Chairperson
Centre for Arabic and African Studies
SLL&CS, Annex Building
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

Prof. Rizwanur Rahman
(Supervisor)

Centre of Arabic & African Studies
SLL & CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

شكر وتقدير

أحمدك اللهم حمداً معترفاً بجليل نعمتك، وأذكرك وأشكرك، وأثني عليك ثناءاً عاطراً. وأصلّي وأسلّم على أشرف أنبيائك وصفوة خلائقك سيدنا محمد صلعم وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذه محاولة متواضعة لإلقاء الضوء على الحركات الإصلاحية الإسلامية في كيرالا بالتركيز على فكر وكتابات الشيخ محمد رشيد رضا. وقد بذلت جهودي في هذا السبيل. وساعدني في دراستي أساتذتي وزملائي وأصدقائي. فأدين لهم بالشكر والدعاء.

أشكر أولاً مشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور رضوان الرحمن، وهو مصدر خير وكرم، ومحب العلم والمعرفة، منبع توجيه وإرشاد، فأحسن إشرافه بإرشاداته القيمة التي دفعتني إلى الأمام كلما توقفت بقلة معرفتي وتجربتي، ولقد ترك في نفسي أثراً لا يمحى، أنا مدين له بالشكر والتقدير والدعاء لتعاونه العظيم ولجميع ما بذل من جهوده بإعادة نظره الدقيق في أطروحتي. كافأه الله بمزيد من الخير والنعم.

لن أنسى عمّي الذي كان ولايزال وسيزال مرشدي في حياتي وزوّدني بمساعدة مالية ومعنوية لدراستي. أسأل الله أن يجزئه جزاءاً يوافي خيره وإحسانه.

وأمتد بالشكر إلى أساتذتي بمن فيهم أستاذي ومشرفي الأول الأستاذ سيد إحسان الرحمن والأستاذ بشير أحمد جمالي والأستاذ محمد أسلم إصلاحي والأستاذ فيضان الله الفاروقي والأستاذ مجيب الرحمن وغيرهم. ولا يوفى حق هذه الأطروحة لو امتنعت عن تقديم الشكر والإمتنان إلى موظفي مكتبة جامعة جواهرلال نهرو ومكتبة جامعة الملية الإسلامية ومكتبة ندوة العلماء ومكتبة الكلية الفاروق وأصدقائي فيها لما زوّدوني بالمصادر والمراجع.

وأتذكر الآن مع الشكر الجزيل أعضاء أهلي الحنون وأقربائي الأحباء الذين حفزوني على الدراسة ووهبوا لي المعاونة طول حياتي.

أشكر شكراً جزيلاً من أعماق قلبي لجميع أساتذتي الكرام لإرشادهم ولإقتراحهم وأنهم أضافوا في علمي ومعرفتي.

وأنتهز هذه الفرصة لأشكر جميع أصدقائي يقومون بمساعدتي كلما أحتاج إليها، وخاصة الدكتور علي نوفل والدكتور أختر عالم والدكتور محمد طارق الندوي ومحمد فواس وجليس اللذين قاموا بتصحيح أطروحتي وتنوير وزبير وفيصل وشفيق وشكيب ومبارك وستيش ....إلخ. فجزاهم الله أحسن الجزاء.

نسأل الله أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه، وبه وحده التوفيق.

جعفر بن محمد علي

المحتويات

المقدمة 1

الباب الأول:– الخلفية السياسية الاجتماعية والثقافية لمسلمي ولاية كيرالا قبل 1882م

الفصل الأول: نبذة عن مليبار وولاية كيرالا 13

الفصل الثاني: وصول الإسلام إلى ولاية كيرالا 21

الفصل الثالث: مملكة أركل بكانور..... 29

الفصل الرابع: قدوم البرتغاليين وبداية المشكلات 35

الفصل الخامس: المعركة ضد البرتغاليين 41

الباب الثاني: أفكار الشيخ محمد رشيد رضا ومناهجه في حركة الإصلاح والنهضة

الفصل الأول: تاريخ موجز لحياة الشيخ محمد رشيد رضا 46

الفصل الثاني: شيوخ الشيخ محمد رشيد رضا..... 54

الفصل الثالث: آثار الشيخ محمد رشيد رضا..... 61

الفصل الرابع: منهج الشيخ رشيد رضا في حركة الإصلاح والنهضة .. 67

الفصل الخامس: أقسام التربية عند الشيخ رشيد رضا..... 74

الفصل السادس: الفكر السياسي عند الشيخ رشيد رضا 78

الباب الثالث: المنظمات الإسلامية في ولاية كيرالا وتأثيرهم على المجتمع الإسلامي

الفصل الأول: جمعية العلماء لعموم ولاية كيرالا..... 102

الفصل الثاني: دور " ساماستا" في نهضة المسلمين..... 109

الفصل الثالث: المنظمات الفرعية ل" ساماستا"..... 120

الفصل الرابع: المخاصمة ونشأة جمعية العلماء السنية 131

الفصل الخامس: الجماعة الإسلامية ومنظمات أخرى..... 137

الباب الرابع: مساهمات الشيخ رشيد رضا إلى الحركات الإصلاحية الإسلامية في كيرالا

الفصل الأول: أبرز زعماء الحركة الإصلاحية في ولاية كيرالا..... 142

الفصل الثاني: تأثير فكر وكتابات الشيخ رشيد رضا على المنظمات... 163

الفصل الثالث: الحركات الإصلاحية في ولاية كيرالا 174

الفصل الرابع: مساهمات الشيخ رشيد رضا في الحركات الإصلاحية . 184

الفصل الخامس: تأثير الحركات الإصلاحية على مسلمي ولاية كيرالا. 195

الخاتمة:..... 202

المصادر والمراجع 208

المقدمة

كانت سواحل كيرالا في علاقة تجارية وثقافية قبل زمن النبي صلى الله عليه وسلم بقرون، كما تشير إليه الكتب التاريخية. وبعض العرب لما زاروا بلاد مليبار، ورأوا جمال منظرها وما فيها من زروع وثمار وأشياء غالية مثل التوابل وغيرها، قالوا: إن هذه البلاد مملوءة بخير من الله. فسموها 'خير الله'. ثم تدرجت إليه التحريفات في ألسن الناطقين به، حتى صار كيرالا.

ولما بزغ نور الإسلام في أفق مكة المكرمة قد وصلت أشعته إلى بلاد الهند. فالتجار العرب المسلمون الذين كانوا على صلة وثيقة بالهند وأبنائها أرشدوا إخوانهم العرب إلى شاطىء كيرالا، فانتشر فيها الإسلام بواسطتهم انتشارا عظيما.

والإسلام الذي نشره العرب كان خالصا وسالما من شوائب الشرك والبدع والخرافات. ولكن طال على مسلمي كيرالا الأمد، حتى تسربت إليهم البدع والخرافات. ومع ذلك كان فيهم في كل زمن طائفة ظاهرين على الحق، هم كلما يصلحون ما أفسده الناس من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالرغم من أن البدعيين كانوا يؤذونهم أشد الأذى، وينكلون بهم أشد التنكيل.

القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين كان من أفسد العصور بالنسبة إلى مسلمي كيرالا. لأنهم كانوا في الحضيض الأسفل علميا ودينيا وثقافيا حيث كان العلماء يحرمون تعلم العلوم العصرية واللغة الإنجليزية، ويحرمون على المرأة تعلم الكتابة في أية لغة حتى العربية، زاعمين أنه يفضي إلى فساد كبير. فكان الجهل الفاحش منتشرا فيهم، واستولت عليهم البدع والخرافات والتقليد الأعمى في أصول الدين وفروعها. وكانوا يعتبرون الاجتهاد على أساس القرآن والسنة للأحكام الشرعية محظورا عندهم، ولم يكن يعدونهما دليلا لها، وإنما كانوا يتمسكون بما كتبها الفقهاء فقط.

وفي ذلك العصر كان أعمال المبشرين المسيحيين شديدا ونظاميا وهجأوا ا لإسلام بكتيبات. وكانوا يخطبون ضد الإسلام والرسول في الطرق والأسواق. فنهض رائد النهضة الإسلامية والحركة التجديدية والإصلاحية بكيرالا، السيد ثناء الله المقدي (1263 هـ/ 1847 م – 1330 هـ/ 1912 م) ضد هذا الموقف. وهو الذي ذاع صيته خلال مقالاته وكتبه. وهو أول مسلم ألف الكتاب في لغة ملايالام. بدأ المقدي وظيفته الرسمية كموظف حكومي. فترك المقدي هذه الوظيفة للمكافحة ضد التبشير المسيحي. وألف الكتب وطبعها ونشرها بين الناس، إنه كان واعظا نشيطا وخطيبا مصقعا.

شعر ثناء الله المقدي بالحاجة إلى رفع حالة المجتمع الإسلامي فسافر وحيدا من جنوب كيرالا إلى شمالها حتى ألقى الخطبات وقام بنشر الكتب والكتيبات لهذا الغرض النبيل. وبذل جهوده في سبيل نشر التعليم والثقافة الإسلامية بين المسلمين بطريقة جديدة. وإنه كان يسعى وحيدا لهذا الغرض بدون أية مساعدة من الجماعات والفرق. وبالرغم من أن البدعيين والمسيحيين كانوا يؤذونه أشد الأذى، وينكلون به أشد التنكيل، كما استهزأه المسلمون وأصدر بعض العلماء المقلدين الفتوى بأنه كافر بسبب أعماله الإصلاحية والتعليمية.

حاول المقدي لتوضيح أوهام الناس عن الإسلام والرسول ولذا لقب السيد ثناء الله المقدي برائد النهضة الإسلامية في كيرالا. قد ألف سيد المقدي زهاء 40 كتابا صغيرة وكبيرة في لغة ملايالام لهذا الغرض. كتابه الأول باسم "كدورا كودارام" (Kadora Kudaram) نشر في سنة 1302هـ/ 1884 م، انتقد فيه من اعتقاد المسيحيين بثالث ثلاثة. وألف أيضا 12 كتابا في لغة "عربي

ملايالام"[1] لعامة المسلمين الذين لم يكن عندهم مهارة القراءة في لغة ملايالام بالإضافة إلى مقالاته وكتيباته حول مواضيع مختلفة.

السيد ثناء الله المقدي هو كان أول مسلم بدأ اصدار جريدة يومية في ولاية كيرالا باسم "تركي سماجارم" (Turki samacharam). ثم أصدر مجلة "بروباكاري" (Paropakaari) سنة 1303 هـ/ 1885 م. ومجلة "ساتيا براكاشام" (Sathya prakasham) في اللغة الملايالام سنة 1306 هـ/ 1888 م. أنشأ لهذا الغرض مطبعة باسم "طباعة محمدية" سنة 1308 هـ/ 1890 م.

قام السيد ثناء الله المقدي بتشكيل أول جمعية في سنة 1307 هـ/ 1889 م باسم "اللجنة المحمدية" في محافظة كانور (Kannur) بولاية كيرالا. ودعا إلى التعليم المفاهيم العصرية في الموضوعات الإسلامية. وشجع الناس على تدريس اللغات المتنوعة إذ كان تعلمها محرما بين المسلمين آنذاك.

والشيخ وكام (Vakkam) محمد عبد القادر مولوي (1290 هـ/ 1873 م – 1351 هـ/ 1932م)، المشهور بوكام مولوي، الذي بذل جهده للتجديد والإصلاح في كل مجال التي تتعلق بحياة الإنسان. وكان نهوض وكام مولوي في مجال الإصلاح يأتي تابعا لخطوات السيد ثناء الله المقدي ورشيد رضا.

أدرك وكام مولوي ان من واجبه أن يسوق المسلمين في مجل التعليم حتى يرشدهم إلى الصواب والثقافة الإسلامية الصحيحة بدلا من التقاليد الباطلة. وإنه شق له طريقة صريحة، وبيّن كيف يعيش الإنسان متدينا ومثقفا ومواطنا ومصلحا ومخلصا ونشيطا في توحيد آراء أهالي كيرالا بدون الخصومات الدينية مع التعايش الودي والتراحمي الإجتماعي.

[1] هي اللغة الملايالامية المكتوبة بالأبجدية العربية.

وفي عصر الشيخ وكام محمد عبد القادر مولوي كان أولاد المسلمين لا يلتحقون بالمدارس العامة أو الحكومية. وإنه هو الذي حاول أولا أن يجعل مسلمي كيرالا مثقفين بالعلوم الحديثة. تناول وكام مولوي الصحافة طريقة تناسب هذا الغرض حتى تحمس إلى إنشاء الجرائد والدوريات في كيرالا واشترى مطبعة من إنجلترا عام 1322 هـ/ 1904 م. صحيفته Swadeshabhimani بدأت تصدر عام 1323 هـ/ 1905 م. وكانت هذه الصحيفة هي أولى من نوعها في كيرالا تتعاون مع صحيفة رويتر (Reuter)، أبرز وكالات الأنباء الدولية في تلك الأيام، على تزويدها بالأخبار الدولية.

وفي عام 1324هـ/1906م أصدر صحيفة في الملايالام باسم "المسلم". ولما علم أن رسالاته التقدمية لا تصل إلى مسلمي مليبار لأنهم كانوا لا يستطيعون قراءة لغة ملايالام فأصدر صحيفة بارزة أخرى في "عربي ملايالام" باسم "الإسلام". ثم في أواخر حياته بدأ صحيفة "ديبكا" (Deepika) سنة 1350هـ/1931م.

تأثر وكام مولوي برشيد رضا ونظرياته وكان لوكام مولوي علاقة وطيدة معه. كان وكام مولوي من قراء مجلة "المنار" الذي كان يصدرها الشيخ رشيد رضا من مصر. والتواصل الطويل بين رشيد رضا ووكام مولوي كان دليلا واضحا لهذه العلاقة الحارة. ترجم وكام مولوي مقالات نشرت في مجلة المنار إلى لغة مالايالم وأصدرها في مجلته.

بذل وكام مولوي مجهودته لإضافة اللغة العربية إلى مناهج المدارس العامة ودوراتها في ولاية كيرالا، رفع وكام مولوي عددا من الطلبات إلى البرلمان، وأخيرا وافقت الحكومة بتروونكور (Travancore) بإضافتها في المنهج. قامت الحكومة الأولى في كيرالا بتدريس اللغة العربية

ونشرها إلى جميع أحائها في مراحلها المختلفة. والفضل لذلك يرجع إلى وكام مولوي في ترويج دراسات اللغة العربية في مختلف أنحاء كيرالا خاصة في القطاع العام.

ومن الشخصيات البارزة في مجال الحركات الإصلاحية الإسلامية هو الشيخ جاليلاكات كنج أحمد الحاج (Cahlilakath Kunj Ahamd Haji) (1283 هـ/ 1866 م – 1338 هـ/ 1919 م). وهو كان من روّاد الحركة الإصلاحية في كيرالا. وكان معاصرا لوكام محمد عبد القادر مولوي. وإنه قد تأثر بأفكار تجديدية لثناء الله المقدي والسيد الماهن الهمداني ومحمد رشيد رضا.

أدخل الشيخ جاليلاكات كنج أحمد الحاج التجديد في التعليم الدينية كما شجع المسلمين إلى تجديد مناهج الدارسات الدينية وتدريس اللغة العربية. إنه قد حرض الطلاب الدينية على تعلم لغة ملايالام بدلا من العربي ملايالام. وأنشأ منهجا حديثا لدراسة العلوم الدينية واللغة العربية، أضاف العلوم العصرية إلى المنهج. وقسم الطلاب حسب مستوى معرفتهم وقدراتهم. استخدم الشيخ الطباشير والسبورة والطاولة والمقعد في قاعات تدريس العلوم الدينية كما كانت تستخدم في المدارس الحكومية حينئذ. قد جعل الشيخ مدرسته مفتوحا للبنين والبنات. وكانت هي من الخطوات الجريئة التي ارتفعت بها مستوى المعاهد الدينية في أنحاء كيرالا.

والسيد محمد ماهين الهمداني له أثر كبير في ترقية الأمة المسلمة وتقدمها في ولاية كيرالا. قد ركز السيد الهمداني في حل مقتضيات الأمة المسلمة حتى قام بتطبيق التسهيلات العصرية الحديثة في مجال التعليم. أسس الهمداني جمعية باسم "محضرة كوشن" ودعا الناس إلى المحاضرة. وأنشأ منظمة في أزيكود (Azheekod) باسم "اللجنة الهمدانية" و"جمعية لجنة الإسلام" في أيرياد (Eriyad). وأنشأ طريقة تنسب إليه "الطريقة الهمدانية" مشتملة على الأذكار

والأدعية والمندوبات الواردة في القرآن الكريم والسنة النبي حتى يباعد الناس من التقاليد الخاطئة. وإنه ألف كتابا لنشر أفكاره في عنوان "عرفة الإسلام".

فكّر العلماء والزعماء في توحيد كلمة مسلميها في منطقة كودونغالور (Kodungallur)، أول منطقة دخل فيها الإسلام من مناطق كيرالا، فرأوا في تشكيل جمعية خيرية، وقاموا بتأسيس جمعية محلية في سنة 1340 هـ/ 1921 م وسموها "جمعية الإنصاف بين المسلمين". كانت هذه الجمعية نقطة التحول في تاريخ الجمعيات الإصلاحية والتجديدية. فصارت أنشطتها أنفع وأجدى مما كانوا يتوقعون بها. فشكلوا عام 1341 هـ/ 1922 م جمعية لعموم كيرالا سموها "جمعية اتحاد المسلمين بكيرالا" بأهداف الدعوة إلى الله وإلى التمسك بالقرآن والسنة، وتعليم المسلمين ورفع مستواهم علميا وثقافيا واجتماعيا، وتوحيد كلمتهم وغيرها.

ولما ألغيت "جمعية الإنصاف بين المسلمين" فيما بعد أن أحس زعماؤها بضرورة تشكيل جمعية خاصة لعلماء كيرالا فقاموا بتشكيل "جمعية العلماء بكيرالا" عام 1341 هـ/ 1922 م. وكانت أنشطة هذه الجمعية قيمة جليلة وفريدة. ولم تزل جمعية العلماء وجمعية اتحاد المسلمين تتعاونان بينهما، وكان زعماؤهما من طائفة واحدة وأصحاب الرأي فلم يروا حاجة إلى وجود طائفتين التبليغ، فبعد سنين ألغيت جمعية اتحاد المسلمين أيضا.

ولما اتسعت نطاق جمعية العلماء، تأثر بها جم غفير من غير العلماء من مسلمي كيرالا نتيجة لدعواتهم الإصلاحية. فشكلوا منظمة يمكن أن ينتمي إليها كل من تأثر بالدعوة عالما كان أو غيره، فلهذا الغرض أسست عام 1370 هـ/ 1950 م "ندوة المجاهدين بكيرالا". ثم تشكلت جمعية للشبان باسم "اتحاد الشبان المجاهدين" سنة 1387 هـ/ 1967 م، وجمعية للبنات والنساء

باسم "حركة الطلبة المجاهدين بكيرالا" سنة 1392 هـ/ 1972 م وتشكلت جمعية للنساء والبنات باسم "حركة البنات والسيدات المسلمات" سنة 1403 هـ/ 1982 م.

تأثر روّاد الحركات الإصلاحية في كيرالا بأفكار رشيد رضا حيث إنهم كانوا من قراء مجلاته وكتبه. نرى هذا التأثير بكامله في أعمال وكام مولوي، وإنه كان على علاقة وطيدة برشيد رضا، وكان من قراء مجلة المنار، والتواصل الطويل بينهما كان دليلا واضحا لهذه العلاقة الجادة والوثيقة.

والشيخ محمد رشيد رضا (1282 هـ/ 1865 م – 1354 هـ/ 1935 م) كان العالم الكبير والزعيم الإصلاحي ومنشئ مجلة المنار المشهور. وله فضل كبير على العالم الإسلامي، ويعود ذلك إلى كونه من الدعاة النادرين الذين قاموا بنشر المنهج الإصلاحي والتجديدي في سائر أنحاء العالم بوساطة كتبه ومجلته المنار. كانت مجلة المنار مرجعا من المراجع الإسلامية العالية. وفي مجال الدين والأخلاق حارب رشيد رضا البدع والخرافات ونشر الوعي بكتاب الله وسنة رسول الله.

كان الشيخ محمد رشيد رضا عامرا بالحركة والنشاط والعمل، وشاركا بنشاطاته في الجمعيات والهيئات الإسلامية. اشتغل بالسياسة وقضايا العروبة والإسلام فضلا عن الصحافة، كما فرغ لتفسير القرآن وطبع منه إثني عشر مجلدا، فترك أثرا لا يمحى في حياة جيله والأجيال التي أعقبته.

يعد رشيد رضا مفكرا ومصلحا تربويا واجتماعيا، وسياسيا كبيرا، له وزنه فى الأمة الإسلامية والعربية، فهو من زعماء حركة الإصلاح والتجديد فى الفكر الإسلامي الحديث ومن الذين يمثلون تاريخ الأمة فى حقبة من أهم فترتها، ومن الذين يرون ضرورة اتباع مناهج وآراء جديدة ملائمة

للعصر، تعتنى بنهوض العلوم الإسلامية وبالأمة بوجه علم، فقد كان لرشيد رضا أسلوب متميز فى التفكير، وقدرة فائقة على اسقراء مناهج الأقدمين وآرائهم، ثم تمحيصها وتدقيقها ونقدها إن لزم الأمر.

تأثر سكان كيرالا بفكره وكتاباته التي قاموا بترجمتها الزعماء الإصلاحيون كما نشرت في مجلاتهم المختلفة. أنفذ العلماء نشاطاتهم الإصلاحية والتجديدية متأثرين بكتابات رشيد رضا وأعماله. وأنشأوا منظمات في مناطق مختلفة في ولاية كيرالا.

فهذا البحث يقوم بتحليل مساهمات الشيخ رشيد رضا في مجال الدعوة الإسلامية.

تساؤلات البحث: إن اختيار هذا الموضوع لبحث في أطروحة دكتوراه، إنما كان نتيجة تساؤلات فكرية، منها:

- هل كان لرشيد رضا تأثير ملحوظ في الحركات الإصلاحية في كيرالا؟
- إن كان لرشيد رضا تأثير عليها ما هي الوسيطة لهذا التأثير؟
- وما هي الوساطة بينه وبين أهالي كيرالا ؟
- كيف أقبل المسلمون على الأعمال الإصلاحية وزعمائها في ولاية كيرالا؟
- هل للحركات الإصلاحية تأثير على المجتمع الإسلامي في كيرالا؟

أهداف البحث: الأهداف الهامة وراء اختيار هذا الموضوع هو العثور على الإجابة على هذه التساؤلات التي ذكرته أعلاه. ويستهدف هذه الأطروحة البحثية إلى إبراز دور أنشطة الشيخ في الإصلاح ونهضة المجتمع الإسلامي كما يستطلع البحث حول علاقة الشيخ رشيد رضا مع العلماء في كيرالا.

منهج البحث: تتوقف هذه الدراسة على منهج "البحث والتحليل" وفق المنهج المعين واعتمادا على المصادر والمراجع الأصلية في كتابة هذا البحث.

خطة البحث: وقد وزعت هذه الأطروحة على أربعة أبواب رئيسية دون المقدمة والخاتمة. فالباب الأول يشتمل على خمسة فصول. والفصل الأول منه يسلط ضوءا على تاريخ موجز عن مليبار وولاية كيرالا. وصلة المليبار بالأمم القديمة وزيارات السياح والرحال إلى مليبار. والفصل الثاني يتحدث عن وصول الإسلام إلى كيرالا وكيفية انتشاره في منطقة كيرالا ووصول الأديان الأخرى. والفصل الثالث يبين عن مملكة "أركل" بكانور في ولاية كيرالا . هذه كانت مملكة وحيدة مسلمة في ولاية كيرالا. الفصل الرابع يوضح فيه عن قدوم البرتغاليين وبداية المشكلات. تناولت في الفصل الخامس المعركة ضد البرتغاليين التي لها تأثير عميقة وهي سبب هامة لتخلف المسلمين في ولاية كيرالا.

أما الباب الثاني فيحتوي ستة فصول. والفصل الأول يقدم تاريخا موجزا لحياة محمد رشيد رضا والفصل الثاني يبين عن شيوخ محمد رشيد رضا وعن العلاقة بين محمد رشيد رضا ومحمد عبده. تناولت في الفصل الثالث آثار محمد رشيد رضا في التفسير والتاريخ ومجلاته وما إلى ذلك. الفصل الرابع يوضح منهج محمد رشيد رضا في الإصلاح والنهضة. الفصل الخامس يعالج أقسام التربية عند محمد رشيد رضا. الفصل السادس يناقش الفكر السياسي عند محمد رشيد رضا.

والباب الثالث يشتمل على ستة فصول. والفصل الأول يبين عن "جمعية العلماء لعموم كيرالا" المشهور باسم "ساماستا" (Samastha). والفصل الثاني يتحدث عن دور ساماستا في نهضة المسلمين. تناولت في الفصل الثالث المنظمات الفرعية لساماستا. الفصل الرابع يبين فيه عن نشأة جمعية العلماء السنية. الفصل الخامس يتحدث عن الجماعة الإسلامية وأعمالهم في كيرالا وعن المنظمات الإسلامية الأخرى.

والباب الرابع يتضمن على خمسة فصول. الفصل الأول يلقي الضوء على الحركات الإصلاحية في ولاية كيرالا. الفصل الثاني يبين عن أبرز زعماء الحركة الإصلاحية في ولاية كيرالا. يتحدث الباحث في الفصل الثالث عن تأثير كتابات محمد رشيد رضا وفكره على المنظمات الإسلامية. الفصل الرابع يبين فيه عن مساهمات محمد رشيد رضا في الحركات الإصلاحية الإسلامية. الفصل الأخير يوضح تأثير الحركات الإصلاحية على مسلمي كيرالا.

وتأتي في الأخير الخاتمة فيها سجلت النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

أقدم هذا البحث إلى كل من يهتم بالعلم. لا أدعي أني أستوفيت شروط البحث والدراسة، ولا أزعم أن هذه الدراسة شاملة من حيث المضمون، ولكنه هذه محاولة متواضعة لدراسة عن الحركات الإصلاحية الإسلامية وتأثير محمد رشيد رضا فيها. فأقدم بحثي طالبا العفو والصفح عن الأخطاء والهنات وداعيا تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل مفيدا ونافعا لكل المهتمين.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل نافعا ومفيدا لحسن المسير إليه.

الباب الأول

الخلفية السياسية الاجتماعية والثقافية لمسلمي ولاية كيرالا قبل 1882 م

الفصل الأول: نبذة عن مليبار وولاية كيرالا

الفصل الثاني: وصول الإسلام إلى ولاية كيرالا

الفصل الثالث: مملكة أركل بكانور

الفصل الرابع: قدوم البرتغاليين وبداية المشكلات

الفصل الخامس: المعركة ضد البرتغاليين

الفصل الأول

نبذة عن مليبار وولاية كيرالا

بلاد كيرالا إحدى ولايات الهند، على بحر العرب في الجهة الجنوبية، وتتميز عن ولايات أخرى بموقعها الجغرافي ومكانتها المرموقة في التاريخ. أغلبية أهل كيرالا هم الهنادكة ثم المسلمون والمسيحيون، ويوجد أيضا اليهود وأصحاب بوذا وجينا وغيرهم. وكل منهم مع اختلاف الدين يختلطون فيما بينهم في حياتهم الاجتماعية ويعيشون مع الود والأخوة. وبذلك صارت ثقافة كيرالا ولغتها ممزوجة ومتراكمة من ثقافات شتى وتقاليد متنوعة.

اشتهر بلاد كيرالا بين العرب والتجار بمَلَبَارْ ومَلَيْبَارْ منذ القدم. يقول عبد الغفور عبد الله القاسمي:

"ويسمى التامليون بلاد مَتُورَا "وبَانْدَا" بمَلاَيْ نَادْ ومَلاَنَادْ ومعناه بلدة الجبل – ومن هذا الاسم أخذ العرب والفرنس لفظ مليبار. ان إدريس، العالم الجغرافي، هو أول من استعمل في كتابه اسم ملبار لهذه البلدة. وبعد ذلك استعمله ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان. والمؤرخ أبو الفداء في كتابه تقويم البلدان. ويعرف عند العرب باسم بلاد الفلفل أيضا".[2]

وهناك آراء كثيرة في اشتقاق اسم كيرالا، وأهمها سمى الرحل العرب بخيرالا – أي خير الله – حامدا لله في حسنها الطبيعية ورغادتها. وبعض العرب لما زاروا بلاد مليبار، ورأوا جمال منظرها وما فيها من زروع وثمار وأشياء غالية مثل التوابل وغيرها، قالوا: إن هذه البلاد مملوءة

[2] عبد الغفور عبد الله القاسمي: المسلمون في كيرالا، ص 33.

بخير من الله. فسموها 'خير الله'. ثم تدرجت إليه التحريفات في ألسن الناطقين به، حتى صار اسمه كيرالا.

صلة المليبار بالأمم القديمة

شهدت ولاية كيرالا من حيث موقعها على شاطىء بحر العرب مواصلات تجارية لا تحصى ولا تقدر من أقطار مختلفة مثل جزيرة العرب واليونان والروم وما إلى ذلك حسب التقارير التاريخية، ومما يدل على قدم العلاقات بين العرب والهند خاصة على كيرالا ما يحكيه الإنجيل من أن السفن التجارية كانت تصل إلى 'أُوفِيرَا' مرة في كل ثلاث سنوات في عهد نبي الله سليمان عليه السلام. وتحمل من هنا الذهب والفضة والمجوهرات والعاج والقردة والطاؤوس وغيرها. وقد أثبت المؤرخون الهنديون ومن طليعتهم الدكتور تارا شاند:

"أن 'أوفيرا' المذكور في التوراة إنما هي بِيفُورْ (Beypore) القريبة من مدينة كاليكوت في جنوب الهند"[3].

وتتابعت هذه التجارة بيد الفينيقيين واليونانيين والصابئين وأهل مصر ثم انقضت بأيدى العرب. "فمراكبهم الكبيرة كانت تجلب المنتجات الهندية وتسير إلى يونان والروم والصين وسيلان بطريق المعبر بجنوب الهند".[4] لأنها بعض النتائج الزراعية ومحصولاتها وبعض الحيوانات الجميلة مخصصة ومنحصرة في الهند حتى قال صاحب كتاب البلدان:

"إن الله خصص أرض الهند والسند بجميع الروائح العطرية والجواهر وكذلك الكركدن والفيل والطاؤوس والعود والعنب والقرنفل، والصندل وخشب الساج والفلفل الأسود".[5]

---

[3] الدكتور تاراشند: تأثير الإسلام في الثقافة الهندية (الإنجليزية)، ص 38.

[4] نفس المرجع، ص 3.

[5] عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص 14.

والفلفل الأسود ورد اسمه في كتاب الطب القديم كما ذكر امرؤ القيس في معلقته المشهورة حيث يقول:

ترى بعر الارام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل

والعنترة العبسي يستعملها حين يمدح ويفتخر نفسه بأن يقول:

انا ابن سوداء الجبين كانها نئب ترعرع في نواحي المنزل

الساق منها مثل ساق نعامة والشعر منها مثل حب الفلفل

ولكيرالا صلة تجارية أيضا مع الفرنسا واليونان والرومان والصين. وكانت لها علاقة وطيدة مع البطالمة[6]، ترجع بذور صلتها إلى النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد، تدل على صلة البطالمة التي كانت قوية ووطيدة استدلالا على نقش تكريسي في الرديسية لرجل يدعي سوفون الهندي يرجع إلى القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد. ويقول محمد سعيد الطريحي:

"ويستدل من بعض الوثائق التاريخية على وصول تجار الروم إلى المليبار في القرن الرابع قبل الميلاد فلما أغار الجنود الجالون على الروم سنة (390 ق. م.) استولوا على أشياء ثمينة وبضائع قيمة، ومن ضمنها الفلفل وكان يعتبر الفلفل والحديد من أهم البضائع المستورة عند الروم".[7]

[6] البطالمة: أسرة ملكية من أصل مقدوني، حكمت مصر بعد الإسكندر الأكبر في الحقبة ما بين 323 – 30 ق.م.

[7] محمد سعيد الطريحي: في تقديمه وتحقيقه وتعليقه لكتاب تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين لزين الدين المخدوم، ص 42.

وأشار المؤرخون إنه كان بين الروم وكيرالا صلة دبلوماسية علاوة على العلاقة التجارة. وأرسل الملوك جولا (Chola) وباندا (Panda) الممثلين إلى الروم.[8] وأذن ملك أغسطس لوفد من الروم– الذين أقاموا في متورا (Maturai)– لطباعة العملات إذا لم يكفي العملات التي أرسلت من الروم. وكان الرومان يتولون زمام التجارة في مليبار إلى سنة 230 م حيث انهارت زعامتهم في التجارة العالمية بسقوط مدينة الإسكندرية.

وتوجد العلاقة التجارية مع الصين أيضا. "وتوجد في بعض الوثائق أن سفير الامبراطور الصيني وصل إلى ساحل كيرالا في القرن الأول لشراء الفلفل".[9] ومن الدليل لعلاقة مع الصين اسماء الآلات التي شاعت في كيرالا مثل 'شبكة الصيني' و'قدر الصيني' وغيرهما. وقال ابن بطوطة إنه رأى الصيني في ميناء كُولَمْ (Koyilandi–Quilon):

"ثم سافرنا منها إلى مدينة قاليقوط (كاليكوت)، وهي إحدى البنادر العظام ببلاد المليبار يقصدها أهل الصين والجاوة وسيلان والمهل وأهل اليمن وفارس ويجتمع بها تجار الآفاق ومرساها من أعظم مراسي الدنيا، وسلطانها كافر يعرف بالسامري، وأمير التجار بها إبراهيم شاه بندر من أهل البحرين، فاضل ذو مكارم يجتمع إليه التجار ويأكلون في سماطه، وقاضيها فخر الدين عثمان، فاضل كريم، وصاحب الزاوية بها الشيخ شهاب الدين الكازروني نفع الله به، وبهذه المدينة الناخوذة مثقال الشهير الاسم، صاحب الأموال الطائلة والمراكب الكثيرة لتجارته بالهند والصين واليمن وفارس".[10]

وقد زار الرحال الصيني المليبار وكتبوا عنها في مؤلفاتهم:

---

[8] بروفسر أتشوتا واريار: ثقافة كيرالا (الإنجليزية)، ص 18.

[9] عبد الغفور عبد الله القاسمي: لمسلمون في كيرالا، ص 32.

[10] محمد سعيد الطريحي: في تقديمه وتحقيقه وتعليقه لكتاب تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين لزين الدين المخدوم، ص 137.

"وكان بين الصين وجنوب الهند تعلقات تجارية قديمة إلا أن أول وثيقة حصلنا عليها كتاب جوجوكا (Chou–Ju–Kua) الذي صنف سنة 622 هـ/ 1225 م. وفي سنة 750 هـ/ 1349 م أشار السائح الصيني وانكا دايوان (Wang–dayavan) في كتابه إلى بعض أماكن كيرالا مثل كايامكولام (Kayamkulam) وكاليكوت وهيلي ملا (Ezhimala) وغيرها، ولكن ماهوان (Mahuan) الصيني هو الذي كتب أولا عن كوتشي".[11]

وقد ذكر بعض المؤرخين أن التجار الفرس والعرب استقروا في القرن السابع وما بعده بعدد كبير على السواحل الغربية من الهند متفرقين بأماكن مختلفة وتزوجوا النساء المواطنات، وكانت جالياتهم في مليبار خاصة كبيرة هامة.

إن صلة الود والصداقة بين العرب وأهالي مليبار كانت قوية منذ الأزل، وهي تعتبر أقدم الصلات القائمة بين الملياريين وغيرهم من الأمم القديمة. فقد كانت الهند والبلاد العربية على صلة تجارية مستمرة، والملاحة العربية في المياه الهندية كانت معروفة قبل الإسلام بقرون عديدة، حتى إن اللغة العربية قد وصلت إلى شبه القارة الهندية قبل الإسلام بزمن بعيد على يد التجار والملاحين العرب.

وفي العصر القديم كان العرب وسطاء في التجارة بين الهند وبين بلاد الغرب مثل الروم واليونان. وهم يصدرون المنتجات والمحصولات من مليبار إلى سواحل جزيرة العرب، ثم ينقلونها إلى سوريا ومصر. ويشتري الغربيون تلك المحصولات ثم يصدرون إلى بلادهم.

[11] نفس المرجع، ص 27.

وكانت هذه العلاقة توجد منذ عهد نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم وعهد الصحابة ومن بعدهم، ومن دليلها السيف المهند. وقد كان السيف المهند شهيرا عند العرب حتى أن كعب بن زهير شاعر رسول الله يصفه سيفا مهندا حين قال:

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

أما قول بعض المؤرخين بأن السيف الهندي منتسب إلى قرية يسمى بالهند في العراق أو اليمن فهذا غير صحيح. فقد ثبت بالتاريخ أن بعض المناطق في ولاية كيرالا كان صيتها يطير في الآفاق لجودة مصنوعاتها الحديدية، والرحالة الشهير الشريف الإدريسي أشار إلى هذه الحقيقة. "إن الهنديين يحسنون تركيب اخلاط الأدوية التي يسكب بها الحديد واللين فيعود هنديا ينسب إلى الهند وبها دور لضرب السيوف ولا يوجد شيئ من الحديد أمضى من الحديد الهندي".[12] وذهب ملك تتشيرلمان بيرمال (Cheraman Perumal) إلى مكة للقاء النبي صلى الله عليه وسلم. يأتي بيانه من بعد. يحكي عن هذا أبو عبد الله الحاكم في المستدرك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

"أهدى ملك الهند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه قطعة قطعة وأطعمني منها قطعة".[13]

وللعرب دور هام في التجارة الخارجية من كودونغالور كما تشير الأبحاث التاريخية، كانت للمليبار العلاقة التجارية بالعباسيين وخصوصا ببلاد البغداد والبيزنطية والقسطنطينية والمملكة

[12] الإدريسي: وصف الهند وما جاورها من البلاد، (جمعه الدكتور مقبول أحمد)، ص 2.

[13] أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: كتاب الأطعمة، المستدرك على الصحيحين، رقم الحديث 7190.

الرومانية والقرطبة وزنجبار[14] وكمبوديا وسومطرة وغيرها من المملكة والدول الكبير آنذاك.[15] ودامت هذه الروابط على شكل تام ومنهج سوي من عهد قديم إلى أيام فاسكودا غاما (Vasco da Gama) البرتغالي الذي حاول السيطرة على تجارة الهند وممتلكاتها الثمينة عام 904 هـ/ 1498م.

زيارات السياح والرحال إلى مليبار

كانت منطقة مليبار مركز السياح والرحال من شتى أنحاء العالم خاصة من العرب على مر العصور. تجد من مذكراتهم وتقريراتهم البيانات الأصلية عن تاريخ كيرالا وأسلوب حياة الناس وعاداتهم فيها. وقد بينوا فيها عن الزي والزواج والدفن والشهادة وآيُورْوِيدَا (Ayurveda) وغيرها. ومع ذلك يجد في بياناتهم الخطء ولا سيما في بيان المكان والزمان.

ويوجد في كتاب بليني (Pliny) الروماني الذي صنفه 77 م بيانات عن التجارة بين الروم وموسريس[16]. وبعد وصول الإسلام زاد عدد الرحال والتجار العرب إلى مليبار. ومنهم سليمان سنة 237 هـ/ 851 م، وهو تاجر عربي سجل تقرير عن رحلته وعن أحوال كيرالا. وابن خردانبه سنة 236 هـ/ 850 م، وهو رحال عربي بين عن سواحل كيرالا وموانئها، وعلاقتها بين سيلون (Sri Lanka). وابن فقيه سنة 289 هـ/ 902 م، وابن رستا سنة 290 هـ/ 903 م، وأبو زيد سنة 318 هـ/ 930 م، ومسعودي سنة 339 هـ/ 950 م - بين عن تطور التجارة في كيرالا. والبيروني سنة 406 هـ/ 1015 م، هو يعطي بيانا كاملا عن مجتمع الهند ولكن لم يشر

---

[14] زنجبار (زنزبار) اسم يطلق على مجموعة جزر تابعة لتنزانيا في شرق أفريقيا ولكنها تتمتع بسلطة ذاتية واسعة، وتتكون من جزيرتين كبيرتين هما : زنجبار وبمبا.

[15] في كي محمد كنجي: المسلمون وثقافة كيرالا (ملايالام)، ص 67.

[16] هي كودنغالور (Kodungallur) الحديثة تقع في محافظة ترشور (Trissur)، كانت موسريس عاصمة مليبار وميناء مشهورة آنذاك.

شيء من أحوال كيرالا إنه- كما في رأي بعض المؤرخين- لم يسافر إلى جنوب الهند. ياقوت سنة 617 هـ/ 1220 م، والكسميني سنة 669 هـ/ 1270 م، وأبو الفداء 674 هـ/ 1275 م، ورشيد الدين 741 هـ/ 1340 م - وهو يوضح كاملا عن مختلف أماكن كيرالا والهند وحالات الإجتماعية فيهما. وزار ابن بطوطة كيرالا سبع مرات بين 743- 748 هـ/ 1342 - 1347 م. كتابه المسمى "تحفة النظار في غرائب الأمصار" اشتهر "برحلة ابن بطوطة". ويبين فيه عن الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية وطقوس الناس وعاداتهم وأسلوبهم. وأرسل شاه إيران عبد الرزاق إلى كاليكوت سنة 846 هـ/ 1442 م. وهو يوضح في كتابه عن تاريخ ملوك كاليكوت وعن أحوال التجارة فيها. وشرح الإدريسي عن اقتصادية واجتماعية كيرالا رغم انه لم يزر كيرالا.

وفي سنة 691 هـ/ 1292م جاء ماركو بولو (Marco Polo)، الرحال الويبنيسي. ويعطي بيانا عن أماكن كيرالا وعن مشاهدته السفن القادمة من الصين وغيرها. جاء اودوريك (Odoric of Pordenone) سنة 733 هـ/ 1332 م إلى كولام (Quilandy). ونكولو كوندي (Niccolo Da Conti)، الرحال الويبنيسي، زار كولام وكوتشن (Cochin) سنة 844 هـ/ 1440 م. وجاء فرا مورو (Fra Mauro) الرحل الويبنيسي في القرن الخامس عشر. وجاء الرحال الروسي أفاناسي (Nikitin Afanasy) سنة 879 هـ/ 1474 م وكتب عن ميناء كاليكوت والتجارة فيها. ومهنم لودوويك (Ludovico di Varthema) إيطالي، زار معظم أماكن كيرالا بين 908 – 914 هـ/ 1502 -1508 م وكتب موسعا عن أحوالها. وزار بربوسا (Duarte Barbosa) جميع كيرالا في 906 هـ و 922 هـ/ 1500 م و1516 م. وكتب عن عادات وطقوس الهنادكة والمنبوذين. ومنهم البوكارك (Albuquerque) سنة 917 هـ/ 1511 م. وكاستنادا (Castaneda) وبيرلد (Pyrard) الفرنسي وبترو (Petro) الرومي. جاء بالدوس (Baldeus)

ولين شوطن (Lin Shoten) في العصر الهولنديين. ومع وصول البرتغاليين إلى كيرالا كثرت الرحال من الشرق وسجلوا عن رحلتهم. ويظهر في تقريرات الرحال البرتغاليين العداوة للإسلام والمسلمين. ثم كثرت كتابات بعد احتلال الإنجليز.

الفصل الثاني

وصول الإسلام إلى ولاية كيرالا

ولما بزغ نور الإسلام في مكة المكرمة ووصلت أشعته إلى سواحل كيرالا. والتجار العرب المسلمون كانوا يتوافدون إلى سواحل كيرالا بل يقومون في مقدمة التجارة البحرية، فانتشر فيها الإسلام بواسطتهم انتشارا عظيما. يقول زين الدين المخدوم في كتابه تحفة المجاهدين:

"وقد أكرم الله أهل مليبار من الهند بقبول دين الإسلام طائعين راغبين لا راهبين ولا مخزيين. وإن جمعا من المسلمين دخلوا في بنادر مليبار وتوطنوا فيها ودخل أهلها في دين الله يوما فيوما وظهر فيها الإسلام ظهورا بالغا حتى كثر المسلمون فيها وعمر بهم بلدانها مع قلة ظلم رعاتها الكفرة وعدم تعذبهم عن رسومهم القديمة وآتاهم الله رحمة واسعة فغيروا على ذلك زمانا".[17]

وإن أكثر المؤرخين ينسبون دخول الإسلام في المليبار إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم المؤرخ الشهير فرشته[18] وغيره. ويبين صاحب تحفة المجاهدين القصة المشتهرة على مالك بن دينار وتشيرامان بيرومال (Cheraman Perumal):

"إن جمعا من اليهود والنصارى دخلوا بلدة من بلاد مليبار يقال لها كودنغالور (Kodungallur) وهي مسكن ملكها في مركب كبير بعيالهم وأطفالهم وطلبوا منه الأراضي البساتين والبيوت وتوطنوا فيها وبعد ذلك وصل إليها جماعة من الفقراء المسلمين معهم شيخ قاصدين زيارة قدم أبينا آدم عليه السلام بسيلان فلما سمع الملك بوصولهم طلبهم وأضافهم وسألهم عن الأخبار فأخبره شيخهم بأمر نبينا محمد صلى الله

[17] الشيخ زين الدين المخدوم، المخطوطة تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، ص – 3

[18] محمد قاسم – مشهور بلقب فرشته، مؤرخ فارسي، 1560 – 1620 م.

عليه وسلم وبدين الإسلام وبمعجزة انشقاق القمر فأدخل الله سبحانه وتعالى في قلبه صدق النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به ودخل في قلبه حب النبي صلى الله عليه وسلم وأمر الشيخ بأن يرجع هو وأصحابه إليه بعد زيارة قدم آدم عليه السلام ليخرج هو مهعم ومنعه أن يحدث بهذا السر الملياريين. ثم إنهم سافروا إلى سيلان (Sri Lanka) ورجعوا إليه فأمر الملك الشيخ بأن يهيأ مركبا لسفره من غير أن يعلم به أحد وكان في البندر المذكور مراكب كثيرة للتجار الغرباء فقال الشيخ لصاحب مركب أنا وجماعة من الفقراء يتوقعون أن يركبوا في مركب فرضي بذلك صاحب المركب ولما قرب وقت السفر نهى الملك أهل بيته ووزراءه أن يدخل أحد منهم عليه مدة سبعة أيام وعين في كل بلدة من بلدانه شخصا وكتب لكل كتابا مفصلا بتعيين الحدود حتى لا يتجاوز أحد عن حده الذي عينه والحكاية في ذلك مشهورة عند كفرة مليبار أيضا وكان ملكا متوليا في جميع مليبار وحدها من الجنوب كمهري ومن الشمال كاندجركوت (Kasargod). ثم إن الملك ركب مع الشيخ والفقراء في المركب ليلا وسار المركب حتى وصل إلى فندرينة (Panthalayani) فنزل فيها ولبث يوما وليلة ومنها سار المركب إلى درمفتن (Darmadam) ونزل فيها هو ومن معه. وبعد مدة طويلة رافقه جماعة في السفر معه إلى مليبار لعمارة المساجد وإظهار دين الإسلام فيها ثم إن الملك مرض واشتد مرضه فوصى أصحابه الذين رافقوه وهم شرف بن مالك وأخوه من الأم مالك بن دينار وابن أخيه مالك بن حبيب بن مالك وغيرهم بأن لا يبطلوا سفر الهند بعد موته فقالوا نحن لا نعرف موضعك ولا حد ولايتك وإنما أردنا السفر صحبتك فتفكر الملك ساعة وكتب لهم ورقة بخط مليبار عين فيها مكانه وأقرباءه وأسماء ملوكها وأمرهم أن ينزلوا بكدنكلور ودرمقتن(Darmadam) أو فندرينة (Panthalayani) أو كولام (Koyilandi–

Quilon) وقال لهم لا تخبروا بشدة مرضي ولا بموتي إن مت أحد من المليباريين ثم إنه توفي رحمه الله رحمة واسعة وبعد ذلك بسنين سافر شرف بن مالك ومالك بن دينار ومالك بن حبيب وزوجته قمرية وغيرهم مع الأولاد والأتباع إلى مليبار في مركب فوصل إلى كدنكلور ونزلوا فيها واعطوا ورقة الملك المتوفى إلى الملك الذي فيها واخفوا خبر موته فلما قرأها وعلم مضمونها اعطاهم الأراضى والبساتين على مقتضى ما كتبه فأقاموا فيها وعمروا فيها مسجدا وتوطن فيها مالك بن دينار وأقام ابن أخيه مالك بن حبيب مقامه لبناء المساجد في مليبار فخرج مالك بن حبيب إلى كولم بماله وزوجته وبعض أولاده وعمر بها مسجدا ثم خرج منها بعد ما خلى زوجته فيها إلى هيلى ماراوي (Ezhimala) وعمر بها مسجدا ثم إلى فاكتور (Barkur) وعمر بها مسجدا ثم رجع منها إلى منجلور (Manglore) وعمر بها مسجدا وخرج منها إلى كانجركوت (Kasargod) وعمر بها مسجدا ومنها إلى هيلى ماراوي وأقام بها ثلثة أشهر ومنها جرفتن (Sreekandapuram) وعمر بها مسجدا ومنها إلى درمفتن وعمر بها مسجدا ومنها إلى فندرينه وعمر بها مسجدا ومنها إلى شاليات (Chaliyam) وعمر بها مسجدا وأقام بها مدة خمسة أشهر ومنها إلى كدنكلور عند عمه مالك بن دينار ثم سافر منها إلى المساجد المذكورة وصلى في كل مسجد منها ورجع إلى كدنكلور شاكرا لله وحامدا له بظهور دين الإسلام في ارض ممتلئة كفرا ثم خرج مالك بن دينار ومالك بن حبيب مع الأصحاب والعبيد إلى كولم وتوطنوا فيها غير مالك بن دينار وبعض أصحابه فإنهم سافروا إلى شحر وزاروا قبر الملك المتوفى فيها ثم سافر مالك إلى خراسان وتوفي فيها ورجع مالك بن حبيب مع زوجته بعد ما ترك بعض أولاده في كولم إلى كدنكلور وتوفي

فيها هو وزوجته هذا خبر أول ظهور دين الإسلام في بلاد مليبار وأما تاريخه فلم يتحقق عندنا".[19]

اختلف العلماء في تعيين فترة اعتناق الملك تشيرامان فرماض. يقول زين الدين المخدوم: "وغالب الظن إنه انما كان بعد المائتين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلوة والتحية. وأما ما اشتهر عند مسلمي مليبار إن اسلام الملك المذكور كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وتشرف بلقاه ورجع إلى شحر قاصد المليبار مع الجماعة المذكورين وتوفي فيها".[20]

شهد زين الدين المخدوم في محكمة فونان (Ponnani) بإيحاء كولونيل ميكانسي (Colonel Macency) عن الوصول المسلمين إلى كيرالا: جاء جماعة من المسلمين من العرب، وحينما علم الملك عن شخص بارز معهم حسن بالضيافة. وروى الشيخ بالتفصيل للملك عن محمد صلى الله عليه وسلم ودين الإسلام وكشف الملك إرادته للذهاب معهم إلى المكة لزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم. وبعد وصول إلى بلاد العرب ذهب إلى مكة ولقي محمد صلى الله عليه وسلم وتشرف الملك بالتقائه.[21]

يقول المؤرخ المشهور فرشته:

"ان الملك السامري حاكم مليبار رأى بنفسه في زمانه عليه السلام معجزة شق القمر في أرضه. فأرسل رسلا إلى أماكن شتى لتحقيق الأمر فاختبر بأن رجلا من العرب يسمى محمدا ادعى النبوة فشق القمر لكي يرى قومه بعض معجزاته فهو ذاك. فالسامري ركب

---

[19] الشيخ زين الدين المخدوم: المخطوطة تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين ، ص – 19 – 23.

[20] نفس المرجع، ص – 23

[21] سي، ان، أحمد مولوي: تراث الأدبي 'مابيلا' المجيد (ملايالام)، كما نقل في. كى. محمد كنجي في "المسلمون وثقافة كيرالا" (ملايالام)، ص 41–42.

البحر وارتحل إلى الحجاز لأنه دفعه الشوق الشديد إلى الرحيل إلى الحجاز ليتشرف برؤيا هذا النبي الجديد العظيم. وكان معه جماعة من حاشيته وأتى مكة وتشرف بالإسلام وأقام فيها عدة أيام، ثم عاد إلى وطنه في جماعة من المسلمين فلما بلغ ظفار مات ودفن بها، وقال بعضهم إنه رحل إلى الحجاز فقضى نحبه في الطريق وكانت وفاته في "الملكا" فدفن في فناء أحد مساجدها والمسلمون اللذين في رفقته خمسة عشرة رجلا وخمسة نسوة ومن بينهم حبيب بن مالك وعبد الرحمن بن مالك ومحمد بن سالم وعلي وحسين بن مالك وفاطمة وعائشة وزينب وقمرية وحليمة. فأوصاهم قبل موته بأن يسيروا إلى مليبار وينشروا الإسلام فيها وأسر إليهم أن لا يخبروهم بموته وقيل إنه اوصى من معه بأن يبلغوا ذريته وورثته بنبأ إسلامه وموته ثم كتب إلى حاكم مليبار أن يكرمهم ويعاونهم ودعاهم فيها إلى اعتناق الإسلام وبناء المساجد والحفاوة بمن يصل من العرب للدعوة والتبليغ. فلما أتاه هولاء المسلمون أعطوه خطابه. عرف خطه فابتهج غاية الإبتهاج وسألهم عن السامري فأجابوا: إننا إذ ركبنا سفينة من ميناء شحر رأيناه فلما علم أننا مسافرون إلى مليبار كتب هذا الكتاب وقال لنا: ادفعوه إلى حاكم مليبار. وبعد ذلك قدم إليهم جميع التسهيلات اللازمة كمطالب الملك في خطابه لنشر الإسلام في بلاده وبناء المساجد فيها."[22]

وقد قال الطبري أن هذا الملك أقام مع الرسول سبعة عشر يوما، ثم خرج من عنده إلى اليمن حين رحب به إليها ملكها مالك بن حبيب وعاش فيها أربع سنين، وتزوج من أخت مالك بن دينار ثم عاد إلى كيرالا عن طرق البحر ومعه رجال محترمون من أهل اليمن على رأسهم مالك بن دينار وأبناؤه، ولما وصلوا "شحر محلقة" من مملكة عمان قضى الملك نحبه وانتقل إلى جوار

[22] كما نقل عبد الغفور عبد الله القاسمي في كتابه المسلمون في كيرالا، ص 40 – 41.

ربه، وصاروا يترددون في الأمر إلى أن مرت بهم سنوات فاعتزموا أخيرا على متابعة السير والوصول إلى بلاد الملك المتوفى وكان مما سهل لهم الأمور أن الملك تاج الدين وكلهم رسالة وقت وفاته يوصي فيها أصحاب مملكته أن ينظروا إلى هؤلاء الرجال بعين الاعتبار والتقدير، وبنهاية الكد والتعب وصلوا إلى مملكة الملك المتوفى. وقدموا الرسالة إلى الأولياء فلما رأوا ما فيها أعطوهم كل ما يحتاجون من المباني والأراضي والمزارع. وكان أول ما قام به هؤلاء الرجال في المنطقة بناء مساجد في شتى أنحاء الولاية. وبنوا أول مسجد في الهند مسجد تشيرامان فرمال بمدينة كودونغلور على مقربة من قصر الملك. وبالتالي بنوا عشرين مسجداً في مدن كيرالا.

وقال العلامة محمد القاضي الكالكوتي المتوفى 1025 هـ/ 1616 م في قصيدته فتح المبين:

وانما مقف هذا السلمري للحرب معه بين كل كافر

يسرد دعوة النبي المطهر سار خفية إلى زيارته

حتى أتى إلى النبي وآمنا بالله والنبي وصار مؤمنا

وفي رجوعه إلى مليبار ليجري الإسلام في تلك الديار

أصابه الموت في الظفار كذا أتى في أشهر الأخبار[23]

وقال القاضي أبوبكر كنجي الكالكوتي المتوفى سنة 1291 هـ/ 1874 م في شرح فتح المبين "مصابيح الكواكب الدرية شرح التخميس مع الوترية" أن تاج الدين ملك مليبار رأى النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمره يومئذ سبعا وخمسين سنة، واتفق حجه يومئذ يوم الحج الأكبر مع النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل أن الملك توفى يوم هجرة لرسول صلى الله عليه وسلم – قال ذلك عند شرحه للبيت – هوى قمر وانشق نصفين نحوه – ثم قال – إن أول مسجد أسس في

[23] السيد أحمد شهاب الدين قاضي كاليكوت: "خمسون يوما في جنوب آسيا"، ص 8.

مليبار كان في كودونغالور – عاصمة مليبار – وأما ما قيل من أن تشيرامان فرماض ملك مليبار رأى انشقاق القمر رأي العين فهو صحيح، وإنما استخبر عن ذلك وعلم بالأمر فانشرح صدره للإسلام وأسلم وخرج إلى مكة المكرمة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم. فلم يثبت أصلا استقباله صلى الله عليه وسلم له لأنه لم يرد ذلك في الكتب التاريخية العربية عند أهل السلف على ما أعلم. وأما الملك تتشيرلمان فرماض فقد خرج على ما يقال من الهند سنة 212 هـ/ 827 م ومات سنة 230 هـ/ 844 م فعلى هذا لم يكن معاصرا للنبي صلى الله عليه وسلم إلا أن يقال بأن تتشيرامان فرماض لقب يطلق على كل ملك في مليبار يصح أيضا أطلاقه على الملك المعاصر للنبي صلى الله عليه وسلم وهو على ما ذكره إبراهيم المولوي في كشف الأساتار عن أطوار مليبار– هو فيلبان فرماض.[24]

وسبب اختلاف المؤرخين في تعيين فترة زيارة ملك فرماض إلى مكة هو كون زيارته زيارة سريا ولن أخبر عنها لأحد، لأنه خاف الملك اللا تعاون للعرب بسبب شدة النظام الطبقي كما خاف على الأعداء.

وفي رأي زين الدين المخدوم – صاحب تحفة المجاهدين – "هذا أول ظهور الإسلام في بلاد مليبار، وأما تاريخه فلم يتحقق عندنا، وغالب الظن أنه إنما كان بعد المائتين من الهجرة النبوية"[25]. ولكن الكشف الأثري وآراء الباحثين يدحض هذا الرأي. فقد ثبت أن النقود الإسلامية المدفونة التي اكشفت من مليبار منقوشة عليها "سنة 71 هـ" (691 م)، والقبر الموجود بكولام المكتوب عليه اسم صاحبه "علي" وتاريخ وفاته "166 هـ" (789 م). وقد سرد أحمد مولوي في كتابه عن البلاطة الضريح المكتوبة 'سنة خمس' التي اخترعه من إركور (Irikkur) بمنطقة

[24] نفس المرجع، ص 9.

[25] نفس المرجع.

كانور (Kannur).[26] وتشتمل هذه القرافة حوالي مائة قبر وعلى كل واحد منهم شاهد واحد الأبيض خلافا لعادات المتبعة التي ينصب شاهدان من الحجر العادي على طرفي القبر. وتظهر من الكلمات المنقوشة عليها أسماء أصحابها مثل حسن وزيد وما إلى ذلك. فمن الظاهر إما قد وصلوا من البلاد العربية قبل سنة 60 من الهجرة أو انتشرت اللغة العربية في تلك الفترة بين المسلمين حتى سموا بأسماء عربية ودقوا بطريقة إسلامية لأنه قد بدأ كتابة اللغة العربية بالنقط والتشكيل بعد ستين من الهجرة.

واكتشف دينار من تيرونالويلي (Thirunelveli) نقشت عليها "71 هـ" (691 م)، ودينار من بونجار (Poonjar) الذي كتبت عليها "118 هـ" (736 م). ويثبت من التواريخ المعروفة لبعض المساجد أن بنائها قد انتشرت في أنحاء ملبار قبل 1200 سنة من الآن كمثل مسجد تشاليام (Chaliyam) ومسجد كويلاندي (Koyilandi). وفي آراء بعض المؤرخين مثل الشيخ شهاب الدين أحمد كويا التشالياتي إن مغيرة بن شعبة الصحابي وصل إلى كاليكوت في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. واسم المسجد 'مغدار' (مغيرة دار) مشتق من اسمه.

نجد من خلال كتب التاريخ أن الإسلام قد وصل إلى سيلان على يد التجار العرب. ووصل وفد منها إلى جزيرة العرب وقابله عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وإن سيلان أبعد من مليبار وقد أصبحت مليبار نقطة ارتياد التجار والرحال لتزويد سفنهم بالمؤن في رحلاتهم إلى سيلان وغيرها منذ القدم. فلا بد على سكان سواحل مليبار أن يعلم عما يجري في جزيرة العرب. فتدحض هذه الوثائق التاريخية الحديثية القول بأن الإسلام وصل إلى مليبار بعد القرن الثاني للهجرة. ومع ذلك تاريخ مملكة أَرَكَّلْ بكانور دليل قوية على أنه وصل الإسلام إلى مليبار في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، سنناقش عنها في الفصل القادم.

---

[26] سي ان أحمد مولوي: المسلمون وثقافة كيرالا (ملايالام)، ص 46.

الفصل الثالث

مملكة "أركل" بكانور

حكم المسلمون مملكة كانور بشمال المليبار وتعرف باسم "أركل راجاوامشام" أي الأسرة المالكة بأركل. هذه كانت مملكة وحيدة تحت المسملين في ولاية كيرالا. يرجع أصل الأسرة إلى تشيرامان بيرمال. ومؤسس الأسرة المالكة محمد علي بن السيدة سري ديوي (Sreedevi) أخت بيرمال، وكان اسمه الأصلي مهابالي (Mahabali) قبل اعتناقه الإسلام. ويظهر من محفوظات قصر أركل أن مهابلي تولى الخلافة بعد ذهاب ملك بيرمال إلى مكة. وكانت عاصمتها الأولى في مدينة دارمادام (Darmadam) ثم تغيرت إلى كانور. وانتشر حكايات كثيرة لبداية سلالة أركل ولكن أرجح الحكاية هي ترتبط ببيرمال. ويفهم من كل وثائق أن سلالة أركل قد بدأت بعد ذهاب ملك بيرمال إلى مكة.

ويجد في تسجيل أركل أنه تولى الملك الأول ملك محمد علي آدي راجا سنة 64 هـ/ 684 م. وبين في التسجيل قائمة أسماء الملوك والملكات إلى سنة 1157 هـ/ 1744 م. واكتشف من قصر أركل القود الفضية منقوشا عليها أسماء الملوك أركل وتاريخ النشر من بعضها هو 126، 161 من الهجرة (744، 778م).

وبنوا مساجد كثير في شمال مليبار. وفي سنة 121 هـ/ 739 م نسخ القرآن من تسع حفاظ في نفقة ملك أركل. وكان ميناء كنور أهم ميناء في ذلك العصر، وأصدر منها السلع إلى أفريكا ومصر تحت إشراف ملوك أركل. وأرسل الملك رسالة إلى ملك بِيجَابُورْ (Beejapur) مستعانا على البرتغاليين. يقول زين الدين المخدوم:

"أرسل إلى السلطان الأعظم والشاه الأكرم علي عادل شاه نصره الله ووفقه لما يرضاه أوراقا فيها الشكاية عما حل بمسلمي مليبار من ظلم الأفرنج وإيذائهم والاستعانة في تخليص هولاء المستضعفين من شرورهم بالجهاد في سبيل الله مع هدايا".[27]

وكان في مكتبتهم كتب قيمة في اللغة العربية. وأورد الكتب من الخارج في سفن التجارة. ونال العلم الذكور والإناث من العائلة الملكة. وترجم ماين كوتي إليا (Mayinkutty Elaya) القرآن أولا إلى لغة ملايالام. أصدر ترجمة لتفسير الجلالين في ستة مجلد سنة 1287 هـ/ 1871 م وأرسله إلى أشخاص بارزة مجانا. وحكم الملوك والملكات مع إذن مجلس تتألف من ثمانية زعماء، وهم مسؤولون إلى مجلس أخرى تتألف فيه 400 أشخاص. واشتهر مملكة أركل الحكم بلا تحزب بين الناس.

ساعد ملوك أركل في نضال ضد البرتغاليين والإنجليزيين. وكان جزيرة 'لكشا ديب' (Lakshadweep) تحت سيطرة ملوك أركل. وإذا جاء البرتغاليون إلى مليبار واغتالوا هذه الجزيرة أيضا.

"وجزيرة لكديف الواقعة في البحر العرب التي تحت ملك علي راجا قبضها العدو، وقتلوا كثيرا من الأبرياء المسلمين. ودافع المواطنون عن بلادهم بلا أسلحة وانتقم منهم المواطنون لهذه الجريمة بعد سنين بدعوتهم للعشاء واغتيالهم بتقديم طعام مسموم لهم وبعدئذ لم يلتفت البرتغال إلى تلك البلدة المسلمة".[28]

وفي 1178 هـ/ 1765 م ذهبت أركل 'بيوي' (ملكة) إلى ماهي (Mahi) – كانت ماهي تحت سيطرة فرنسا – لاستشار مع الفرنسا ضد الانجليزيين. وكان بين الملوك أركل وحيدر علي،

[27] الشيخ زين الدين المخدوم: المخطوطة تحفة المجاهدين في بعض اخبار البرتغالين، ص 69.
[28] عبد الغفور عبد الله القاسمي: المسلون في كيرالا، ص 70.

سلطان ميسور، معاهدة. ومكث طيبو سلطان في بلاط أركل أيلما كثيرا. عارض الإنجليزيون المملكة أركل لمعاهدتها مع طيبو سلطان. وفي سنة 1323 هـ/ 1905 م أكمل الغلبة المملكة للإنجليزيين.

وصول الأديان الأخرى

الدرافيدون هم أهالي أرضها وحراثها القدماء وزراعها الأصليون والأجناس الأخرى جاءت من البلاد الخارجية وفيهم من يتدين بالهندوكية ومن يتدين بالإسلام والنصرانية واليهودية. والأديان الخارجية دخلتها بواسطة البحر العربي بوسيلة التجارة البحرية التي تتابعت إلى قرون عديدة والتي كانت إمارتها بأيدي العرب.

الدرافيديون هم جيل جديد اختلط من قبيلة المتوسطين وقبيلة آستراليد. وجاء أعضاء من قبيلة المتوسطين إلى الهند في طريق بلوجستان قبل أربعة آلاف سنين ومزجوا بقبيلة آستراليد الذين كانوا فيها. وإمتزاج هتين القبيلتين أنجبت إلى قبيلة جديدة، هو الدرافيديون.[29] وكانت لهم شعائر وعادات خاصة ليست لها علاقة بأي دين.

وصل البوذية إلى كيرالا من الدساك البوذية في عصر ملك أشوكا، القرن الثالث قبل الميلادية. وأسسوا عشرات المعابد والمدارس والمستشفيات. واعترف معبدهم بكلمة "بالي" (Palli)، ثم أطلق كلمة بالي لكل معبد. ويعرف اليوم المسجد والكنيسة والبيعة باسم "بالي" مثل 'بالي المسلمين' 'بالي النصارى' و'بالي اليهود'. ثم انهارت البوذية على يد البراهمة. واضمحلت الديانة البوذية من كيرالا في القرن الثاني عشر. ولكن تجدهم في هذه الأيام قليلا منهم حتى في أقل عدد.

[29] بروفسر أتشوتا واريار: ثقافة كيرالا (الإنجليزية)، ص 8.

وفي كيرالا من يؤمن بالجينية ونسبتهم قليلة بالنسبة إلى الهندوس والمسلمين والمسيحيين. ولهم فيها معابدهم ومؤسساتهم الخاصة. وصلت جينية إلى كيرالا في القرن الثالث قبل الميلاد من واسطة أصحاب جندرا غوبتا موريا (Chandra Gupta Maurya). ولم تأثر الجينية في كيرالا مثل البوذية.

وصل اليهود إلى كيرالا في القرن الأول الميلادي. "وعندما دمر الروم البيعة سنة 68 م وصل أكثر من عشرة آلاف من اليهود من القدس إلى كدنغالور".[30] وبعض المؤرخين يربطونهم إلى عهد النبي سليمان عليه السلام[31]. وجاء اليهود أولا إلى كودونغالور، ومكثوا هناك بسلام حتى وصل البرتغاليون. وكان جوسف ربان من كبار المبشرين بالدين اليهود. وكانت فترة البرتغاليين فترة الشناعة عليهم مثل المسلمين. فذهبوا إلى كوتشن، والبيعة فيها مشهورة جدا. وعندما كونت دولة إسرائيل هاجر أكثرهم إليها.

وصل القديس توماس (St. Thomas) مع بعض أصحابه إلى كودونغالور سنة 52 م، وبنوا سبع كنائس في الأماكن المختلفة. وقد أشار اليهود في بياناتهم عن المسيحيين في كودونغالور حينما وصلوا إليها سنة 68 م. ثم انتشرت النصرانية في عصر البرتغاليين انتشارا واسعا.

أحوال المسلمين تحت الملوك والسيطرة المختلفة

عاش المسلمون في الهدوء والسلام ومع الود والأخُوة تحت الملوك الهندوكيين. وكانوا مواطنين الصديقين ومطيعين للقانون. منح الملوك للمسلمين ملاءمة للعبادة وغيرها. وحتى أنه فرض على المسلمين الغرامة إن لم يحضر لصلاة الجمعة. وعين الملوك القاضي والمؤذن ودفع راتبهم. وإذا

[30] نفس المرجع، ص 52

[31] باربارا سي جونسان، "اليهود في كيرالا"، اليهود الهندي: تاريخ ثلاثة أقوام، ص 27

كان القاتل من المسلمين شنقه مع إذن زعماء المسلمين ويرجع الجيفة إليهم للدفن. وإذا كان القاتل غير مسلم لا يدفن جيفته بعد شنقه ويترك للحيوانات مثل الكلب والثعلب.

يقول صاحب تحفة المجاهدين:

"فللمسلمين فيما بينهم حرمة وعزة لأن لكثر عمارات بلادهم بهم فيتمكنون من اقامة الجمع والاعياد ويعينون الوظائف للقضاة والمؤذنين ويعينون في اجراء الأحكام الشرعية بين المسلمين ولا يرخصون في تعطيل الجمعة فمن عطلها آذوه وغرموه المال في أكثر البلاد وإذا صدر من مسلم ما يقتضي قتله عندهم قتلوه باذن كبراء المسلمين ثم يأخذه المسلمون ويغسلونه ويكفنونه ويصلون عليه صلاة الجنازة ويدفنونه في مقابر المسلمين واذا صدر من كافر ما يقتضي قتله قتلوه وصلبوه أو تركوه في مقتله حتى يأكله الكلاب وابناء آوى ولا يأخذون منهم إلا العشور في التجارات وإلا الغرامات إذا صدر منهم ما يقتضى الغرامة عندهم ولا يأخذونه الخراج من أصحاب الزراعات والبساتين ولا يدخلونه داخل بيوت المسلمين بغير إذنهم إذا صدر منهم جراءة ولو قتلا بظلم بل يكلفونهم إخراج صاحب الجراءة من بينهم بالملازمة والإضرار بالتجويع ونحوه ولا يتعرضون لمن أسلم منهم بأذى بل يحترمونه كاحترام سائر المسلمين ولو كان عندهم من أسافلهم وكان التجار المسلمين في الزمان القديم يجمعون له ما يرتفق به".[32]

حصل المسلمون على حقوق عظيمة في حكومة ملوك سامودري كما كان لهم حق لحضور في اجتماع البلاط. وكانت التجارة الخارجية تحت سيطرة المسلمين. ومكث في مدينة كاليكوت وفي سواحلها كثير من المسلمين من القاهرة والحبشة وتونس وبغداد ويمن وغيرها. وقد أحرز سلمودري مساعدة عظيمة من المسلمين في كل أمور خاصة في تكوين الأسطول. وتمكن بها

[32] الشيخ زين الدين المخدوم: المخطوطة تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، ص 33-34.

لسامودري أن يبني قوات قوية في جنوب الهند. وأمر الملك سامودري لأن يعتنق الإسلام لرجل واحد أو اثنين من أهالي صياد السمك. وأجاز للزعيم المسلم أن يسافر مع سامودري في حمالته. وكان مستشاره وسفيره وأعضاء الأسطول من المسلمين. وكان المخدومون المستشارين لملك سامودري. وأذن لقضاة كاليكوت وتشاليام مكانة خاصة في جلسة الملك، وقضوا الحكم على المجرم المسلم. وحتى يقول أحد المؤرخ "المسلمون أغنياء، وإنهم تعايشون معا. وفي يدهم التجارة والنقل البحري. وإذا لم يجد الملك البرتغالي الهند يكون مليار في أيدي المسلمين. ويكون هناك ملك مسلم"[33]. وبعد وصول الإسلام والمسلمين اتسعت العلاقة بين كيرالا والعرب في التجارة وفي حقل الدين والثقافة. وكانت الملوك يعظمونهم ويعطونهم حقوقهم ويعتبرونهم من بين رعيتهم. واستمرت هذه العلاقة وطيدة على هذا النمط حوالي سبعة قرون إلى قدوم واسكو دي غاما (Vasco de Gama) إلى ميناء كاليكوت.

[33] إي شريدرا مينون: تاريخ ثقافة كيرالا واجتماعها (الإنجليزية)، ص 184.

الفصل الرابع

قدوم البرتغاليين وبداية المشكلات

وأرسل الأمير البرتغالي هنري (Henry) كثيرا من البعثات للاكتشاف الطريق إلى الهند. أن البابا المسيحي أعطى الإجازة للملك البرتغالي لبحث عن الهند وغيرها من البلدان النائية سنة 858 هـ/ 1454 م. تحركت جماعة من البرتغاليين بقيادة واسكو دي غاما في الثامن من أغسطس سنة 904 هـ/ 1498 م مع ارشاد ومصاحبة الملاح العربي المشهور أحمد بن ماجد، ووصل غاما وأصحابه إلى ساحل كاليكوت سنة 20 رمضان 903 هـ/ 20 مايو 1498 م.

وأحسن سلمودري وفادة واسكو دي غاما وكتب إلى ملك الروم رسالة عن رغبته بالتجارة معهم وبين المحصولات المليبارية وطلب بدلا لها الذهب والفضة والمرجان وما إلى ذلك. ولكن قدوم البرتغالين إلى مليبار كانت لأسباب أخرى علاوة على التجارة. ويعدون مجيئهم إلى الهند واحتلالها واضطهاد المسلمين فيها وتدمير ثروتهم وتجارتهم جزء من الحروب الصليبية القديمة. ومن هدفهم ترويج المسيحية الرومية والسلطنة الكاملة في قارتي آسيا وآفريقيا وأن يجلب الثروة بالتجارة والإغارة. يقيم عبد الغفور القاسمي أسباب القدوم البرتغاليين هكذا:

"غلب البرتغاليون على الأسبانيا سنة 897 هـ/ 1492 م وبعد ذلك حصلوا على الأجهزة اللازمة التي يستعملها المسلمون للسفر في البحر من الخرائط والآلات – ومع ذلك توقف مجيئ الأمتعة من البلدان الشرقية إلى العرب وهذان السببان الرئيسيان دفعا البرتغاليين لاكتشاف طريق إلى الهند عبر البحر وبعد سعيهم الجبار الطويل لمدة ثلثي

قرن وصلوا إلى سواحل كيرالا تحت قيادة فاسكودى غاما بمساعدة ابن ماجد الغجراتي ونزل في كاليكوت سنة 904 هـ/ 1498 م."[34]

بدأت القوات البرتغالية حملات قاسية ووحشية جدا على الناس خاصة على المسلمين والعرب. "إنهم رأوا المسلمين عدوا لدودا، لذا سعوا لأخذ تجارتهم وقبضهم وقتلهم بأبشع ما يمكن".[35] وصرح البحار البرتغالي البوكارك عن أحوال بعد احتلال غووا (Goa)، كانت الشوارع مملوئة بجثة والجرحى. ثم أحرق المدينة في أربعة أيام. وكان عدد أموات المسلمين زيادا على ستين ألفا، وكان البوكارك ممقوت على المسلمين حتى قال "أريد أن أدمر المكة".[36]

وكان سبب لهذه العداوة زعلمة المسلمين في كيرالا ومقاومة المسلمين عليهم. وقال البوكارك في خطابه أمام جنوده لحثهم "إن الخدمة الجليلة التي سنقدمه لله بطردنا العرب من هذه البلاد وباطفائنا شعلة شيعة محمد بحيث لا يندلع لها هنا بعد ذلك لهيب". يقول كى ام بانيكار :

"إن البوكارك بعد ذكر خدمة الله الدنيا عرج إلى خدمة مليكه وتحقيق اطماعه حيث قال – وذلك لأنني على يقين أننا لو انتزعنا تجارة ملقا هذه من أيديهم (المسلمين) أصبحت كل من القاهرة ومكة أثرا بعد عين ولامتنعت كل تجارة التوابل ما لم يذهب تجارها إلى البرتغال لشرائها من هناك".[37]

وقف العرب بكل امكانيتهم واحتماليتهم وجهدهم ضد البرتغاليين بعد ما تبين لهم بوضوح أن هدف هولاء هو القضاء على الوجود العربي في المحيط الهندي. وقد أدرك القادة البرتغاليون

---

[34] عبد الله عبد الغفور القاسمي: المسلمون في كيرالا، ص 58.

[35] نفس المرجع.

[36] في كى محمد كنجي: المسلمون وثقافة كيرالا، ص 93.

[37] كما نقل محمد سعيد الطريحي عن كى ام بانيكار .

ضخامة العقبات التي تواجهون بوجود العرب والمسلمين في تلك المنطقة. ولذلك بدأت الخطط والتفكير وتنظيم القوي للقضاء عليهم والتخلص منهم بأي طريقة كانت.

وبعد رجوع واسكو دي غاما إلى بلده بعد مكث قليل جاء ألوارس كابرال (Pedro Alvares Cabral) مع ضخمة من الجنود في 905 هـ/ 1500 م، ووصلوا إلى مليبار بعد إغارة على سواحل مدن أفريقا. وطلبوا من سامودري إباحة لخمسة رهبان لنشر المسيحية بين الناس، وإخراج المسلمين من البلدة ومن التجارة. أجاز سامودري لشراء الأمتعة من السوق فقط. ولم يكن عند كابرال نقود ما يحتاج للشراء فأغار السفن في السواحل، وأخذ عشرة منها وخرب كثيرا. وقتل سبعون من البرتغاليين وستمائة من الماليباريين ودمر كثيرا من ديار المسلمين. خرج كابرال إلى كوتشي واستقبله الملك وأباح لصنع القلعة فيها. وهذه أول قلعة بناها البرتغاليون في كيرالا. وأراد الملك كوتشي لنيل مع البرتغاليين ما نال سامودري مع التجار العرب من الثروة وغيرها. تحالف الملك مع البرتغاليين بلا إذن سامودري رغم كان كوتشي تحت سامودري. فاندلعت الحروب بينهم واستمرت سنين.

وبعد كابرال جاء ذووا (Joao da Nova) البرتغالي واستقبله ملك كانور وكوتشي. وخرب خمسة سفن كبيرة للسامودري وتسعة صغيرة. ثم عاد غاما إلى مليبار في 907 هـ/ 1502 م. وكان من أهم غايته الإنتقام من سامودري. وأن يجعل جميع الهند تحتهم وجبروتهم الكاملة في البحر. وكان واسكودا غاما يأخذ حمولة سفن الحجاج ويسبي النساء ويبيع الرجال كالعبيد ثم يحرق السفن، وإن لم يستطع كان يحرق السفن بمن فيها. وقبض غاما سفينة راجعة من مكة بعد الحج. وكانت في السفينة 240 حجاجا من رجال ونساء وصبيان. وتضرع الحجاج إلى غاما واستعدوا لدفع كل ما لديهم من الأمتعة والنقود والذهبي، وارتفع النساء الصبيان راجين رأفة من غاما. ولكن أمر غاما لإحراق السفينة مع الحجاج. ولما أطفأ الحجاج النار بدأت المعركة الدامية، وأخيرا بعد

مقاومة ثمانية أيام ربطهم بالحبل وأحرق السفينة ولم يبق منهم أحد. وطلب غاما لسلمودري أن يخرج المسلمين من كاليكوت ولم يقبل سامودري هذا الطلب. وقتل غاما سفير سامودري الذي أرسله إلى غاما وجدع أنفه وأذنه وأرسل عنده رسالة فيها "اطبخ أنفه وأذنه وكله" وكان هذا ظلما لا مثاليا في تاريخ العالم.

وتتابع فوج البرتغاليون واحدا وواحدا بقيادة جديدة مثل البوكارك (Albuquerque) في 908 هـ/ 1503 م ولوبو سورس في 909 هـ/ 1504 م وألمادا (Francisco de Almeida) في 910 هـ/ 1505 م وغيرهم. وتابع اعتداءهم يوما فيوما على المسلمين واليهوديين وكان المسيحيون سالمين. وضعف مقاومة سلمودري بقلة العدد والأسلحة الحديثة ولعدم المعاونة من الملوك القريبة مثل كوتشي وكانور وكانا متحالفين مع البرتغاليين. ولما فشل لإدراك المساعدة من الملوك الهند فالتمس المساعدة من مصر العربية. وخرج أمير حسين مع ألف وخمسمائة جندي إلى ساحل كيرالا. واشتبك مع جيش ألميدا مرتين في جزيرة قريب غجرات. وأخيرا واضطر مصر للانسحاب بعدم توافر الطعام في البحر، وكان كاليكوت بعيدا جدا.

وأخيرا عرف البرتغاليون لا يقدرون لهم قبض كاليكوت إذا كان سلمودري حيا. وعزموا على قتله بالسم في الطعام. ثم استولى ملك آخر من ملوك سامودري فتحالف مع البرتغاليين وأجاز الملك لبناء قلعة فيها. واتفق البرتغاليون وسلمودري الجديد على عهد، "واضطر فيه على المسلمين لاكتساب الإذن من رياينة البرتغاليين".[38] ولم يبق أحد من العرب في كاليكوت سنة 926 هـ/ 1520 م.

يبين زين الدين المخدوم عن هذه الحالة:

[38] اى في إبراهيم كنج: دراسات في تاريخ العصور الوسطى (الإنجليزية)، ص 135.

"إن مسلمي مليبار كانوا في نعمة ورفاهية من العيش لقلة ظلم رعاتهم ورعايتهم عاداتهم القديمة ورفقهم بهم فبطروا النعمة وأذنبوا وخالفوا فلذلك سلط الله عليهم البرتغاليين من الأفرنج النصارى خذلهم الله تعالى فظلموهم وفسدوا فيهم وفعلوا فعائل قبيحة شنيعة لا تحصى من ضربهم والإستهزاء بهم. والضحك عليهم إذا مروا بهم استخفافا وجعلهم مراكبهم في محال الماء والوحل والبصق على وجوههم وأبدانهم وتعطيل أسفارهم خصوصا سفر الحج. ونهب أمواله واحراق بلادهم ومساجدهم وأخذ مراكبهم ووطئ المصاحف والكتب بأرجلهم واحراقها بالنار وهتك حرمات المساجد وتحريضهم على قبول قول الردة والسجود لصليبهم وعرض الأموال لهم على ذلك، وتزيين نسوانهم بالحلي والثياب النفيسة لتفتين نسوان المسلمين وقتل الحجاج وسائر المسلمين بأنواع العذاب، وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا واسرهم وتقييد أساريهم بالقيود الثقيلة وترديدهم في السوق ليبعهم كما يباع العبيد وتعذيبهم حينئذ بأنواع العذاب لزيادة العوض وجمعهم في بيت مظلم منتن مخطر وضربهم بالنعل إذا استنجوا بالماء. وتعذيبهم بالنار وبيع بعضهم وتعبيد بعضهم وتعيين بعضهم في الأعمال الشاقة بلا شفقة والخروج إلى مناتخ جزرات وكنكن ومليبار وبر العرب والإقامة فيها مستعدين لأخذ المراكب والاكتساب بذلك أموالا جزيلة. وأسارى عديدة وكم من نساء أصيلات أسروا وتسروا بهن حتى حصل لهم منهن أولاد نصاري أعداء دين الله يؤذون المسلمين. وكم من سادات وعلماء وكبراء أسروا وعذبوا حتى قتلوا. وكم من مسلمين ومسلمات نصروا. وكم من أمثال ذلك من فضائح وقبائح تكل الألسنة عن ذكرها وتأنف عن أفصاحها أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر. ثم إن بغيتهم العظمى وهمتهم الكبرى قديما وحديثا تغيير دين المسلمين وإدخالهم في النصرانية نعوذ بالله من ذلك. وانما صلحهم للمسلمين لضرورة

العشرة معهم فإن أكثر سكان البنادر التي في ساحل البحر المسلمون ولذا قال الأفرنج الواصلون من برتغال جديدا في بعض المواسم لما رأوا المسلمين وصورهم في كونتشي إلى الآن لم يتغير صورهم ولاهوا كبيرهم حيث لم يغيرهم عن دينهم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا ان يتم دوره ولو كره الكافرون. ولذا قال كبيرهم لراعي كونتشي "أخرج المسلمين عن كونتشي فإن الفائدة الحاصلة منهم قليلة ويحصل لك منا من الفوائد أضعاف ما يحصل منهم فأجاب بأنهم رعيتنا من قديم الزمان وبهم عمارة بلدنا فلا يمكن لنا إخراجهم" وليست لهم عداوة إلا للمسلمين ولدينهم لا لناير ولا لغيرهم من الكفرة."[39]

[39] زين الدين المخدوم: المخطوطة تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغالين، ص – 41 – 43.

الفصل الخامس

المعركة ضد البرتغاليين

كما سبقنا من القول إن البابا المسيحي أعطى للملك البرتغالي الإذن لفتح الهند وغيرها من البلدان النائية سنة 858 هـ/ 1454 م. وقدّر المسيحيون المسلمين عدوا لدودا لهم وأرادوا السلطة الكاملة والتسلط على البحر. وحصل لهم الأجهزة من الخرائط والآلات التي يستعملها المسلمون للسفر في البحر، وأصبح البرتغاليين مسيطرين على البحر والتجارة. وبدأوا الظلم على التجار، خاصة على العرب والمسلمين. وأكره على الرحال والتجار على اكتساب الإذن منهم. ودمروا سفن المسلمين وأغاروا ديار المسليمن وقتلوا الأبرياء. وتمكن لهم للتسلط الكامل على مليبار.

ومع احتلال البرتغاليين سواحل كيرالا فقد خسر أمنها وهدوئها وشعر الناس بالبؤس والفقر. وكان المسلمون اشد من تعرض هذا الإحتلال. ولم تبق أمام الناس إلا طريقان إما أن يموتوا أحرارا أو يعيشوا عبيدا. وفي هذه الحالة الخطورة قاومهم الناس على اختلاف مللهم ونحلهم، وأثاروا ثورة قوية على حكم البرتغالي. والعلماء المسلمون في عصر المكافحة كانوا بمثابة الحكام والقضاة بالنسبة إلى المسلمين. وهؤلاء العلماء الأفذاذ مثل الشيخ زين الدين المخدوم الأول الذي قام بنشر تراث الإسلام العلمي والسياسي في كيرالا والذي صنف قصائد كثيرة يحرض فيها المسلمين على الجهاد الديني ضد البرتغاليين. والشيخ زين الدين المخدوم الثاني (حفيد زين الدين الأول) صنف كتاب تحفة المجاهدين في أربعة أجزاء عن تاريخ كيرالا وتاريخ استغلال البرتغالي ويوجد هناك أيضا عدد من قواد مسلمين قاموا بالجهاد الديني ضد البرتغاليين والبريطانيين.

كون المسلمون الأسطول الخاص تحت ملك سامودري وقاوموهم باستمرار في البحر وسواحلها. وكانوا حذاقا في الحرب البحرية. وواجهوا أعدائهم باسلحة تقليدية وكان أمير البحر ومعظم الجنود مسلمين وشنوا حربا شديدا عليهم.

"استغرق قتال المسلمين مع البرتغاليين قرنا كاملا. حيث بدأ سنة 905 هـ/ 1500 م حينما حمل كابرال على كاليكوت وانتهى بتسليم الملك سلمودري القائد كونجالي ماراكار الرابع (Kunjali Marakkar IV) للبرتغاليين سنة 1008 هـ/ 1600 م. وفي هذه المدة الطويلة نهض كثير من أبطال المسلمين ثائرين ضدهم. وجدير بالذكر من بينهم القواد الأربع يحمل كل واحد منهم اسم كونجالي ماراكار كانوا أمراء البحر للسامودري في أزمنة مختلفة. ورضخت البلاد كلها تحت وطأة البرتغال إلا كيرالا. قام أهلها ضدهم قرنا كاملا".[40]

وجاء أهل ماراكار من كوتشي إلى كاليكوت راغبين الحرب، بسبب تعذيب البرتغالي عليهم بغير تعاون معهم. يقول صاحب تحفة المجاهدين:

"رغب في حرب البرتغال بعض كبراء كشي (كوتشي) من فقيه أحمد ماراكار وأخيه كنج علي ماراكار وخالهما محمد علي ماركار واتباعهم فخرجوا من كشي وانتقلوا إلى كاليكوت".[41]

يقول عبد الله عبد الغفور القاسمي:

"وكان كونجالي ماراكار أمير البحر لملك سلمودري. جاهد هو واتباعه ضد البرتغاليين قريبا من قرن. ولم يستسلم أحد منهم للعدو. وفي هذه الحروب الطويلة ضحى كونجالي

[40] عبد الله عبد الغفور القاسمي: المسلمون في كيرالا، ص 66.

[41] زين الدين المخدوم: المخطوطة تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، ص 48

وذووه أرواحهم النفيسة في سبيل الوطن والدين. وكانت الجرأة والعزيمة تقودانهم إلى المعركة".[42]

تعارك الأسطول سامودري تحت زعامة كونجالي مع البرتغاليين مرارا حول قرن واحد. وصنع كونجالي القلعة في كاليكوت سنة 979 هـ/ 1572 م. ولما عجز سامودري للمقاومة التمس المساعدة من تركيا. وأمر سلطان لأمير مصر سليمان باشا أن يساعد سلمودري. وخرج مع سبعين سفينة وسبعة آلاف جندي. ووصلوا إلى كاليكوت إلا أنهم قبل الانضمام لجنود سلمودري حمل عليهم البرتغاليين، ورجعوا خائبين. وجاء جيش مصر ثلاث مرات بين ستين سنة إلى مليبار للحرب على البرتغاليين. ولكن لم يستطع لهم لأن يفعل شيئا لنيل الهذف.

وفي سنة 983 هـ/ 1575 م دمر البرتغاليون الأسطول كونجالي ماراكار في فناني (Ponnani) مع معاونة ملك جامباكاشيري (Chempakassery). وانتقم لهذا كوتي علي (Kutti Ali) في كوتشي بتدمير كل سفينة المرساة في ميناء كوتشي وحصر حصنهم ومنع حصول المساعدة من أي جهة ونجح في هذه المقاومة. وخاف البرتغاليون وقطعوا التعلق بين كوتشي وغووا طوال سنين. وفاز البرتغاليون معركتين ضد كوتى علي وقبضه.

وأخيرا تحالف سامودري أيضا مع العدو بوساطة ملك تانور (Tanur) وكودنغالور (Kodungallur). ومن شروط الحالف أن لا يصنع سامودري آلات الحرب وأن لا يركب الجنود السفن وأن يقطع التعلق بملوك العرب والمسلمين. وبعد قبض كونجالي الرابع ذهب أهله إلى تاملنادو وسريلنكا.[43]

---

[42] نفس المرجع، ص 60.

[43] في كى محمد كنجي: المسلمون وثقافة كيرالا (ملايالام)، ص 100.

وبين هذه الحروب والمعركة حكم كاليكوت خمسة عشر سلمودريا. وكان فيهم الأقوياء والضعفاء. وتحالف بعض منهم مع العدو والبعض الآخر تعارك معهم. ولكن كونجالي وأتباعهم تحاربوا عليهم طوال قرن. وكان للعدو العلم والتكنولوجيا الحديثة ولكن كان للمسلمين أسلحة تقليدية فقط. اشتغل المسلمون في كيرالا من أوائل القرن الخامس عشر إلى نصف القرن العشرين بحركات المكافحة والمقاومة على السيطرة البرتغالية أولا ثم على الاستعمار الأوروبيين مثل الهولنديون والفرنسيون والبريطاني. سمي البحرية الهندية بأي ان اس كونجالي INS Kunjali للقاعدة الجوية البحرية في موميباي (Mumbai) مذكرة لكونجالي ماركار.

وفي الخلاصة، حينما بزغ الإسلام في مكة كان في كيرالا جماعة تتصلون بالعرب. وتأثر الإسلام فيهم كما تأثر بين العرب. والعلاقة التجارية والصلة الاقتصادية لكيرالا مع العرب سببت في وجود المسلمين في كيرالا. واستيطان العرب في كيرالا وأخلاقهم ومعاملاتهم مع المواطنين أدت إلى تسريع نمو الإسلام في هذه المنطقة. وقد نمى الإسلام بوفرة بعد اعتناق الملك فيرومال وما تبعه من تحريض الملوك على الاعتناق وعلى الزواج بين العرب والمواطنين. اشتغل المسلمون في كيرالا من أوائل القرن الخامس عشر إلى نصف القرن العشرين بحركات المكافحة والمقاومة على السيطرة البرتغالية أولا ثم على الاستعمار الأوروبيين مثل الهولنديون والفرنسيون والبريطانيون. وهذا هو السبب الرئيسي لتخلف مسلمي كيرالا اقتصادا وعلميا. ضحوا ما عندهم في سبيل الدين والوطن واعتقدوا لدودا لهم. وهذا الاعتقاد قد أخذوهم إلى التخلف واستغل موقف المسلمين بعض القوم وأخذوا زمام التجارة وغيرها.

أفكار الشيخ محمد رشيد رضا ومناهجه في حركة الإصلاح والنهضة

الفصل الأول: تاريخ موجز لحياة الشيخ محمد رشيد رضا

الفصل الثاني: شيوخ الشيخ محمد رشيد رضا

الفصل الثالث: آثار الشيخ محمد رشيد رضا

الفصل الرابع: منهج الشيخ محمد رشيد رضا في حركة الإصلاح والنهضة

الفصل الخامس: أقسام التربية عند الشيخ محمد رشيد رضا

الفصل السادس: الفكر السياسي عند الشيخ محمد رشيد رضا

تاريخ موجز لحياة الشيخ محمد رشيد رضا

هو محمد بن رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني الحسيني[44]. ولد في قرية قلمون الواقعة على شاطئ البحر على بعد زهاء خمسة كيلومترات إلى الجنوب من طرابلس الشام، عام 1282 هـ/ 1865 م.[45]

وقد جاءت في رواية رشيد رضا في كتابه "المنار والأزهر" عن طفولته وتعليمه وحتى تصوفه. وإن حياته الأولى في قرية "القلمون" ومدارس العلم التي ارتادها في طرابلس والعلماء الذين ذاكرهم لم تعد شأنا خاصا به ، بل "هي مادة من تاريخ الإصلاح الإسلامي في ذلك العصر الذي عاش فيه."[46]

نشأ رشيد رضا في بيت علم وتقوى، وترعرع في أسرة متديّنة تنتسب إلى الإمام الحسين بن علي. وتأثر في حياته الأولى بأمه التي وصفها بأنها كانت على جانب عظيم من الدين مع العلم الكافي لمثلها. وكان أبوه "علي رضا" شيخا للقلمون وإماما لمسجدها.

يحدث رشيد رضا عن عائلته بقوله "وأهل بيتنا ممتازون فيهم بأنهم أهل العلم والإرشاد والرياسة ويلقبون بالمشايخ للتمييز وجدي الثالث هو الذي بنى لهم المسجد المعروف الآن بجانب بيتنا القديم الذي ولدت فيه. وكان لهم مسجد قديم هدم وتقاسم حجارته ولغلبة الجهل عليهم، فأحيا جدنا الدين ببناء المسجد وإقامة الشعائر فيه من إمامة وخطابة وتدريس.

---

[44] الحسيني النسب جاءت من قصة تاريخ العائلة المتناقل إلى آل البيت فرع الحسين بن علي (ر).

[45] خير الدين الزركلي: الأعلام، مجلد 6.

[46] محمد رشيد رضا: المنار والأزهر، ص 194.

وكان عالما صالحا مشهورا بالكرامات، وقد أنعم عليه السلطان العثماني ببراءة سلطانية".[47]

وفي موضع آخر في كتابه المنار والأزهر يقول عن عائلته "بيت كرم وضيافة كما كتب على لوح الرخام الذي على الباب الكبير الذي بناها جدي الثاني. يقبل الضيوف من جميع الملل ويؤوي أبناء السبيل من جميع الأقطار، وعهدي بأكبر علماء طرابلس وحكامها ووجهائها يغشون دارنا في أيام الصيف ويقيمون فيها أياما".[48] ثم يخبر رشيد رضا وصف أسرته فيقول "أنتي نشأت في بيت شرف وكرامة ودين وتقوى وعزة نفس، يعتقد الناس تسلسل الولاية فيه ويتبركون بكبار رجاله، وفي سلسلة نسبنا عدة رجال كانوا يلقبون بالصوفي، وكان عندنا خزانة كتب موروثة فيها كتب نادرة في جميع العلوم حتى علم الفلك".[49]

وتعلم رشيد رضا من مدرسة قلمون قواعد الحساب والخط وقراءة القرآن الكريم. ثم دخل المدرسة الرشدية بطرابلس، الشام وهي مدرسة ابتدائية تابعة للدولة العثمانية. وكان التعليم فيها باللغة التركية فمكث بها سنة ثم تركها لعدم رغبته في العمل لدى الحكومة. ثم التحق بالمدرسة الوطنية الإسلامية التي أنشأها الشيخ حسين الجسر الأزهري. وكانت المدرسة الوطنية أرقى من المدرسة السابقة، وكان التدريس فيها باللغة العربية. واهتم رشيد رضا بتعلم العلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية. بقي رشيد رضا عدة سنوات في هذه المدرسة حتى أغلقتها لأن السلطات العثمانية لم تقبل أن تعدها من المدارس الدينية حينما رفض بعض طلابها من الخدمة العسكرية.

---

[47] شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا وإخاء أربيعن سنة، ص 24.

[48] محمد رشيد رضا: المنار والأزهر، ص 134.

[49] نفس المرجع، ص 135 – 136.

فانتقل رشيد رضا إلى المدارس الدينية بطرابلس وبقي فيها حتى تحصل على الشهادة العالية ثم واصل دراسته الحرة على أستاذه الشيخ حسين الجسر واتصل بحلقاته ودروسه. وكان أهم ما أخذه عن الشيخ الجسر العلوم الشرعية حيث يقول "تخرجت العلوم العقلية على حسين الجسر".[50] ووجد الشيخ حسين الجسر في تلميذه شرفا وفهما ونكيا، فآثره برعايته وأولاه عنايته، فأجازه بتدريس العلوم الشرعية والعربية سنة 1314 هـ - 1897 م.

وقد تأثرت المدرسة الوطنية الإسلامية في رشيد رضا كبيرا حيث تعلم منها اللغة العربية والتركية والفرنسية. واهتم منها بالعلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعة. يعود الفضل إلى الشيخ حسين الجسر في توجيه رشيد رضا إلى كثير من المعارف والعلوم. وحتى عندما أغلقت هذه المدرسة لم يفقد رشيد رضا صلته بأستاذه الأول وظل يكتسب كثير من علمه ويستفيد من خبرته، حيث اشتهر ال بإلمامه الواسع بالعلوم العصرية وكان يتحرى السهولة والبيان في كل ما يكتب ويتجنب المناقشات اللفظية وهي الأمور التي ميزته ممن تلقى العلم في الأزهر.

> "وظل رشيد رضا موضع تقدير أستاذه الشيخ الجسر ويجد منه كل تشجيع وتقدير وتحريض فأتاح له أن يكتب في صحف طرابلس، وصار ما يكتب في الصحف موضع اهتمام القراء وعنايتهم".[51]

أخذ رشيد رضا الحديث والفقه الشافعية عن الشيخ محمود نشابة، وعنه أخذ الإجازة في الحديث. وعن العلماء الآخرين الذين تأثر بهم، يقول رشيد رضا:

---

[50] نفس المرجع.

[51] إبراهيم أحمد العدوي: رشيد رضا الإمام المجاهد، ص 24-30.

"لقد حضرت على العلامة الشيخ عبد الغني الرافعي قليلا من كتاب نيل الأوطار للقاضي الشوكاني وتلقيت على العالم المحدث العابد الشهير القاوقجي الكثير من الأحاديث المسلسلة وبعض كتابه المعجم الوجير".[52]

لقد واظب رشيد رضا في هذه الفترة من حياته على حضور جلسات من علماء طرابلس وأخذ يدلي برأيه فيها. ومنها حلقات الأستاذ محمد الحسيني ومناقشاته في كتب الأصول والمنطق مع الشيخ محمد كامل الرافعي، فكان رشيد رضا يسمع تحاورهما في أدق المسائل ويبدي رأيه فيما يتناقشان فيه.[53]

أما مصادر تحصيله الثقافي فقد جاءت من الكتب التي قرأها وكانت كلها تقريبا من كتب التراثي، فهو يحدد ميوله فيقول "فكنت في أول النشأة صئوما عبادة تخلقا مع ميل شديد إلى الأدب".[54] وكان أول كتاب تأثر به كتاب إحياء علوم الدين للغزالي. يقول عن هذا الكتاب "أعجب كتب التصوف إلي، فهو الذي طالعته كله، وكنت أكثر راجعته وقراءة بعض أبوابه عودا على بدء، ثم صرت أقرأه للناس، وكان له أكبر التأثير في ديني وأخلاقي وعلمي وعملي".[55]

وكان ذلك أبرز الكتب التي أثرت في رشيد رضا في المرحلة الأولى من حياته. ومجلة العروة الوثقى للأفغاني وعبده، والتي بهرت فكره وأخذت لبه، ليخرط في قضاياها ويبدأ حياة فكرية جديدة.

ومن الكتب التي تأثر بها رشيد رضا 'اليواقيت والجواهر' للشعراني و'النقش في الحجر في مبادئ العلوم العصرية' للدكتور واندیك وكما تأثرت المجلات كالمقتطف والطبيب. إن هذه

---

[52] شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة، ص 6.

[53] إبراهيم أحمد العدوي: رشيد رضا الإمام المجاهد، ص 31-32 .

[54] محمد رشيد رضا: المنار والأزهر، ص 140.

[55] نفس المرجع.

الكتب المتعددة شكلت ثقافة رشيد رضا وساهمت في تحديد آفاق تحركه المستقبلي ومع تأثير أستاذه وتربيته التي أحاطت بتعليمه حتى تلك المرحلة من حياته. وكل ذلك تشكلت أسس تكوينه الروحي. وفي المرحلة الأولى من حياته سلك الطريقة النقشبندية وعرف بحسنها وسيئها، وهو الأمر الذي هيأها في المستقبل للمناداة بإصلاح الطرق الصوفية.

وكان لانضمام رشيد رضا بالصوفية سلبيات وإيجابيات. منها الدعاء إلى الإصلاح الخلقي وإلى التمسك بأهداف الدين. ثم غلبت عليه إيجابيات الصوفية ونبذ سلبياتها، بل وهاجم تلك السلبيات بالوسائل التي أتيحت له. واكتملت هذه المؤثرات من جريدة العروة الوثقى أولا ثم أفكار أصحاب هذه الجريدة جمال الين الأفغاني ومحمد عبده. كان للعروة الوثقى، وهي جريدة أصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده من باريس، الأثر الحاسم في إثارة الأسئلة الكبرى في حياة رشيد رضا وممارسته حول الإسلام كدين ودولة.

يقول رضا عن تأثير العروة الوثقى فيصفه في قوله:

"كان كل عدد منها كسلك من الكهرباء اتصل بي فأحدث في نفسي من الهزة والانفعال والاشتعال ما قذف بي من طور إلى طور ومن حال إلى حال".[56] يذكر إبراهيم العدوي عن هذا "إن اتصال رشيد رضا بالعروة الوثقى أدى إلى دخوله في عهد جديد من حياته العلمية وكفاحه في ميدان الإصلاح".[57]

ومن جهة أخرى يؤكد رشيد رضا أنه أخذ من شيوخه الكثير من العلم والأدب، والزهد وما إلى ذلك وتأثر ببعضهم، واستفاد منهم، كما يستفيد أي تلميذ من أستاذه. فكان مواظبا على حضور

[56] محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، مجلد 1، ص 203.

[57] إبراهيم أحمد العدوي: رشيد رضا الإمام المجاهد، ص 70.

دروس نفر منهم، كعبد الغني الرافعي ومحمد القواقجي ومحمود نشابة وحسين الجسر. وسأركز على من كانت علاقة رشيد رضا به وطيدة، في نبذة وجيزة عن حياته.

وفاة محمد رشيد رضا

توفي محمد رشيد رضا في طريق العودة من السويس إلى القاهرة في عام 1935 م الموافق 1354 هـ.[58] وبعد حياة مليئة بالكد والعمل والنشاط من أجل خدمة الإسلام وترقية المسلمين بكل فئاتهم وإصلاح أحوالهم في جميع المجالات، لبى رشيد رضا نداء ربه. وأثناء عودته من السويس حيث كان للشيخ وهن وتعب وأحس بألم بجسده، إذ كان رحمه الله مصابا بضغط الدم وقد حذره الطبيب لعواقب نشاطه، لكنه رفض للراحة. وختم حياته بالحسن، حيث روى من حضر وفاته أن السيد رشيد رضا انصرف إلى قراءة القرآن، وما زال يقرأ حتى فاضت روحه دون أن يشعر به من كان معه بالسيارة. وكانت آخر آية فسرها الشيخ رشيد رضا هي قوله تعالى: "رب قد ءاتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين}، قال في نهاية تفسيره لها: {فنسأله تعالى أن يجعل لنا خير حظ منه بالموت على الإسلام}.

دفن بجوار أستاذه محمد عبده، وأقيمت لتأبينه حفلة في جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة وفي مسرح قصر الجمعيات الفرنسية في تونس وفي جمعية الشبان المسلمين ببغداد وفي مدرج الجامعة السورية بدمشق أقامها المجمع العربي وغيرها.

[58] مجلة المنار.

فقد كان السيد رشيد رضا نسيج وحدة في هذا العصر فقيها في الدين وعليما بأسرار التشريع وإحاطة بعلوم الكتاب والسنة إذ كان له منزلة كاملة في معرفة أحوال الزمان وسير العمران والاجتماع.

وقد رثاه الكثيرون شعرا ونثرا. وأثنى عليه العديد من العلماء المعاصرين. يقول شكيب أرسلان عن رشيد رضا:

"صاحب المنار فارس الحلبة الذي لا يجاريه مجار، وإمام المحراب الذي يصلي وراءها الكبار والصغار، لا يوجد من يسد مسده في العالم الإسلامي في الإحاطة والرجاحة وسعة الفكر وسعة الرواية معا، والجمع بين المعقول والمنقول والفتي الصحيحة في النوازل العصرية والتطبيق بين الشرع والأوضاع المحدثة".[59]

يقول مصطفى المراغي عن رشيد رضا "كان رشيد رضا رجلا عالما عاملا، غيورا مخلصا للإسلام، محب كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وآثار السلف الصالح، وقف حياته لخدمة دينه والأمم الإسلامية وكان شجاعا في الحق لا يهاب أحدا ولا يجامل ولا يحابي".[60]

الشيخ ناصر الدين الألباني أثنى عليه بقوله: "السيد محمد رشيد رضا -رحمه الله – له فضل كبير على العالم الإسلامي بصورة عامة، وعلى السلفيين منهم بصورة خاصة. ويعود ذلك إلى كونه من الدعاة النادرين الذين نشروا المنهج السلفي في سائر أنحاء العالم

[59] محمد رشيد رضا: مجلة المنار، 32-2، ص 133.

[60] نفس المرجع، 35-5، ص 1.

بواسطة مجلته "المنار" وقد جاهد في سبيل ذلك جهدا يشكر عليه، ويرجى أن يكون أجره مدخرا له عند ربه".[61]

أصيب العالم الإسلامي بفقد رجل عظيم من رجال الاصلاح الإسلامي، وعالم عامل من علماء العمران، وحكيم من حكماء الاجتماع البشري. ونعى الفقيد بعض الأقطار الإسلامية على المآذن، وصلى عليه صلاة الغائب في بلاد كثيرة ولا سيما في المساجد الثلاثة: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وبيت المقدس.[62]

[61] محمد بن علي الشيباني: حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، 400/1.

[62] محمد رشيد رضا: مجلة المنار، 35–2، ص 153.

الفصل الثاني

شيوخ الشيخ محمد رشيد رضا

تأثر الشيخ محمد رشيد رضا بعدد من الأساتذة في حياته، ولكن لأربعة من أساتذته أكبر أثر على فكره الذي حمله ونشره في الآفاق فيما بعد من حياته. وهم: الشيخ محمود نشابة (1228 هـ/ 1813 م – 1308 هـ/ 1890 م)، الشيخ عبد الغني الرافعي (1236 هـ/ 1821م – 1308 هـ/ 1891 م)، الشيخ حسين الجسر (1261 هـ/ 1845 م – 1327 هـ/ 1909 م)، الشيخ محمد عبده (1265 هـ/ 1849 م – 1323 هـ/ 1905 م).

الشيخ محمود نشابة 1228 هـ /1813 م – 1308 هـ/ 1890 م

يعتبر المحدث الذي تلقى عنه رشيد رضا علم الحديث رواية ودراية في أول طلبه العلم. أما الشيخ فهو محمود بن محمد بن عبد الدائم الشهير بنشابة. قال عنه رشيد رضا:

"أقام في الأزهر زهاء ثلاثين سنة، طالبا ومدرسا، وأتقن جميع ما يدرس فيه حتى علم الجبر، ثم قضى بقية عمره في طرابلس في تدريس تلك العلوم. وكان شيخ الشافعية والحنفية جميعا، وقلما أتقن أحد فقه المذهبين مثله. وقد أدركته في أوائل الطلب وقرأت عليه الأربعين النووية وأجازني بها قبل الشروع في طلب العلم، ثم كنت أحضر درسه لشرح البخاري في الجامع الكبير، وأقرأ عليه صحيح مسلم بداره، وما عرفت قيمته وتفوقه على جميع من لقيت من علماء الإسلام في علومه إلا بقراء صحيح مسلم عليه، فإنني كنت أقرأ عليه المتن فيضبط لي الرواية أصح الضبط من غير مراجعة ولا نظر في شرح، وأسأله عن كلما يشكل لي من مسائل الرواية والدراية، فيجيبني عنها أصح جواب، وكنت أراجع بعض تلك المسائل بعد الدرس في شرح مسلم، وغيره ولا أذكر أنني عثرت

له على خطأ في شيء منها. وقد أعطاني في شرحه للبيقونية في مصطلح الحديث بخطه فقرأت. وقد رثيته بقصيدة أنكر منها هذه الأبيات للدلالة على ما كان له من المكانة في نفسي وقتئذ مع القول بأن هذه المكانة لم تتغير إلى اليوم". [63]

الشيخ عبد الغني الرافعي 1236 هـ/ 1821 م – 1308 هـ/ 1891 م

هو عبد الغني بن أحمد بن عبد القادر الرافعي البساري الفروقي. تعلم منه رشيد رضا بعض الإصطلاحات الحديثية والأصولية واستفاد من تصوفه وأدبه. وقال عنه:

"كان فقيها مدققا وصوفيا وأديبا وشاعرا وناثرا وله في ذلك ذوق خاص أدركناه في شيخوخته قوي الجسم والعقل والذاكرة وولي إفتاء طرابلس وولي القضاء لولاية اليمن. وفيها عرف سيرة الإمام الشوكاني فاقتنى كتاب نيل الأوطار وشرح منتقى الأخبار ولماعاد إلى طرابلس كان يقرأه فأخذت منه شيئا من الاصطلاحات الأصولية والحديثية ولكنني كنت مبتدئا". [64]

وإذا كان رشيد رضا قد أخذ من شيخه، فإن شيخه أخذ منه توظيف المقاصد وأهميتها في فهم المعنى فقال: "قد حدث يوما أن قرأت عليه شيئا من الإحياء. فانتهيت في القراءة مرة إلى فصل في الحكايات التي يذكرها أبو حامد الغزالي في بعض الأبواب كحكايات المتوكلين والأسخياء فاستوقفني الشيخ وقال: إنني مستغرب لحشو المصنف هذه الحكايات في هذا الكتاب، وكله علم وتحقيق، لولا هذه الحكايات! قلت: إنني أرى هذه الحكايات من أهم مقاصد الكتاب فإنه كتاب تربية وإنما تتم التربية بالتأسي والقدوة، فالترغيب في السخاء بالآثار المروية والحكم المعقولة لا يبلغ تأثيره وحده ما يبلغه ما نرى في هذا الكتاب وغيره من ذكر حكايات الأجواد من السلف.

---

[63] نفس المرجع، 21–3، ص135.

[64] نفس المرجع، ص 153.

وإنما كمال التربية في الجمع بين الترغيب بالقول والقدوة بالعمل. فقال لي: أعيذك بالواحد من شر كل حاسد، إنني أقرأ هذا الكتاب من قبل أن تخلق وقد قرأته مرارا وأنا أفكر في هذه المسألة وأنتقدها على المؤلف ولم يخطر في بالي هذا الغرض الواضح الذي لا شك أنه كان يرمي إليه – رضي الله عنه–. وكان يذكر هذا الجواب في كل مجلس من مجالسه العلمية والأدبية عقبه".[65]

الشيخ حسين الجسر 1261 هـ/ 1845 م – 1327 هـ/ 1909 م

هو حسين بن محمد بن مصطفى الجسر الطرابلسي الحنفي، عالم، أديب، صحافي. ويعتبره رشيد رضا الأستاذ الأول له، كانت علاقته به أقوى، فقد أحبه وتأثر به لما خصه به من اهتمام وعناية منذ شاهده في السنة الأولى بالمدرسة الوطنية. فقد أخذ منه جل العلوم العقلية والنقلية ما عدا الحديث والفقه الشافعي فقد أخذه من الشيخ محمود نشابة. كان الشيخ حسين الجسر الأزهري وحيد بين علماء سوريا بجمع بين علوم الشرع وعلوم العصر.

إلا أن رشيد رضا كان يأخذ على شيخه الجسر مداراته وعدم جهره بالحق الذي يعتقده حيث قال عنه: "ولولا مبالغته في مداراة الجامدين من المعممين وكذا العوام أيضا لكان ثالث السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في زعامة الإصلاح، وإنني قد صارحته باستنكار هذه المبالغة في المداراة مشافهة له، وهو ما انتقدته على كتاب الرسالة الحميدية له من إيراد المسائل العلمية التي لا شك فيها بعبارات تدل على الشك فيها".[66]

الشيخ محمد عبده 1265 هـ/ 1849 م – 1323 هـ/ 1905 م

[65] نفس المرجع.

[66] نفس المرجع.

الشيخ محمد عبده هو من نال على نصيب الأسد من فكر الشيخ رشيد رضا. ودليل ذلك كتابته تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، وإكماله لتفسير المنار الذي ابتدأه الشيخ محمد عبده. والشيخ محمد عبده هو تلميذ الأفغاني وتأثر به تأثرا شديدا.

ولكن رضا لم يلتق بالأفغاني، غير أنه كان حريصا للتواصل معه عبر الرسائل والمكاتبات. وكان رشيد رضا شديد الحرص على متابعة تاريخ الأفغاني ونضاله السياسي. بين عن هذا جيدا في الفصل الذي خصصه رشيد رضا للأفغاني من كتابه المشهور الأستاذ الإمام.

الشيخ محمد رشيد رضا ومحمد عبده

بعد التقاء رشيد رضا روحيا وفكريا مع العروة الوثقى ثم كان اللقاء الأول عندما زار محمد عبده طرابلس بعد رجوعه من باريس وإقامته في بيروت عام 1314 هـ/ 1896 م، ويدرس في المدرسة السلطانية. كان اللقاء الثاني أيضا في طرابلس حين زارها محمد عبده اثناء إقامته في لبنان لمدة أسبوع قضاها لدى الأستاذ عبد العزيز سلطان صديقه وزميله في التدريس في المدرسة السلطانية. ثم ذهب إلى مصر مقتفيا أثر الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله، فلقيه في عام 1315 هـ/ 1897 م.[67]

وفي هذه اللقاءات بينهما تم تناقش الكثير من المواضع التي تطلبت بحثا وخبرة. وتعلقت نفس رشيد رضا بمحمد عبده تعلقا بالغا كما أنه بقي على اتصال معه حتى بعد مغادرته سورية إلى مصر.

حاول رشيد رضا أن يتصل بالأفغاني لينهل من ينبوعه الذي شكلت أفكاره العروة الوثقى. ولكنه كان قد أخذ يطوف في بعض بلاد الإسلامي والأوروبي قبل أن يستقر نهائيا في الآستانة سنة

[67] شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة، ص 6.

1310 هـ/ 1892 م. وبذلك باءت محاولات رشيد رضا بالفشل بالرغم من محاولات أصدقائه وخطاباته التي أرسلها إلى الآستانة.

وفي الحقيقة كانت هذه اللقاءات الروحية والفكرية التي تمت بين رشيد رضا وأستاذه محمد عبده عن طريق العروة الوثقى أولا ثم الاتصال الشخصي ثانيا واللقاء مع الأفغاني ساهمت في بناء شخصية رشيد رضا الإصلاحية فأكمل البناء الذي كانت قد وضعت أساساته قبل ذلك خاصة مما كان قد استمده في حياته الأولى.

وفي الحقيقة أن العروة الوثقى التي اعتبرت العودة إلى قواعد الدين الإسلامي والأخذ بأحكامه العلاج الناجح للأمة الإسلامية. وحددت مناهجها في العمل من أجل المقاومة ضد الغزو الأوروبي الذي هدد العالم الإسلامي خاصة بعد احتلال الإنجليز لمصر. وأخذ رشيد رضا دعوة العروة الوثقى إلى حث الشرقيين على التضامن ودعوتها الدولة العثمانية للدفا ع عن مصر والعالم الإسلامي ضد الإنجليز. والمقالات التي كتبتها العروة الوثقى في هذا الموضوع أصبحت الأساس الذي أقام عليه رشيد رضا سياسته فيما بعد تجاه العثمانيين.

انفصلت الآراء المشتركة التي كانت بين الأفغاني ومحمد عبده بعد إغلاق جريدة العروة الوثقى. وبدأ يأخذ منهجهما اتجاها خاصا به. فجمال الدين الأفغاني كان يرى سبيل الإصلاح والتجديد عن طريق السياسة، وأما عبده يرى أن الإصلاح والتجديد يأتي عن طريق التربية والتعليم، أي أن الأفغاني يرى أن تجديد الأمة بإصلاح الدولة، بينما يرى عبده أن تجديد الدولة بإصلاح الأمة.

وخرج رشيد رضا من كل ذلك بحقيقة واضحة وهي أن الإصلاح عن طريق السياسة أدنى وأسرع وأن الإصلاح عن طريق التعليم أثبت وأدوم، ولكن كل منهما يفضي إلى الآخر. وقبل أن يحدد رشيد رضا منهجه وقعت أحداث دفعته إلى خضم الإصلاح العام وجعلته يمزج بين وجهتي نظر

الأفغاني ومحمد عبده. وهذه الأحداث تمثلت بالجو الذي كان يسود سورية ووفاة جمال الدين الأفغاني في سنة 1315 هـ/ 1897 م. ولم يجد رشيد رضا مخرجا من ذلك إلا الهجرة إلى مصر ليلحق بمحمد عبده ويعمل فيها معه.

ولرحلة رشيد رضا عوامل عديدة بالإضافة إلى ما سبق. يقول رشيد رضا: "ضاقت علي المملكة العثمانية بما رحبت وعزمت على الهجرة إلى مصر لما فيها من حرية العمل واللسان والتعلم من مناهل العلم العذبة الموارد من طرق الذشر الكثيرة والمصادر وكان أعظم ما أرجوه من الإستفادة في مصر، والوقوف على ما استفاده الشيخ محمد عبده من الحكمة والخبرة وخطة الإصلاح التي استفادها من صحبة السيد جمال الدين وأن أعمل معه وبإرشاده في هذا الجو الحر". [68]

ووصل رشيد رضا إلى شاطئ الإسكندرية سنة 1316 هـ/ 1898 م، ثم توجه إلى القاهرة حيث يقيم الشيخ محمد عبده، وقال رشيد رضا: " إن غرضه من الهجرة إلى مصر هو تلقي الحكمة عن محمد عبده".[69]

كانت أهم نتيجة لوصول رشيد رضا إلى مصر والتقائه بمحمد عبده عام 1316 هـ/ 1898 م هي صدور المنار في القاهرة. أصدر رشيد رضا أول عدد من مجلة المنار في تلك السنة، والتي ذاع صيتها وبلغت منزلا رفيعا في نفوس المسلمين شرقا وغربا. اتفق معظم المؤرخون على أن أهم أثر رشيد رضا هو مجلة المنار، التي صدر منها 34 مجلدا حتى وفاة رشيد رضا عام 1354 هـ/ 1935 م. وكان صدورها على شكل جريدة. وإن العدد الأول فيها صدر كجريدة أسبوعية من ثمان صفحات وفي السنة الثانية تحولت إلى مجلة شهرية.

---

[68] محمد رشيد رضا: المنار والأزهر، ص 191.

[69] إبراهيم أحمد العدوي: رشيد رضا الإمام المجاهد، ص 127.

واشترك بعد ذلك بعشر أعوام في إنشاء جمعية الجامعة العربية. وله محاولات عدة للتوفيق بين العرب والأتراك. شغل السيد محمد رشيد رضا منصب رئيس المؤتمر السوري العام، كما اشترك في المؤتمر السوري الفلسطيني الذي أقيم بجنيف في عام 1344 هـ/ 1925 م، وعدد من المؤتمرات الإسلامية الأخرى والتي أقيمت بالحجاز والقدس.[70]

لقد أثبت رشيد رضا أن علمه إلهامي من الله عز وجل، وليس بتوجيه من أبيه أو شيخ من الشيوخ فقط يقول:

"إذا كان بعض ما يكتسب عادة بإرشاد المربي والمعلم فإنه قد كان عندي أشبه بالوحي الإلهامي إذ لم يعن والدي ولا غيره من أساتذتي بتوجيهي إلى وجهة معينة في العلم ولا في العمل ولا الاستعداد للمستقبل". [71]

[70] نفس المرجع، ص 31-32.

[71] محمد رشيد رضا: مجلة المنار، 33-7، ص 536.

الفصل الثالث

آثار الشيخ محمد رشيد رضا

لقد ذكر رشيد رضا في مجلته "المنار" كل مؤلفاته، وبعد وفاته جمعت هذه المؤلفات بحسب المواضيع بالإتقان، مع التعريف بين ما كان منها من تأليف رشيد رضا، وما كان بتحقيقه وإشرافه.

مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن:

1. فضائل القرآن لابن كثير
2. ترجمة القرآن
3. تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار:

وتفسير المنار هو من أهم مؤلفاته، يقع في اثني عشر مجلدا، وقد استكمل فيه ما بدأه شيخه محمد عبده الذي توقف عند الآية 125 من سورة النساء، وواصل رشيد رضا تفسيره حتى بلغ الآية 52 من سورة يوسف حسب التفسير المطبوع، وحسب مجلة المنار فقد بلغ الآية 101 من هذه السورة، وحالت وفاته دون إتمام تفسيره.

وهذا التفسير غني بالمأثور عن سالف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وبأساليب اللغة العربية، ويشرح الآيات بسنن الله الاجتماعية بأسلوب رائع، ويكشف عن المعاني بعبارة سهلة ويوضح كثيرا من المشكلات، ويرد على ما أثير حول الإسلام من شبهات خصومه، ويعالج أمراض المجتمع بهدى القرآن. ويبين الشيخ رشيد رضا بأن هدفه من هذا التفسير هو: فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة.

وهو من أجل التفاسير حسب قول كثير من العلماء المعاصرين والمحدثين وهذا بعض ما قيل عنه. قال عنه بهجت البيطار: هو أفضل تفسير للمسلمين في هذا العصر لا يقوم به أقدرهم عليه، لا أولاهم به، وأنه لا يسد مسده تفسير آخر، لأنه يستمد من قوى هذا العصر وحقائقه...[72]

قال عنه أبو إسحاق طفيش: تفسير المنار من أسمى التفاسير، وأوفرها ثروة وأشملها لحقائق من التفسير مفقودة من مناهج المفسرين، وليس السيد مفسر المنار ممن يحشر ما هب وما دب، ويجمع مايملأ الأوراق ...والحق يقال تفسير ممتع بطلاوته مبدع في أسلوبه، جامع في إلمامه لمقتضيات الآية.[73]

قال عنه محمود أبو رية: إن هذا التفسير خير ما وضع لبيان مقاصد كتاب الله، وشرح أحكام دينه في عقائده وعباداته، وفضائله، وآدابه، وحلاله، وحرامه، كما أراد الله أن تكون، لا كما أراد آرائهم وأهوائهم، وإنه فيض إلهي أفاضه الله على قلب وارث النبوة السيد محمد رشيد فخرج آيات تكشف عن نور القرآن الكريم، ليبدو في هذا العصر كما بدا في زمن البعثة النبوية والصدر الأول زاهرا باهرا. إنه يخيل لي وأنا أتلو هذا التفسير الجامع كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يملي على مفسرنا الإمام معاني آيات الكتاب العزيز، ويبين للمسلمين أصول العقائد الإسلامية والمقاصد الدينية، كما أراد أن يبلغها عن ربه بريئة من شوائب الشرك وغواشي الوثنية. وأرى أن تفسير المنار هو التفسير الوحيد الجامع لكل العلوم والفنون، ففيه علم الفقه وأصوله، وعلم الحديث، والعقيدة، وعلم الاجتماع، وعلوم اللغة، وعلم الأحياء، وعلوم الأرض، ولا يمكن لأي طالب علم أن يستغني عنه.[74]

---

[72] نفس المرجع، 33-9، ص 697.

[73] نفس المرجع، 32-2، ص 109.

[74] نفس المرجع، 34-3، ص 214.

مؤلفاته في أصول الدين:

1. الخلافة
2. السنة والشيعة
3. الهداية السنية والتحفة الوهابية لابن سحمان
4. الرسائل والمسائل
5. التوسل والوسيلة
6. إنجيل برنابا
7. شبهات النصارى وحجج الإسلام
8. يسر الإسلام في النهي عن السؤل
9. كليات الدين
10. الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية، وهي أول مؤلفاته، دونه أثناء طلبه للعلم في الشام.
11. الوحي المحمدي: يعد هذا الكتاب من أجل مؤلفات رشيد رضا، وأمتعها، وقد سئل: ما أحب كتبك إليك وآثرها عندك؟ قال: الوحي المحمدي.[75] فقد أثبت فيه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالبراهين العقلية والعلمية، وأورد الشواهد التاريخية والحسية الكثيرة، ورد ضلالات المنحرفين عنها، وأبان حقيقة الإسلام، كما تكلم فيه عن إعجاز القرآن مفسرا آيات التحدي الواردة في سور البقرة ويونس وهود. وقد كتب عنه بعض الأعلام من أئمة الإسلام، ذاكرين كثيرا من خصائص هي مزاياه، وقد قيل عن الكتاب الكثير، ومنهم:

[75] نفس المرجع، 20-15، ص 201.

عبد العزيز بن عبد الرحمان الفيصل، ملك المملكة العربية السعودية آنذاك إذ قال في رسالة بعث بها إلى مؤلفه:

"فكان كتابكم من أبلغ القول في إظهار حجة الله القائمة على عباده يدعو من كان له قلب إلى دين الحق ويبين للجاحد الملحد بطلان حجته فجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين خيرا."[76]

مؤلفاته في الفقه:

1. مناسك الحج
2. مسائل أحمد لأبي داود
3. المغني لابن قدامة
4. الفروع لابن مفلح
5. الربا والمعاملات في الإسلام

مؤلفاته في التاريخ:

1. المولد وخلاصة السيرة
2. الوهابيون والحجاز
3. تاريخ الأستاذ الإمام: ويقع هذا الأخير في ثلاثة مجلدات، لكن في رأي جل المؤرخين والمهتمين بذلك أن رشيد رضا نوى أن يكتب المجلد الرابع لكن وافته المنية قبل ذلك حيث قال: "صدر من هذا التاريخ ثلاثة أجزاء الأول في ترجمة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده. والثاني في منشآت الأستاذ الإمام العلمية بأنواعها، والثالث في أهم ما قيل

[76] رشيد رضا: الوحي لمحمدي – ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدنية إلى الإسلام دين الأخوة الإنسانية والسلام، ص 315.

فيه من التأبين والمراثي والتعازي التي نشر أكثرها في الجرائد والمجلات، وسيكون الرابع في آثار قلم أستاذنا علمية وأدبية ومكاتبات بعض العلماء والأدباء والقراء له ومختارات مما مدحه بها الشعراء وغير ذلك إن شاء الله".[77]

وقال عنه شكيب أرسلان: "إن فيه من الفوائد التاريخية ما لا يوجد في كتاب آخر فقد حوى أخبار جمال الدين الأفغاني وهو الأول، والآخر في الإحاطة بتاريخ محمد عبده، وفي هذا التاريخ أيضا تواريخ أخرى لا توجد إلا فيه، مثل تاريخ نهضة مصر وتاريخ الأزهر وتاريخ نهضة الإسلام الحديثة، ثم إن في هذا الكتاب من الأخبار والسياسة والروايات المأثورة من أعاظم الرجال كما أن فيه من الفوائد الشرعية، ومن الحلول الوجيهة للإشكالات الحديثة والمسائل العصرية ما لا تأتى في مجموع آخر".[78]

مؤلفاته في الإصلاح ومواضيع متفرقة:

1. الوحدة الإسلامية
2. المنار والأزهر
3. محاورات المصلح والمقلد
4. نداء للجنس اللطيف
5. مساواة الرجل للمرأة
6. محاضرات طبية إسلامية
7. البلاغة للجرجاني

---

[77] محمد رشيد رضا: مجلة المنار، 33-8، ص 635 .

[78] نفس المرجع، 32-2، ص 133.

8. فتاوى السيد رشيد رضا، جمع صلاح الدين المنجد –6 مجلدات – والجدير بالذكر أن أكثر هذه المؤلفات قام هو نفسه بطبعها في مطبعة المنار.

9. مجلة المنار: وهي جريدة أن تكون المعلمة الإسلامية الكبرى التي لا يستغني مسلم في هذا العصر عن اقتنائها، وتقع في خمسة وثلاثين مجلدا، كل مجلد يزيد على تسع مائة صفحة حوت العديد من المقالات الدينية، والاجتماعية، والتاريخية وبعض الخطب المهمة لصاحبها أو لغيره، ومن الأبواب القارة فيها: "باب المراسلة والمناظرة" و"آثار علمية وأدبية" و"باب الأخبار والآراء" و"تراجم الأعيان"، إلى جانب وجود مساحات فيها للأدب والشعر والقصة وما إلى ذلك. وشارك رشيد رضا الكتابة في المنار أعلام الأمة من الأدباء والشعراء والعلماء.

توقفت المجلة عن الصدور سبعة أشهر بعد وفاة رشيد رضا، ثم أسندت رئاسة تحريرها إلى أحد علماء سوريا المعروفين وهو"بهجت البيطار" فقام بتحريرها، وحاول إكمال التفسير الذي كان ينهض به رشيد رضا، فأتم تفسير سورة يوسف، ثم توقفت المنار مرة أخرى لمدة ثلاث سنوات لتعود ثانية بعد أن أسندت أسرة الشيخ إصدار المجلة إلى الشيخ "حسن البنا" مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، وكان مقدرا للمجلة وصاحبها، ولأنه رجل مثقل بالمسؤوليات الكثيرة لم يتمكن من الاستمرار، وتوقفت المجلة نهائيا عن الصدور بعد أن صدر منها ستة أعداد على مدى أربعة عشر شهرا، وذلك في سنة 1359 هـ/ 1940 م.[79]

[79] شكيب أرسلان: مجلة المنار، 35–5، ص 1.

الفصل الرابع

منهج الشيخ محمد رشيد رضا في حركة الإصلاح والنهضة

عاصر محمد رشيد رضا إحدى أخطر زمان في تاريخ الأمة العربية والإسلامية، حيث نهاية الخلافة العثمانية، ودخول الإستعمار الغربي للعالم الإسلامي. مثلت تلك المرحلة من تاريخ المسلمين إنتقالا جذريا في عدة مجالات. تفاجئ المسلمون في ذلك الوقت بالسقوط السريع للدولة العثمانية، لا لتنال شعوب وأقاليم التركي إستقلالها ولكن لتسقط في أيدي الإستعمار الأوروبي، ولتجد نفسها أمام تحدي عسكري وثقافي مناقض لفكرها. واحتل أرض فلسطين وولد ما عرف بإسرائيل بين الشام ومصر لتمزق ما بقي من وحدة جغرافية عربية.

ومع ذلك شهد الشيخ رشيد رضا انتشار البدع وسيادة العقلية الخرافية على المجتمعات الإسلامية، فانصرف إليها وحذر منها. وكان ينشر في مجلة المنار المقالات العديدة تتقية للدين من العلل وزجرا لبعض المسلمين ممن اعتاد التبرك بالأشجار والصالحين والكواكب والقبور وغيرها.

يقول السيد محمد رشيد رضا: "ثم اتفق لي أن كنت أقلب في أوراق والدي (رحمه الله تعالى) فرأيت عددين من جريدة العروة الوثقى فقرأتهما بشوق ولذة ففعلا في نفسي فعل السحر فطفقت أبحث عن سائر الأعداد فوجدت بعضها عند والدي ووجدت الباقي عند أستاذي الشيخ حسين الجسر. فانتقلت بذلك إلى طريق جديد في فهم الدين الإسلامي".[80]

[80] محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، ج1، ص 84.

تعرف رشيد رضا النقطة الأساسية عن الدين الإسلامي، وأدرك هذه النقطات بعد قراءة جريدة العروة الوثقى. وكان فهمه قبل ذلك أن الدين الإسلام هو أعمال لنيل نجاة في الحياة الآخرة فقط، فتغيرت هويسه بعده، يبين رضا هذه النقطة الأساسية بقوله:

"وهو أنه – أي الدين الإسلامي– ليس روحانيا أخرويا فقط، بل هو دين روحاني جسماني أخروي دنيوي من مقاصده هداية الإنسان إلى السيادة في الأرض بالحق ليكون خليفة الله في تقرير المحبة والعدل فتعلقت نفسي بعد ذلك بوجوب إرشاد المسلمين عامة إلى المدنية والمحافظة على ملكهم ومباراة الأمم العزيزة في العلوم والفنون والصناعات".[81]

لم يكن اتجاه السيد رشيد رضا واندفاعه نحو العروة الوثقى ترفا فكريا ولا هواية فردية، بل وجد رضا في تلك المجلة دواء لداء الأمة الذي تعانيه، ووصفا لدواءها المناسب لتنهض مرة أخرى. وقد وصف تخلف الأمة بقوله:

"أي نقطة في الوجود من نقاط الأرض يكون فيها من حال المسلمين مالا يتصدع لها القلوب وتتفطر بها الأكباد وخرجت الممالك من أيمانهم واضمحلت الدول التي بقيت في أيديهم وصاروا في العالم كأنهم اللعبة تتداولها أيدي الأجانب لا يحس فيهم شيء من آثار الثروة ولا عندهم ميل إلى التجارة والصنعة بل هم زاهدون فيها يستجلبون السرج والفرش للمساجد والصوامع من أرض الفرنج ولا يتخذون من ذلك شيئا بأنفسهم وأيديهم".[82]

---

[81] نفس المصدر ، ص 85.

[82] نفس المصدر، ص 537.

لم يتوانى محمد رشيد رضا في تنبيه بعض تبعات التخلف على علماء الأزهر وجمودهم الفكري، وعدم نظرهم في علل سقوط الحضارات ونهوضها كما سبق أن ضرب مثال اليابان وحالها. كما انعقد عليهم الاشتغال بفقه الحيض والنفاس وبعض الطقوس الظاهرية، ومع ذلك أهمل فقه ترقي الأمم وانحطاطها.

وفي عصر الشيخ رشيد رضا كانت الأمة الإسلامية مشوهة الفكر وضئيلة الإقتصاد وقرارها السياسي بيد غيرها، حتى دينها الحنيف الذي تفتخر به كُدِّرَ بالبدع والخرافات والعقائد الفاسدة. فأدرك السيد رشيد رضا أن هذه المرحلة تستلزم انتشار العلم الصحيح والشمولية في الإصلاح الأمة. وتتابعت هذه الرؤية في بقية حياته كما سنرى. كانت البيئة السياسية والإجتماعية مليئة بالعوائق العملية والفكرية لمشروع الإصلاح الذي تبناه. لا سيما وأن مشروع الإصلاح الذي ابتدأه الأفغاني وعبده، وأراد رضا إكماله، تعرض لتحديات بيئية كبرى ظهرت أغلبها في عصر رشيد رضا.

تفرد السياسية في عصره بعدة أحداث التي رجت ضمائر المسلمين، منها تساقط الدولة العثمانية، وفقدان الوحدة السياسية للأقاليم الواقعة تحت ولايتها بتمزق إقليمي وتدخل أوروبي عسكري وثقافي مباشر، والبدء في مخطط الإحتلال على الأراضي الفلسطينية. توالت تلك الأحداث في وقت متقارب، واندلعت الحرب العالمية الأولى، وانتهت بسقوط الخلافة لتجد المنطقة نفسها في وضع جديد لم يسبق له مثيل في تاريخها الحديث، وركز السيد محمد رشيد رضا نفسه عن مشروع إصلاحي شامل للخروج من هذا المأزق.

وقد ظهرت عقب الحرب العالمية الأولى الأحزاب المنادية بالانفصال عن الحكم التركي والإستقلال العربي، ومنها من رفع شعار القومية العربية. وبعضها نهج بقوى الغرب الثقافية فآمن

يقينا أن الدواء في استجلاب الغرب ثقافيا وماديا. وفي الإتجاه المقابل كانت تلك الجماعات التي تنادي بالولاء للسلطان العثماني المطلق دون أي إصلاح أو ترشيد. وفي التركي قويت الحركة الكمالية مناهضة للخلافة العثمانية وكانت رؤيتهم العلمانية المتطرفة. فكما مرت الأيام وازداد ضعف الخلافة، وازداد المشهد السياسي للأمة تعقيدا. أما في العالم فقد انفجرت الثورة البولشوية في روسيا قاضية بنهاية حكم قيصر، ومنذرة بوضع جديد أيضا لشعوب آسيا الوسطى المسلمة. ودخلت جيوش إيطاليا في القارة الإفريقي وليبيا فبدأت حركات المقاومة تتكون في شرق وشمال إفريقيا.[83]

من الطبيعي أن يكون للحالة السياسية المذكورة آثار إقتصادية جلية وكان هذا مغمور بالتحديات السياسية حتى ما اصطدم الشرق بالآلة العسكرية الغربية. وأدرك حجم الفجوة الاقتصادية التي اتسعت خلال أعوام طويلة من الغفلة عن السباق الاقتصادي العالمي. انتقد رشيد رضا التأخر في الصناعات لما رآه اعتماد المسلمين على الغرب حتى في صناعة فرش المساجد وطباعة المصاحف.[84]

وفي هذا الحال فقد المسلمون السيطرة على مواردهم الاقتصادية وباتت بيد القوى الاستعمارية والفئات الحاكمة الموالية لها، والتي بدورها نشرت الفساد المالي والإداري من خلال إشاعة الرشاوى وترويجها وسيلة لتوظيف من يعمل في خدمة مصالحها. وكذلك من غلو البلاد في ديون للإنفاق للغزو الأوروبي ولا يجد للفقراء أي نفع.

ظهر في عصر رشيد رضا تيارين رئيسين، هما تيار الجمود الفقهي الذي يرفض حركة الاجتهاد والتجديد، والذي كان يبتدع في الدين بدلاً من الاجتهاد في أمور الدنيا. والتيار الثاني هو تيار

[83] محمد خروبات، "الإصلاح السياسي عند محمد رشيد رضا"، المعرفة، العدد 26.

[84] محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ، 536/1.

التقليد للغرب الأفرنجي النابذ لكل القيم والمبادئ في الإسلام. ورفض رشيد رضا كلا التيارين وتصدى بحملة توعوية متواصلة عبر كتاباته لتثبيت جذور الحزب الوسط بين أهل الغلو والتسيب.

تركز محمد رشيد رضا كما فعل محمد عبده من قبله على إصلاح التعليم إذ أنهما تعرفا أن التعليم هو أساس الإصلاح في أمور الدين والدنيا، فبدونه لا فرصة لأي أمل لتحرر سياسي أو تقدم إقتصادي. فالعقلية الخرافية والفاسدة التي سادت في المجتمعات المسلمة استنفرت جهد رشيد رضا من خلال مجلته المنار لإزالة الجهل الذي أصاب عميقا، آملا في عودتهم إلى الكتاب والسنة كمنابع نقية للعلم.

انتقد رضا النظام التعليمي والمناهج التعليمية السائدة في مصر آنذاك، في قوله أنها كانت تخرج موظفي دولة فقط لا علماء أمة. كان التعليم عموما والدين خصوصا بحاجة لكثير من الإصلاح في نظر رضا. كان التعليم في عصره يفتقد الواقعية، فأكثر المناهج تعلم النظر المثالي في النصوص فقط دون ربط بالحاضر. كما كان التعليم الديني يعتمد المتون والحواشي المليئة بالقضايا البالية منذ قرون، ولا تعود بأي نفع على واقع المسلمين الراهن.

حاول الشيخ رشيد رضا لتقديم برنامج حضاري إصلاحي شامل، منطلقا من إيمانه متضمنا الإسلام ومؤمنا بأن المسلمين يستطيعون لهم استرجاع حضارتهم لتنير الشرق والغرب بالعلوم المفيدة والاستقرار والسلام. ولذلك بين رشيد رضا في مجلته المنار عن اقتراح الحلول للأزمات الواقعة، حتى انتقل إلى جوار ربه. ولكن جهده لم يكن يكفي في إنقاذ الأمة، لأنه كان جهد فردي، لم يقصر صاحبه في بذل أقصى وسعه بما أوتي من إمكانيات، وقد كانت تنقصه المؤسسية التي لم تتوفر له بشكل كاف في ذلك الوقت.

لم تكن أكثر المؤسسات على وعي كامل بما يقترحه رشيد رضا حتى توفي رضا. فتركت المنار فراغا كبيرا بعد وفاته يفتقده الناس ويشتاقون إليه، فكانت المبادرات المماثلة كالمجلات التي صدرت على نفس أسلوب المنار أو الجهات التي حاولت تطبيق نداءات السيد رشيد رضا المنشورة في المنار. وفيما يلي نناقش خلاصة تلك النداءات التى نادى بها السيد رشيد رضا لإصلاح الفكر والتربية والسياسة والدولة والدين والأخلاق والإقتصاد والمال.

إصلاح الفكر الإسلامي عند الشيخ محمد رشيد رضا

نادى الشيخ رشيد رضا للإصلاح في الفكر والتربية والدولة والسياسة والدين والأخلاق والإقتصاد والمال. ارتكز إصلاح الفكر الإسلامي عند الشيخ رشيد رضا على ثلاثة دعائم. والأولى أن إصلاح الفكر الإسلامي أساسه القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح قبل ظهور الخلافات والطوائف.[85]

والثانية قاعدة التعاون في المتفق عليه، والعذر في المختلف فيه، التي شرحها في المنار. والثالثة دور السنن الكونية في نهوض وانهيار الحضارات، ودعوته إلى الأخذ بنواصي العلوم الطبيعية ونبذ الظلم وترك التقليد.[86]

كما اعتقد الإمام محمد عبده من قبل، آمن السيد رضا بأن الإصلاح التربوي والتعليمي بحاجة إلى مساحة هادئة بعيدة عن المعارك السياسية، ورأى رضا أن الحرية المتوفرة في مصر والهند والمستعمرات الإنجليزية، أكثر من تلك الموجودة في المستعمرات الأخرى التي كان مجرد التدريس للغة العربية فيها يعد جريمة.

---

[85] خالد الفهداوي: العلامة محمد رشيد رضا (عصره، تحديثه، منهجه الإصلاحي)، ص48.

[86] نفس المرجع.

إلا أنه كان هناك تحديا من نوع آخر، وهو نمو قسم من المدهوشين بالإفرنج وعلومهم، التفتوا أبناءهم إلى المنظومة الأخلاقية والتعليمية الإنكليزية. وقد نادى الشيخ رشيد رضا إلى تطور الفكر التربوي الإسلامي من خلال إصلاح المناهج التعليمية والرقي بالأخلاق الحسنة.

فالتغيير يبدأ بالأنفس والغاية منه تغيير الأعمال "وإنما الأعمال آثار العلوم والأخلاق فمتى كان العلم بالحق والباطل وبالمصالح والمفاسد والمنافع والمضار صحيحا كانت الأعمال كلها صالحة مؤدية إلى رفعة الأفراد وكمالهم الديني والمدني".[87] ويختصر رضا أهم محاور الإصلاح التربوي إلى قسمين. أحدهما تربية الطفل، بعيدا عن ما اعتاده البعض من وضعهم في أحضان المربيات الأفرنجيات أو تركهم للبيئة وأهمالهم. والآخر تربية الكبار بإصلاح خطاب الوعظ والإرشاد بتنقيحه من الخرافة والدجل.[88]

---

[87] محمد رشيد رضا: "التربية والتعليم"، مؤتمر التربية والتعليم الإسلامي بالهند. المطبعة الأحمدية. الدشرة الحادية عشر. الهند. 1912 م – 1330 هـ. ص8 – 18.

[88] نفس المرجع، ص 26.

الفصل الخامس

أقسام التربية عند الشيخ محمد رشيد رضا

يقسم الشيخ رشيد رضا التربية إلى أنواع مختلفة باعتبارات مختلفة، بحسب الموضوع إلى تربية الجسد والنفس والعقل وبحسب الموضع إلى تربية منزلية ومدرسية وبحسب المربي إلى تربية المرء لنفسه، والوالدين والأساتذة المدرسين. وبحسب المربى إلى تربية أفراد وتربية أمم.

ويتفرع استقلال الفكر والإرادة عن تربية العقل والنفس. ويتفرع عن كل أقسام التربية فروع مختلفة. والغاية من المباحث التربوية هي الرقي الإنسان إلى درجته المرموق. ففي رأيه الإنسان أضعف من الحيوان في الخلق ولكن تربيته المتكاملة تسخر له الكون بما فيه من جميع مخلوقات.

تربية الأمم ومصادر التربية

وقد وهب الله سبحانه وتعالى الإنسان الحواس والمشاعر والمدارك لتكون أداة الرقي والبحث عن الكمال. ويتفكر بدماغه ويبحث عما حوله، ثم يعمل بجانبه ويبني حاضره بما وصلت إليه الخبرة البشرية والبحث العلمي، ذاك هو أحد مصادر التربية. والمصدر الثاني هو الوحي المنزل من الله تعالى، تزكية لنفوس البشر وطريق عليهم إلى ما لا يستطيعون الوصول إليه بمداركهم وحواسهم الموهوبة لهم من الله سبحانه وتعالى.

أهم أنواع التربية التي اعتنى بها الشيخ رشيد رضا هي تربية الأمم، ويعرفها بأنها "إحداث انقلاب عام فيها ونقلها من طور إلى طور أعلى منه وأرقى في الحياة المادية والمعنوية".[89] ويقول رشيد رضا بأن هذا النوع من التربية هو أشق أنواع التربية بل أشق الأعمال البشرية. فعلوم التربية

[89] نفس المرجع، ص 64.

الإجتماعية كالسياسة والإقتصاد تعلم النابغون في جامعات متخصصة، ولكن يندر فيهم من يستطيع أن يغير أحوال المجتمع بشكل سريع. ذلك أن تغيير الأمة تدريجي، وتربيتها تحتاج لزمان وأجيال حتى تظهر فوائدها.

يمثل رضا النبي محمد صلى الله عليه وسلم أعظم مثال في تغيير الأمم، مات صلى الله عليه وسلم تاركا القرآن كمنهج لتغيير الأمم، ليأخذه أصحابه من بعده، فيتبدل حال أمم وتدخل في الإسلام طائفة دون بذل مال ولا إكراه سيف. ويعتبر رشيد رضا معجزة اجتماعية في تغيير الأمم دون فرض ثقافة الإسلام بالسيف أو فتح مدارس وحض الناس بادخال أبناءهم فيها، ولا مجلات ومقالات تطعن في أديان وتقاليد الأمم الأخرى أو تعظم من شأن الأمة الإسلامية. ومع ذلك تبذل الدول الإستعمارية جهود لإستتباع الأمم لثقافتها ولغتها، ومع ذلك فشلت في صرف الأمم عن تاريخها وذاكرتها التي تعتز بها.[90]

أما تربية البيت، فتعتمد على المرأة، أما وزوجة. والمرأة هي صانعة الرجال، ولذا إن من الضروري أن تكون لها قدرة بمبادئ العلوم العصرية كالجغرافيا والتاريخ مع القدرة على تطبيق القيم الإسلامية في بيئتها وتربية من تحتها على هذه القيم. وكذلك تربية المدرسة تعتمد على الأستاذ الذي يزرع تلك القيم، مع إتاحته فرصة الاجتهاد لطلابه من خلال تشجيعهم على الاستقلال الفكري، ونبذ التقليد. ولذا وجب أن يكون الأستاذ مؤهلا ليكون كفؤا لتحمل هذه الأمانة.

ومن مظاهر الانحراف المسلمين في الأنظمة التعليمية ما آل إليه حال اللغة العربية من تدريس قواعد اللغة مجردة عن غايات التفاعل والتأثر. وقد كانت اللغة العربية تدرس في عصور

[90] نفس المرجع .

الازدهار مصحوبة بالشعر والبلاغة والكتابة حتى تصبح ملكة لدى الطالب فينطلق لسانه بها ويعي قلبه معانيها. ويصف رشيد رضا جمال الدين الأفغاني بـ:

"الحكيم الكبير والمصلح العظيم هو الذي نفخ روح الاصلاح اللغوي والعلمي في مصر وحمل طلابه من الأزهر على الكتابة والخطابة وأرشدهم إلى طرقهما. وكان كاتبا بليغا وخطيبا مصقعا حتى كان يخطب بالعربية عدة ساعات بلا تلعثم ولكنه مع هذا كله ظل إلى آخر عمره يعرف الأعلام التي لا يجوز تعريفها وتظهر العجمة في لهجته وبعض ألفاظه فلم يصقل لسانه بفصاحتها كما كان الزمخشري وأمثاله ممن قال فيهم ابن خلدون أنهم ليسوا أعاجم إلا في النسب".[91]

السياسة والحكم

السياسة والإمامة في فكر رضا لها ارتباط متين بالسنن الربانية في المجتمعات، والحكم الإلهية في تسييرها. ومن ذلك سنة التدافع الحضاري، أو كما يسميها "ابتلاء بعض الشعوب ببعض ليظهر أيها أقوم وأقرب إلى العدل والحق فيكون حجة له على الخلق، ولينتقم من الظالمين، تارة بأمثالهم من المفسدين وتارة بأضدادهم من المصلحين، وتكون عاقبة التنازع للمتقين فالمتقون هم الذين يتقون باب الخيبة، ويسيرون على سنن الله الشرعية والكونية في العمل والصالحون هم الذين يتجنبون الفساد ويسلكون سبيل الرشاد ويقومون ما أعوج من أمر العباد".[92] ودعى رشيد رضا الحكام في كتاباته ليكون العدل والحق أساس توليهم إمارة الخلق.

قسم رشيد رضا الإسلام إلى أمور عامة أو ما أسماه بـ'السياسة المدنية'، والعبادات الخاصة أو ما أسماه بـ'الهداية الدينية المحضة'. وقد سلك منهج الإمام الشاطبي وابن تيمية وغيرهم من

---

[91] نفس المرجع، ص 36.

[92] نفس المرجع.

المحققين في التعامل مع هذين القسمين، حيث ذهب إلى أن الإسلام جاء بالعبادات المحضة كاملة، وأي زيادة في هذا القسم تعتبر غلوا في الدين، ومخالفة لسنة رسول الله، ولو كان في تلك الزيادة خير لأتى بها الصحابة والتابعين. وانتقد الأوراد الصوفية التي اشتغل الناس بتأليفها ويرددونها، أما الصحابة فقد اكتفوا بما ورد في الكتاب والسنة وبذلوا جهدهم في فتح البلاد ونفع العباد ولم يركنوا في الزوايا يرددون الأوراد.

أهل الحل والعقد

ومن أقوى المفاهيم التي تطورت في فكر الشيخ رشيد رضا، هي ما يتعلق بسلطة الأمة ورفض حكم الفرد. ويأكد أن الطاعة هي لأولي الأمر وليست لولي الأمر، فالله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر لا لولي الأمر. فأولي الأمر هم الجماعة التي تكاد تقترن كلمة الإمارة بالجماعة في كل النصوص الشرعية، كنصيحة الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابي عند الفتن بقوله "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم".[93] فولاية الفرد استمدت شرعيتها من سلطة الأمة، ولذا وجب تقييد أحكامه بمشاورة، ولذلك تكون طاعته تابعة لطاعتهم عن طريق أهل الحل وأهل الشورى الذين اختارهم الناس ثقة في قدرتهم على إدارة المصالح العامة، وذلك ليس عن طريق الفقهاء والأمراء. فأولوا الأمر هم الجماعة، والجماعة هم أولوا الأمر.

يريد رشيد رضا بذلك الإقتداء بنموذج السلف الصالح من الصحابة كما فعل الصحابة عند اختيارهم أبا بكر للخلافة، وفي نفس الوقت يوجه هذا الإقتداء ليوضع في تشكيل راهن ممثل في شرط معرفة المعاهدات والمواثيق الدولية.

[93] محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، رقم الحديث 6673.

الفصل السادس

الفكر السياسي عند الشيخ محمد رشيد رضا

يمكن تلخيص الفكر السياسي عند رشيد رضا أنه يرى أن السياسة جزء من الإسلام العام أو ما أسماه بالسياسة المدنية، وهو قسيم العبادات الشخصية. وأن مصدر السلطة في الإسلام يعود إلى الأمة عن طريق أهل الحل والعقد من ذوي العدل والحكمة والكفاءة المنتخبين شعبيا. وبه يختارون من بينهم الأفضل للإمامة، وإن كان المختار متوفر بنسب القرشية كان ذلك أكمل عند رشيد رضا. ويجب على من تقلد للإمامة الشورى الدائمة في كل أمور من الدين والدنيا.

وفي رأيه ليس لذلك الإمام المختار وراثة الحكم، إلا بعد انطباق شروط تولي الإمامة السابقة كاملة ورضى أهل الحل والعقد والأمة بذلك الوريث. ولا يحق لرجل أن يتغلب على الأمة بالقوة وانقلابا بالسلطة ولو كان ذا عصبة وسلاح أو شجاعة وكفاح. وإنما تولى الإمامة برضى الناس لا بالغلبة والانقلاب. وعلى الناس مقاومة الحاكم المتسلط حتى لا يطول العهد مع الموازنة بين مصالح ومفاسد تلك المعارضة. ولرشيد رضا برنامج سياسي لما أسماه حزب الإصلاح السياسي، اجتهد فيه على ضوء فكره السياسي متجنبا غلو حزب الجمود الفقهي وتسيب حزب التقليد الإفرنجي.

رأى رضا أن دور هذه البدايات الشعبية ضروري لإعانة الحكومة والشعب لمواجهة التحديات الاقتصادية في الزراعة والصناعة والتجارة. ودفع الشبهات حول الاشتغال بالتجارة وحذر على دور الشركات الأجنبية في تقوية الاستعمار الأوروبي. ونادى رضا قائلا:

"أيها الإخوان المصريون لا يروعنكم طوفان الاحتلال ولا تقنطوا من النجاح لاستئثار الأجانب بالوظائف والمناصب وعبثهم بالمصالح والمنافع. فنجاح وطنكم بالزراعة

والاقتصاد وحياة أمتكم كلها بالمعارف. ولا حاجة للإسلام بعمارة المساجد فإنها تزيد على حاجة المصلين ولا لإقامة الموالد فإنها من بدع المحدثين وليس الفخار بالنفقات الواسعة في الأفراح والمآتم والولائم، ولا ببناء القصور على القبور وإنما حاجة الإسلام إلى بناء المدارس والنفقات الواسعة على تعميم المعارف وإنشاء الجمعيات لمختلف الأهداف ووقف الأوقاف على جميع المصالح العامة".[94]

فكره عن الدين والأخلاق

يكون النجاة في الدنيا والآخرة بالتقوى. والتقوى ليست في اجتناب المعاصي والذنوب الفردية فحسب بل في البعد عن الذنوب والآثام الجماعية. فالتقوى توجب معرفة سنة الله في الأرض، وقوانينه على الإنسان أفرادا وجماعات. إذا التقوى لا تكون إلا "بمقتضى دينه وشرعه، وبمقتضى سننه في نظام خلقه".[95] وبذلك يحصل الإنسان على ثمرة التقوى، وهي قدرة التفريق بين الحق والباطل والصواب والخطأ وترتيب الأولويات بين الأساسي والثانوي في السياسة والدين وسائر الحقل. وهذا ما سعى إليه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم.

كما قال من قبل برز في عصر رشيد رضا كما تقدم تيارين رئيسين، هما تيار الجمود الفقهي الرافض لحركة الاجتهاد والتجديد، والذي كان يبتدع في الدين بدلا من الاجتهاد في أمور الدنيا. والتيار الثاني هو تيار التقليد للغرب الأفرنجي الخالف لكل قيم ومبادئ الإسلام. وقد اتخذ الشيخ رشيد رضا صحيفة المنار منبرا لتوعية المجتمع بحقيقة دينهم، وتجلية مواضع الخلل في الفكر الإسلامي المعاصر لدى الجماهير، بالإضافة لمحاولة إعادة المسلمين إلى إتجاه الصحيح.

---

[94] أحمد فهد بركات: محمد رشيد رضا، ص 135.

[95] محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، ص 212.

تميز رشيد رضا بالجمع بين علوم الشريعة التراثية والدراية بقضايا الفكر الإنساني عامة. ومن ينظر إلى كتابات رضا يجد الاستشهاد بآيات القرآن الكريم وكتب التراث، كما يتفاجأ بإحالاته إلى مقولات الفلاسفة الأوروبيين. ولذلك كان رشيد رضا عالما فريدا من نوعه في تلك الفترة، مما جعل البعض يرمي بالشك اتجاه السيد رشيد رضا، وقد كانت له سجالات مع عدد من علماء تلك الفترة، ولا سيما أرباب تيار الجمود الفقهي.

رفض رشيد رضا جميع أساليب التقليد والجمود التي كانت في عصره، وابتدأ النضال معها منذ بداية كتاباته. فكان يكتب سلسلة محاورات بين المصلح والمقلد، وغيرها من المقالات القيمة للجدل في وقته. وقد تركزت أفكاره و كتاباته على الدعوة لاسترجاع إلى الكتاب والسنة كمصدرين أساسيين للقانون والإصلاح، وحاول نقد ماعلق بهذين المصدرين من تفسيرات تراثية حالت دون الوصول لهما.

والنقطة المهمة في فكر رشيد رضا الديني هي تفريقه بين "السياسة المدنية" و"الهداية الدينية المحضة" كما بين في الفكر السياسي، أي التفريق بين ما هو واجب الاتباع، وما يجوز أن يكون موردا للاجتهاد. يوضح ذلك بقوله على لسان المقلد: "لا يجوز لأحد أن يرغب عن السنة إذا صحت عنده فقال المصلح أن ذلك مسلم به في الأمور الدينية المحضة وهي التي لم تجعل فيها رأيا لإمام ولا حاكم وأما الأمور السياسية والقضائية فهي محل الشبهة والجواب عنها أنه يجب العمل بالحديث الصحيح فيها إذا لم يناف المصلحة والمنفعة فإن فرض أنه وجد حديث لا ينطبق على المصلحة فإننا نعتبر هذا الحديث معارضا للأصول العامة القطعية المؤيدة بالكتاب والسنة العملية والقولية أيضا كحديث 'لا ضرر ولا ضرار' ونحوه ولا شك أن هذه الأصول مرجحة على

ذلك الحديث الذي فرضنا وجوده لأنه لا يكون إلا من أحاديث الآحاد التي لا تفيد إلا الظن فلا يقال حينئذ إننا تركنا السنة بتركه أو رغبنا عنها وإنما رجحنا منها ما هو أولى بالترجيح".[96]

الوحي في فكر محمد رشيد رضا

كتب الشيخ محمد عبده تفسيرا للقرآن بعد إقناع من تلميذه رشيد رضا، والذي كان يحضر دروس الإمام في الأزهر. إلا أن الأستاذ الشيخ محمد عبده ذهب إلى جوار ربه قبل إكماله كتابة التفسير كاملا، فحمل الشيخ رشيد رضا المسؤولية، وفاء لروح أستاذه وإكمالا لمشروعه. وفي الحقيقة تفسير المنار هي مزيج من فكر وروح ثلاثة أعلام هم جمال الدين الأفغاني المؤثر على محمد عبده أستاذ الشيخ محمد رضا.

وقد حرص الأستاذ محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا على تنقية العقائد عامة ومفهوم الوحي خاصة مما علق بها من آراء فلسفية وتعقيدات كلامية. قال في الوحي المحمدي ناقلا تعريف الأستاذ محمد عبده في رسالة التوحيد:

> "عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت ويفرق بينه وبين الإلهام بأن الالهام وجدان تستيقنه النفس وتساق إليه من غير شعور منها من أين يأتي".[97]

ثم قال رشيد رضا "واعلم أيها القارئ أن تقسيم كلام الله تعالى إلى نفسي قديم قائم بذاته سبحانه ليس بحرف ولا صوت ولاترتيب ولا لغة وكلام لفظي هو المنزل على الأنبياء عليهم

---

[96] جمال البنا: السيد رشيد رضا منشئ المنار ورائد السلفية الحديثة، ص 38.

[97] محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي. ص 82-85.

السلام، ومنه الكتب الأربعة وخلافهم في كونه مخلوقا أو غير مخلوق كله فلسفة وآراء نظرية مبتدعة لم يرد به كتاب ولا سنة".[98]

لم تكن تلك الآراء والجدليات لتصرف محمد رشيد رضا عن دينه، أو أن تكون سببا في نبذه لمبادئه وقيمه فقد كان رشيد رضا ذو نظرة متوازنة للأمور مطلعا على أحوال الأمم والشعوب. يقول رضا في الوحي المحمدي:

"فمن أعظم مزايا هداية الوحي الدينية على العلمية الكسبية هو أن جميع طبقات المؤمنين بها يذعنون لها بالوازع النفسي التعبدي ولذلك ترى الشعوب التي تفاقم فهمها للدين وتزلزل إيمانها به أو زال لا ينفعها من دونه علوم العلماء ولا حكمة الحكماء وقد ارتقت العلوم والحكمة في هذا العصر بل صاروا إلى فوضى في الأخلاق والآداب والاجتماع".[99]

وفي رأي رشيد رضا كان السبب لانحلال الناس عن الأديان هو الشرك والخرافات. لا سيما من تقديس الأشخاص من الصالحين سواء كانوا رهبان أو قسيسون، أدى ذلك إلى بغض الناس للأديان، بل الانصراف عنه تماما كما حدث في أوروبا. وأن وجهاء ألمانيا أرادوا تنقية الكتب المقدسة وإبقاء ما فيه تعظيم الجنس الآري فقط، فحدث كردة فعل على تعظيم الناس للأنبياء وغيرها من الساميين. واستبدال كل ذلك بتقديس شهداءهم في الحروب ورموزهم الوطنيين فقط. وينعتها رضا بقوله: "وإن هذه إلا وثنية كوثنية اليابانيين تنكي سعير العداوة بينهم وبين سائر الأوروبيين".[100]

---

[98] نفس المرجع.

[99] نفس المرجع، ص 91.

[100] نفس المرجع، ص 92.

أما المحيص لهذه الأزمة في الفكر الديني هو العودة إلى دين الله والعودة إلى سنة محمد رسول الله. وأنزل في القرآن ما يكفي لسعادة البشر روحيا وماديا. فوحي الله جاء لإصلاح الأفراد والمجتمعات والرقي بوحدتهم الإنسانية بتنمية مداركهم وتنقية أرواحهم. وميزة القرآن عن بقية المذاهب البشرية هي أن القرآن كتاب تربية وتعليم وليس كتاب تعليم مجرد.[101]

فكره عن مقاصد القرآن

ولأن القرآن الكريم ليس بكتاب تعليم مجرد، يكرر الدروس فيه في عدة مواضع بأساليب مختلفة، ولا يكتفي بعرضها مرة واحدة كما في الكتب التعليمية والقانونية. وكثر في القرآن التكرار حول مسائل التوحيد، ذلك أن كل الديانات أصابتها الشرك بالله عن طريق تشبيه الله بالخلق، فيؤدي هذا إلى عبادة الأوثان. وجاء القرآن لمحق الشرك من النفوس ومحوه من الأذهان مستخدما الحجج البرهانية والأساليب الوعظية. وتربية النفوس على توحيد الربوبية لإبطال شرك الألوهية المعمول به عند أكثر الناس في الغالب. ومن أعظم مميزات رشيد رضا في الفكر الديني هو شديد الإهتمام بمقاصد القرآن وغاياته الكبرى حيث أنه كان ينظر للصورة القرآنية الكبرى التي أراد الله تعالى أن تعيش البشرية في إطارها.

يؤمن محمد رشيد رضا إيمانا كاملا أن المناهج والعلوم البشرية وحدها غير كافية لهداية الإنسان، وستظل تتبلبل بين المصالح الشخصية والأهواء والشهوات والملذات الذاتية، إن لم تهتدي بنور الوحي. فهو الذي يخاطب الفطر الإنساني بما يوافق مصالحها الحقيقية لا الوهمية. وبأصول تشريعه السياسي والإجتماعي والروحي يستطيع أن ينشر العدل والسلام والمساواة بين البشر بلا اعتبار زمان ولا مكان. وما تلبث أن تتبنى منهجه إحدى الأمم حتى تسود العالم وتذيقه

[101] نفس المرجع، ص 191.

لذة الإطمئنان الروحي، مصحوبا بالانتفاع المادي في ظل الأخوة الإنسانية لتحوز السعادة الأبدية.[102]

فكره عن الإصلاح الإجتماعي

تتعدد أفكار الناس وأخلاقهم وطباعهم، يتعادون فيما بينهم على ما يرونه مخالفا لمذاهبهم الشتى وأطماعهم المختلفة. ووحد الجنسية الدولية في المجال السياسي لتتساوى في الحقوق والقانون، وليستقل القضاء عن قبضة الحكام ليبسط العدل بين الأفراد. ودعى إلى وحدة المسلمين بلغة القرآن، وأكد أن العربية لسان الإسلام، فهي ليست بلغة عرق ولكنها لغة تحمل القيم الإنسانية لفائدة البشر وتجمعهم بصفاء النفوس لا بقهر الأسلحة والحروب.[103]

وفي الخلاصة عاش الشيخ محمد رشيد رضا في فترة عصيبة من حياة الأمة الإسلامية، تغيرت فيها ملامحها السياسية بسقوط الدولة العثمانية. وتأثر عقلها بآلات أوروبا الصناعية والحربية، وضميرها بشعارات الغرب الإنسانية للمساواة الإجتماعية. لم يستعد المسلمون على مواجهة هذه التحديات المتسارعة في الظهور على الساحة، ذلك أن العقلية الإسلامية في عصر رشيد رضا كانت مليئة بالخرافة الفكرية والجمود الفقهي وفي سبات عميق وغافلة عما يجري حولها من متغيرات بين الأمم الأخرى. تجلى ذلك في الإقتصاد فأخفقت الأمة في التصنيع والتجارة، وفي التعليم كانت المناهج الدراسية بعيدة عن الواقع مغمورة في جزئيات الفقه، وفي السياسة تجذر الاستبداد وأفسد نظام الحكم، وفي الدين انتشرت البدع والمحدثات والشرك والخرافات.

لم يكن لرشيد رضا أن يقف مكتوف الأيدي دون اقتراح حلول ووضع برامج. ففي الفكر والتربية لفت الانتباه إلى أهمية النظر إلى السنن الكونية، ووضع قاعدة المنار الشهيرة "نتعاون فيما اتفقنا

---

[102] نفس المرجع، ص 395.

[103] نفس المرجع، ص 275 – 282.

فيه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه". وأوجب العودة إلى الكتاب والسنة وسيرة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف ووضح أن مصادر الفكر والتربية والتعليم هي الوحي من الخالق ثم العقل وما تفرع عنه من تجارب بشرية كالبحث العلمي وغيره. والأمر المهم لمواجهة هذه التحديات الكبرى هي تربية الأفراد فتكون التربية في الأمة. اقترح رشيد رضا في الصعيد التعليمي لأن تكون مراقبة للنظام التعليمي من جهة موحدة ومسؤولة عن وضع المناهج وتطويرها.

وفي مجال الدين والأخلاق حارب رشيد رضا البدع والخرافات ونشر الوعي بكتاب الله وسنة رسول الله. كما بين على التفريق بين ماهو ثابت، وماهو قابل للاجتهاد. وحذر على الآثام والمعاصي الجماعية الناتجة عن ترك النظر في سنن الأرض، والتي باتت أشد ضررا على جسد الأمة. وأن الوحي القرآني هو منقذ الأمم من العنصرية العرقية التي اندلعت بسببها الحروب، ومنجي الشعوب من فوضى انحراف الأخلاق الإجتماعية والإقتصادية والسياسية. كل ذلك تيسر لرشيد رضا الوصول إليه عن طريق مقاصد القرآن التي استنبطها باستقراء آيات القرآن الكريم.

تأثير حركة محمد رشيد رضا في العالم

لقد شهد كثير من العلماء المسلمين والمستشرقين على الأثر الإصلاحي الكبير للمنار والانقلاب العظيم ولم يشرق منار القاهرة على المصريين وحدهم، ولكنه أشرق على العرب في بلادهم وفي خارجها وعلى الكثير من المسلمين الذين درسوا في الجامعة الأزهرية، فقد ذكرت في كتاب وجهة الإسلام على اعترافهم بالأثر البالغ الذي أوجدته مجلة المنار داخل العالم الإسلامي.

كانت مصر في طليعة تلك الدول التي انتشرت فيها مجلة المنار فبطبيعة الحال هم أول المتأثرين بتلك المدرسة، فنكر رشيد رضا بأنه وجد في المصريين متتبعين دائمين وأصدقاء للمنار يدافعون عنها ويحثون على قراءتها والتعمق في تفسير هو كان من بينهم بعض كبار

علماء الأزهر ، أمثال محمد مصطفى المراغي الذي تولى مشيخة الأزهر عام 1354هـ/1933م، بعد الشيخ الظواهري ويذكر رشيد رضا بأن تفسيره أصبح يدرس من قبل علماء الأزهر ويدمج في مجلاتهم كما يذكر أيضا بأن بعضهم اعتذر إليه لخوفهم من إنتقام الشيخ الظواهري لأنه مخالف لأفكاره في جميع المجالات.

ويذكر تشارلز آدامز في كتابه: "الإسلام والتجديد في مصر عن ما يسميهم حزب المنار ويقصد بهم تلاميذ الشيخ محمد عبده وأنصاره وكان منهم أزهريون وأدباء وأصحاب مناصب في الدولة وغيرهم". [104]

ولم يقف أثر المنار عند حدود الأزهر فقط، حسبما يذكر محمد بن عبد الله السلمان:

"بل شمل مناطق عديدة في القطر المصري فقامت مجلات إسلامية إلى جوار مجلة المنار وكان من أبرزها مجلة الفتح الإسلامية التي أنشأها الشيخ محب الدين الخطيب سنة 1344 هـ/ 1925 م، وكانت أسبوعية وغيرها".[105]

أما جمعية الإخوان المسلمين، التي أسسها حسن البنا إستقى فيها من مدرسة المنار كثيرا من مبادئها وأفكارها ويتأثر بها دينيا وسياسيا، يدل على ذلك كان الشيخ حسن البنا رئيس تحريرها بعد وفاة رشيد رضا الذي أشار في افتتاحية العدد الجديد من مجلة المنار إلى العلاقة بين رشيد رضا وجماعة الإخوان المسلمين وذكر أن هذه الجماعة هي التي يتمناها رشيد رضا لتقوم مقام جماعة الدعوة والإرشاد، في الدعوة إلى الإسلام وجمع كلمة المسلمين كما أشار أن رشيد رضا كان يهدي الجماعة كثيرا من مؤلفاته.

وله تأثير عميق على أفكار المسلمين في بلاد كثيرة، ومنها:

---

[104] تشارلز آدمز: الإسلام والتجديد في مصر، ص 196.

[105] محمد بن عبد الله السلمان: رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص 251 -252.

دخلت أفكار مدرسة المنار إلى بلاد الهند عن طريق مجلة المنار التي انتشرت في الهند منذ سنواتها الأولى حتى إنه في السنة السادسة أرسل ناظر مدرسة العلوم بعليكر في الهند رسالة إلى رشيد رضا يقول فيها: "أن المنار منتشرة في الهند انتشارا عجيبا وأن مئات من مقالاته الحكيمة والإسلامية نقلناها في لغتنا الهندية ونشرناها في جريدتنا الأسبوعية". [106]

ومما يدل على رواج المنار في بلاد الهند وجود جمعيات إسلامية سلفية هنا كمتأثرة بالشيخ محمد عبد الوهاب عن طريق بعض مسلمي الهند الذين قاموا بالحج إلى مكة.

وفي سنة 1236 هـ/ 1821 م .خرج السيد أحمد بن عرفان الباريلوي (Barelvi) إلى مكة لأداء فريضة الحج فلقي في مكة بعض علماء وأتبا ع الدعوة السلفية، فعرضوا عليه مبادئا لدعوة فاقتنع بها سريعا، حتى إذا عاد إلى بلاده بذل جهوده لنشر هذه الدعوة في إقليم البنجاب (Punjab) – شمال غرب الهند – وسعى لمحاربة البدع والخرافات التي ضربت أطنابها فيقلوب المسلمين هناك، ويتضح من رسائله أنه كان من أهداف حركته وضع حد لحكم الإنجليز، ونفوذ جماعة السيخ الوثنيين هناك، واستعادة الحكم الإسلامي للهند من جديد، وسرعان ما ذاع صيته في كل مكان، واعتنق مبادئه آلاف من المسلمين، وأسس دولة مستقلة في البنجاب وما حولها، واتسعت هذه الدولة حتى وصلت في نفوذها إلى منطقتي السند (Sind) وبلوجستان (Baloojisthan) وجزء من أفغانستان (Afghanistan)، ثم أعلن الجهاد على كل من خالف مذهبه فهزم السيخ (Sikh) قرب بيشاور (Peshawar)، ولكنه تعرض لمقاومة عنيفة من الإنجليز والسيخ متعاونين حتى استشهد – رحمه الله – في اشتباك وقع بين هو بين السيخ بمعاونة الإنجليز لهم عام 1246 هـ/ 1831 م. فاضمحلت بذلك دولته، ولكن دعوته ظلت باقية في أتباعه الذين

[106] محمد رشيد رضا: مجلة المنار، مجلد 6 ، ج 3.

تابعوا دعوته الإصلاحية في الهند بإصرار، وأنتجوا أدبا دينيا ضخما واصطنعوا اللغة الأردية ليضمنوا إيطال تعاليمهم إلى كل الشعب، كما آثروا الاشتغال بالتجارة حتى يبتعدوا عن الخضوع للمستعمر الإنجليزي ولقد اعتبر المؤرخون حركة البارياي تلك وحركة أتباعه من بعده عاملا من عوامل قيام الثورة الهندية الاستقلالية التي نالت بها الهند الاستقلال عام 1367 هـ/ 1947 م [107].

بعد الحركة الإصلاحية الدعوية في الهند تحولت إلى عمل الكفاح والجهاد بعد مرورها من مراحل الدعوة والإصلاح والتربية والتزكية والتعليم. ولهذه الحركة آثار خالدة في تاريخ القارة الهندية في مجال إصلاح العقائد ومعارضة الشرك ومكافحة الطقوس والتقليد الجاهلية والتعليم والتربية. ولكن وصف الإنجليز هذه الحركة الإصلاحية والدعوة بالوهابية لإحباط جهود الحركة، وروجوا أنها منبثقة من الحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بحيث قد شاع في الهند أن حركة الشيخ قد هدمت معالم وآثار تاريخية قديمة كانت تحولت إلى مكان التقديس. فاعتبر عامة المسلمين إن أعمال حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إساءة إلى الأماكن المقدسة القديمة، وأبدوا سخطهم. وصف الإنجليز هاتين الحركتين حركة واحدة لتضليل الأذهان وإحداث الكراهية بين الناس.

وفي الحقيقة إن حركة الإمام أحمد الشهيد استعد منهجها من حركة لإمام أحمد السرهندي الذي عارض الشرك وكافح المعتقدات الباطلة والخرافات الضالة والتقاليد الفاسدة والطقوس الهندوكية التي دخلت إلى المسلمين واستعانة بغير الله وتقليد أعياد الكفار والتقاليد والعادات الشركية. وضح الإمام أفكاره في رسائله ومن عمله التحديدي الرد على البدع والخرافات وإصلاح العقائد الفاسدة ونشر العقيدة السليمة. وقد قام رشيد رضا خلال رحلته إلى الهند، يوم الثلاثاء 23 من شهر ربيع الأول عام 1330 هـ/12 مارس1912 م، بالدعوة إلى السلفية وصار لهم أتباع

[107] محمد رشيد رضا، الوهابيون والحجاز.

ومؤيدين في مدن مختلفة مثل مومباي (Mumbai) ودلهي (Delhi) ولكنو (Luknow) وملبيار (Malabar)، ولقت دعوته محاربه من فرق مختلفة فأخذ يردون عليه بمختلف الكتب والمنشورات، ومن هذه الفرق الفرقة القاديانية، وقد انتشرت مبادئها في الهند وترصعت مكانة رشيد رضا هناك فأصبحت له المشورة في أمورهم الدينية والعلمية.

كتب الشيخ محمد رشيد رضا مقالتين في المنار عن رحلته الهندية، وهاتان المقالتان توضحان كاملة عن رحلته وآرائه عن العلماء الهند والمعاهد والمسلمين فيها. جدير بالذكر هنا أن هذه المقالات يبين لنا واضحة عن تأثير محمد رشيد رضا في الهند. وهو يكتب باسم 'رحلتنا النهدية– شكر علني':

أولهم وأولاهم بالشكر من جالية العرب في بمبي ومن أهلها صديقي الحميم المحسن العظيم الكريم ابن الكريم ابن الكريم، الشيخ قاسم بن محمد آل إبراهيم، فهو الذي قام بحسن ضيافتي في غدوتي وروحتي، وأعد سيارة كهربائية خاصة مدة إقامتي في بمبي، ثم ابنا أخيه الشيخ عبد الرحمن إبراهيم، والشيخ يعقوب إبراهيم، والشيخ محمد المشاري رئيس شركة البواخر العربية، وعبد الله فوزان، وسائر الجالية العربية في بومباي الذين استقبلوني على رصيفها هم وبعض كرام أهلها كالحاج سليمان عبد الواحد شريف البلد والحاج إسماعيل صوباني رئيس (أنجمن إسلام) الذي حياني على رصيف البحر بخطبة بليغة، وميان محمد حاجي جان محمد شوتهاني كبير طائفة الميمن وأشهر تجارهم نجدةً ومروءةً، والحاج عبد الله ميان الكهندواني من كبراء طائفة الميمن أيضًا، وهؤلاء قد أدبوا لنا مآدب حافلة اجتمع لها مئات من الكبراء والفضلاء.

ثم أشكر فضل باي من أكابر سروات البلد جماعة آغاخان، وكنت أتمنى لو كان زعيمهم محمد سلطان (إمام الإسماعيلية) يومئذ في بمبي فإني كنت حريصًا على لقائه، وقد سررت من اهتمام فضل باي بأمر الجامعة الإسلامية؛ لأنها كانت جل حديثنا في تزاورنا.

وممن أخص بالشكر والثناء السيد علي الحسن معاون البوليس في آكره الذي أحسن ضيافتي وإطلاعي على الآثار العظيمة التي فيها، ومحمد شعيب مفتش مصلحة الآثار في آكره ودهلي. وأما أهل دهلي فأجدرهم بثنائي وشكري النواب محمد أجمل خان حاذق الملك الطبيب الشهير كبير سروات دهلي وأحد أفراد المسلمين الممتازين في الهند بالعلم والفضل وعلو الجانب، وقد أحسن – حفظه الله – ضيافتي وجمعني في داره بأكبر علماء البلد ووجهائه، وخصص لي سيارة كهربائية تيسر لي بركوبها رؤية جميع الآثار القديمة في ضواحي تلك المدينة في مدة قصيرة، ولا أنسى أولئك العلماء الكرام الذين أنسنا بهم هناك وأخص بالذكر منهم مولوي الشيخ سيف عبد الرحمن المدرس الأول والناظر لمدرسة فتح بوري الدينية، وقد زرنا مدرسته وسمعنا وأسمعنا ما فتح الله به فيها. وتكلمنا معه في إصلاح التعليم، والعناية باللغة العربية فصادفنا منه ارتياحًا لرأينا في ذلك، ومولوي الشيخ عبد الله الغزيبوري، ومولوي أحمد الله المبارك بوري، وميرزا ضمير الدين أحمد اللوهاري، ولا أنسى مودة التاجر الصادق الحاج التقي عبد الغفار بن الحاج علي جان، الذي كان يترك محل تجارته الكبير ويصاحبني في كل مكان، وقد صحبنا معه في رؤية آثار دهلي النواب ضمير الدين، وبالقرب من الأثر العظيم الذي هو أكبر آثار دهلي، منارة قطب أوليا، بلدة اسمها مهرولي، عرجنا فيها على دار الشيخ رياض الدين من كبراء أهلها وكان أعد

لنا غداءً طيبًا نوَّع فيه ألوان الأطعمة الهندية، وكان من مظاهر الكرم الإسلامي في تلك الديار.

ولم أنسَ ولا أنسى زيارة مدرسة مظاهر العلوم في مدينة سهارنبور ولقاء ناظرها وأكبر مدرسيها مولوي الشيخ خليل أحمد الذي لم أر في علماء الهند الأعلام أشد منه إنصافًا ولا أبعد عن التعصب للمشايخ وللتقاليد، وما ذلك إلا لإخلاصه وقوة دينه ونور بصيرته.

وأبدأ من شكر أهل لاهور الكرام بالثناء على الأمير الجليل والسري النبيل، النواب فتح علي خان قزلباش، الذي أحسن ضيافتنا وأكرم وفادتنا، ولا غرو فقصره في تلك المدينة القديمة معهد الكبراء والفضلاء، وموئل السائحين والغرباء، وأثني بالثناء على الصديقين الفاضلين، والرصيفين الكريمين مولوي محبوب عالم صاحب جريدة بيسه أخبار، ومولوي محمد إن شاء الله صاحب جريدة وطن، وكان هذان الفاضلان يتسابقان لضيافتي، ويرى كل منهما أنه أولى بي: الأول لأنه تكرم بزيارتي في مصر عند منصرفه من أوربة، والثاني لما بيني وبينه من صلة المكاتبة وعنايته بنشر تفسير المنار، ولكن النواب الجليل قال: إنه هو الأحق بذلك، فلم يسعهما إلا الإذعان، لأنه هو البدء الذي لا يختلف على تقديمه اثنان.

ثم أثني الثناء الأوفى على الكاتب البليغ والخطيب المصقع مولوي ظفر علي خان، صاحب جريدة (زميندار) الذي بالغ في الترحيب بي قبل وصولي إلى الهند، واقترح أن تعقد لجنة لوضع برنامج لحفاوة مسلمي الهند بي، وكان يريد أن يحتفل احتفالاً

عامًّا يجتمع له الألوف من جميع طبقات الشعب فاعتذرت له على ذلك بأنني مضطر إلى السفر إلى ندوة العلماء لقرب موعد احتفالهم هذا العام.

ومما أنكره مع الشكر والثناء مواتاته لي في الصلح بينه وبين صديقي صاحب جريدة (وطن) الذي أشكر له مثل هذه المواتاة، وكانت جرت بينهما مناظرة حادة أدت إلى الجفوة وآلمت فضلاء المسلمين في جميع البلاد الهندية حتى رغب إليَّ كثير من كبرائهم في السعي للصلح بينهما عند زيارة لاهور.

ومما أشكره لصديقي محبوب عالم شكرًا خاصًّا، تَرْكه لنجله الكريم مريضًا يعالَج وطوافه بي على مساجد البلد ومدارسها ومعاهدها الأثرية فيها وفي ضواحيها.

وأما أهل لكنهؤ فلا أستطيع أن أوفيهم حقهم من الشكر والثناء، فقد استقبلني الألوف منهم بحفاوة قلما يستقبل بمثلها الملوك، حتى خجلت واستحييت وكلما رجوتهم أن يختصروا في التكريم غلوا فيه وأفرطوا، حتى إنهم جروا المركب التي ركبتها بأيديهم، وأخص بالشكر والثناء رجال ندوة العلماء الكرام، وفي مقدمتهم رئيسهم صديقي العلامة الهمام شمس العلماء الشيخ شبلي النعماني، والسيد ممتاز حسين رئيس لجنة المستقبلين فيها، وهو الذي خصص داره الفيحاء لنزولي فيها، وتأنق في إتقان الضيافة ما شاء فجمع بين مقتضى أصله العربي الصميم، وفرعه الهندي الكريم، واحتشام السلطنة أمين أموال الندوة، وسائر علماء الندوة وغيرهم كالعلامة الكبير السيد ناصر حسين كبير علماء الشيعة.

ثم عظماء البلد الذين أدبوا لنا المآدب الحافلة: مشير حسين القدوائي، الذي كان كاتب السر لجمعية الجامعة الإسلامية في لندن وأخوه شاهد حسين والسيد محمد

علي حسن خان ابن أمير العلماء وعلامة الأمراء المرحوم السيد صديق حسن خان، نواب بهوبال صاحب التصانيف الشهيرة، والأمير الكبير النواب محمد علي راجا ولاية محمود آباد، وهو من أعظم أمراء الهند وسرواتهم من طائفة الشيعة الإمامية، وأركان النهضة الإسلامية، فإنه يبذل المال لمدرسة العلوم الكلية في عليكرة بألوف الجنيهات، كما يبذل للمدارس الخاصة بأهل السنة كمدرسة ندوة العلماء، فنسأل الله أن يكثر في المسلمين من أمثاله، وكانت خاتمة الدعوات الحافلة في لكهنؤ دعوة الطبيب الشهير الحكيم محمد عبد الولي حياه الله تعالى.

وقد سِرت من لكهنؤ إلى بنارس مدينة البراهمة المقدسة ومقر أقدم أصنام في الأرض فلم أعرف من مسلميها إلا مضيفنا الكريم محمد ممنون حسن خان المعاون المسلم للحاكم الإنكليزي فيها، وهو أفغاني الأصل، فقد تفضل – أحسن الله جزاءه – مع حسن الضيافة بمساعدتنا على رؤية الآثار القديمة الوثنية الثابتة من ألوف السنين المكتشفة حديثًا في ضواحيها، صرفنا كل وقتنا في رؤية الآثار والعاديات فلم نتعرف لأحد، على أن أكثر مسلمي بنارس من الصناع والزراع وقلما يوجد فيها أحد من أهل العلوم والآداب فيما نعلم". [108]

وهو يتبع مذكرته في الشهر القادم وهو يقول : "مدرسة عليكره، أبدأ من شكر مدرسة عليكره ومديري شئونها وطلابها بذكر الشيخ الجليل والمولى النبيل النواب وقار الملك بهادر مولوي مشتاق حسين، سكرتير (عمدة) المدرسة وأحد زعماء مسلمي الهند وأركان النهضة العلمية فيها، وبالعالم الأصولي النحرير، والمحامي الشهير المقبل على

[108] محمد رشيد رضا، "رحلتنا الهندية – شكر علني"، مجلة المنار، المحرم 1331 هـ، جزء 16، ص 77 – 80.

شأنه، الخبير بأهل زمانه آفتاب أحمد خان، رئيس مؤتمر التربية والتعليم في الهند، وبالعالم العامل المهذب الفاضل مولوي محمد حبيب الرحمن، رئيس الشرف للشعبة الدينية في المدرسة، ثم بسائر العلماء الأعلام المدرسين، ووجهاء البلد المقدمين، وفي طليعتهم الدكتور محمد أشرف، والدكتور ضياء الدين، والأستاذ يوسف هردوتس الألماني أستاذ الشعبة العربية في المدرسة، والسيد سليمان أشرف البهاري معلم الشعبة الدينية على مذهب أهل السنة، ومولوي فدا حسين معلم الشعبة الدينية على مذهب الشيعة الإمامية، وعبد المجيد خواجه المحامي، وأبو الحسن معاون سكرتير المدرسة.

تفضل هؤلاء العلماء الأجلاء باستقبالي على محطة السكة الحديدية خارج البلد مع جمهور عظيم من أهل المدرسة ووجهاء البلد، وبتوديعي كذلك، وبالحفاوة الفائقة بي مدة إقامتي بينهم، وقد بالغ النواب الجليل وقار الملك في التأنق بضيافتي وأعد لي دار صديقه السري الكبير (خان) بهادر نواب محمد فرمل الله خان الفسيحة الفيحاء، ذات الحديقة الغناء، وكان يدعو لمؤاستي على الطعام كل يوم أكابر العلماء والأدباء، وقد استفدت من فضلاء عليكره علمًا وخبرةً بأحوال إخواني مسلمي الهند لم أجدهما عند غيرهم.

ثم أشكر لناظر المدرسة الهمام مستر جي أيشتول بهادر، ترحيبه بي هو وقرينته الفاضلة ودعوتهما إياي إلى شرب الشاي في دارهما، ووعد الناظر إياي بالإجابة إلى ما اقترحته عليه من العناية بتوسيع نطاق تعليم اللغة العربية في المدرسة، وأشكر مثل هذا الوعد لأستاذ الشعبة العربية يوسف هردتس الألماني، أما النواب وقار الملك وعمدة المدرسة وأساتذتها فإن ارتياحهم لاقتراحي عليهم لم يكن إلا تذكيرًا بما لا يغيب

عن أذهانهم، بل رميًا عن قوس عقيدتهم، وقد وعدوني بأنهم سينشئون ناديًا في المدرسة لا يتكلمون فيه إلا بالعربية، ولعلهم أنجزوا الموعد، فإنهم أهل الوفاء والصدق، وقد ذكرني رأيهم هذا، وكان وعدا مفعولاً، ما حدثني به بعض علماء المسلمين في روسية وهو أنهم توسلوا إلى التمرن على اللغة العربية باتفاق أهل العلم وطلابه على التزام التكلم بالعربية دون سواها في مدة شهر رمضان.

أما النواب الجليل فقال كما قال هردوتس: إنه لا يتيسر لهم اتفاق تعليم اللغة العربية ما دامت المدرسة تابعة لنظارة معارف (إله آباد) قال النواب: وإنا قد جمعنا المال الكافي لتحويل المدرسة إلى جامعة مستقلة، فمتى تم لنا ذلك فإننا نجتهد فيما اقترحتموه علينا من إتقان تعليم الدين وتعليم العربية أتم الاجتهاد، وقد أحزنني بعد عودتي ما بلغني من استقالة النواب الجليل من المدرسة، ولا أدري أحق ما قيل من أن المال الذي كان جمع لجعلها جامعة قد دفع لإعانة الدولة العثمانية على الحرب أم لا؟ وإذا صح فهل تصدوا لجمع غيره أم لا؟ أما المبلغ فهو مئتا ألف جنيه إنكليزي وبضعة آلاف من الجنيهات.

ولا يسعني من شكر طلاب المدرسة النجباء والثناء عليهم إلا الإجمال، فقد قرت عيني بما رأيته من أمارات النجابة والاجتهاد عليهم، وما توسمته من شعور الإخاء الإسلامي في وجوههم، وما قابلوا به خطبتي عليهم في التربية من الارتياح والقبول، وقولهم: إنهم نقشوها في ألواح النفوس وصحف القلوب، ثم إن طلاب القسم العالي والأعلى منهم لم يكتفوا بإظهار سرورهم واحترامهم بالقول الحسن، والزيارة والسؤال، وغير ذلك من شعائر الاحترام، بل استأذنوا النواب الجليل في مأدبة حافلة للعشاء باسمهم فكانت مأدبتهم أكبر مأدبة أكرمني بها أمراء الهند وأغنياؤهم، فإن أصحاب

الدعوة من الطلبة بضع مئين ودعوا معي أساتذة المدرسة من الوطنيين والأوربيين ووجهاء البلد، على أنهم قدروا نفقات دعوة لزهاء ألف رجل يقدم لهم أنفس ما يأكل الأمراء والكبراء من الطعام، ثم اكتفوا بعد مذاكرتي ورضائي مع الإعجاب والسرور بأن يجعلوا المأدبة في الدرجة الوسطى ويجعلوا باقي ما قدروه من نفقتها إعانة لأيتام وجرحى المجاهدين في طرابلس الغرب، فكان ذلك ثلث ما قدروه، وكذلك فعل العالم العامل التقي الخفي مولوي حبيب الرحمن الذي آثر بأن أسميه صديقي المحبوب في دعوته إياي إلى حفلة الشاي، فحيا الله هؤلاء الإخوة الكرام.

مدرسة ديوبند: قد بينت في العجالة التي كتبتها عن رحلتي وأنا في العراق ما كان من سروري وارتياحي في مدرسة ديوبند الدينية، وأن الخُبر لها كان خيرًا من الخَبر عنها، فأشكر لعلمائها الأعلام وطلابها النجباء تواضعهم وكرمهم بي والعناية باستقبالي وتوديعي؛ إذ خرج لهما رؤساؤهم وجمهورهم إلى محطة السكة الحديدية البعيدة عن البلد، وفي مقدمتهم مولانا العلامة الشيخ محمود حسن رئيس المدرسين، ومولانا الحافظ محمد أحمد ناظر المدرسة، ومولانا العلامة الشيخ عبيد الله رئيس جمعية الأنصار، ومولانا العلامة الشيخ أنور شاه، ومولانا العلامة الشيخ محمد حبيب الرحمن من كبار المدرسين، وكان من ذوقهم ولطفهم أن وضعوا على باب المدرسة قطعة كبيرة من النسيج، مرسومًا عليها حديث: (إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا فطوبى للغرباء) وقد حيوني بالخطب والشعر حياهم الله تعالى، وبالغوا في الاعتذار عن التقصير في الضيافة بأن حالهم وحال بلدهم الصغيرة لا يمكنانهم من كل ما يرونه لائقًا من كثرة الألوان وضروب الإتقان، وأقول: إنهم والله ما قصروا ولقد كانت كيفية ضيافتهم آثر عندي وأروح لنفسي من ضيافات كبراء الدنيا، ومن

مبالغتهم في ضيافتهم أنهم زودونا بأطعمة نفيسة حملوها إلى القطار الحديدي عند توديعنا، فأكلنا منها في الطريق وأفضنا على الفقراء في بعض المحطات، وهذا من الكرم الذي انفردوا به دون سائر الكرماء.

وإنني أختم الشكر والثناء بذكر من يستحق أن يشارك أهل كل بلد زرته هنالك في شكري لهم، وهو صديقي الصفي الوفي، السيد عبد الحق حقي الأعظمي البغدادي، مدرس اللغة العربية، في مدرسة العلوم الكلية، فإنه كان رفيقي وأنيسي وترجماني في كل هاتيك البلاد، وإنني ما لقيت في حياتي رفيقًا أخف روحًا وأكبر مروءةً وأشد تواضعًا وأحسن تصرفًا من هذا الأخ الكريم، والولي الحميم، فإنه وضع نفسه مني، وهو الكفؤ الكريم، في موضع التلميذ المجتهد من الأستاذ المحقق، والمريد الصادق من المسلك العارف، والولد البار من الوالد، بل الخادم الأمين من المخدوم القمين، ثم كتب رسالة في ملخص رحلتي لقب نفسه فيها بهذه الألقاب، وطبعها ونشرها في البلاد، ولولا ذلك لما أبحت لنفسي أن أنكرها ولو لأشكرها، وأبين أن فضله وكماله هما اللذان حملاه على التفضل بها، فهي أيادٍ يمنها عليَّ، وليس لي يد أمنها عليه، وإنما أسأل الله أن يحسن جزاءه ويديم وفاءه، وأن يقر عينه بولده، حتى تتصل بهم سلسلة الولاء والوفاء من بعده".[109]

رغم أن بلاد الشام هي موطن رشيد رضا الأصلي إلا أن أثر المنار فيها يأتي متخلفا عن مصر وذلك لأن محمد رشيد رضا عاش أهم فترة جهاده الإصلاحي في مصر، ومن ناحية أخرى فإن الدولة العثمانية كانت قد منعت مجلة المنار من دخول بلاد الشام رسميا منذ سنتها الأولى ولكن

[109] محمد رشيد رضا، "رحلتنا الهندية –شكر علني، مجلة المنار، صفر 1331 هـ، جزء 16، ص 104 – 106.

رشيد أخذ يرسل المنار بالبريد الأجنبي، فانتشرت عند كثير من الأفراد منذ سنة الأولى، ثم إتسع انتشارها بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني في عام 1327 هـ/ 1909 م.

ولذلك وجد في بلاد الشام مجموعة من العلماء المسلمين الذين تأثروا بمدرسة المنار كثيرا وكان لهم نشاط كبير في نشر الدعوة السلفية هناك ومن أبرز هؤلاء العلماء الشيخ بهجت البيطار ومصطفى السباعي وشكيب أرسلان.

تعتبر أندونيسيا من البلاد التي انتشرت فيها حركة رشيد رضا بواسط مجلة المنار منذ سنتها الأولى وذلك بوجود مشتركين وقراء لها، صار لهم اتصال وثيق بالمجلة عن طريق عدد من الأسئلة التي بعثها بعضهم إلى رشيد رضا ونشرها وأكثرها يدور حول مسائل تتصل بمحاربة أنواع البدع والخرافات التي كانت فاشية عند مسلمي أندونيسيا، وكانت تلك الأسئلة ترد أكثرها من جزيرتي جاوة (Java) وسومطرة (Sumatra) لأن انتشار المنار فيها أكثر من غيرهما مع وجود أثر المنار في الملايو، كما أن بعض تلك الأسئلة يدور حول مواضيع إسلامية وأبرزها محاربة دسائس التبشير النصراني، الذي انتشر بشكل غريب في أرجاء أندونيسيا وبمعاونة من الاستعمار الهولندي هناك، فكتب بعض من تأثروا بالمنار إلى رشيد رضا يشكون إليه هذا الخطر، وكان ذلك ما دفع رشيد إلى الإسراع بإنشاء مدرسة الدعوة والإرشاد للرد على الخطر وعلاجه.[110]

أخذت تعاليم الملايو بشكل ملحوظ فترجم تفسير المنار إلى اللغة الملاوية وطبع أجزاء خاصة كما أن حركة التجديد التي انبعثت من مجلة المنار والمتمثلة فيفتح الباب لتوفيق بين الإسلام وحاجات العصر الحديث وكان تأثير المنار عموما.

[110] محمد بن عبد الله السلمان: رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص 572 .

وتشمل البلاد الواقعة في شمال القارة الإفريقية ما عدا مصر وهي ليبيا وتونس والجزائر ومراكشو كل هذه البلدان استطاعت المنار ودعوتها أن تدخل فيها وتنتشر في كثير منها منذ باكورة حياتها وفي سنواتها الأولى. ومن الأمور التي حببت المنار ودعوتها إلى مسلمي تلك البلدان الإفريقية ما يشاهدونه في المجلة من إحساس بما يقع في بلدانهم من مصائب الاستعمار ومشاركة المنار لهم في آمالهم.

فلقد كان المنار دوي كبير في الاحتجاج على الغزو الإيطالي للبلاد الليبية، كما حذرت المنار سلطان مراكش من مطامع الاستعمار الفرنسي في بلاده. وحينما أنشب الاستعمار الإيطالي والفرنسي أظفاره في تلك البلاد وقفت المنار بكل قوة خلف الحركة السلفية في المغرب التي حمل تلواء الحرية والكفاح ضد المستعمرين في البلاد، ولعل أكبر دليل على حسن انتشار المنار في بلاد شمال إفريقيا منذ عهد المنار وعمره المبكر أن الشيخ محمد عبده حينما قام بزيارته إلى تونس والجزائر عام 1321 هـ/ 1904 م، شاهد هناك الأثر الكبير الذي أحدثته مدرسة المنار ممثلة بمجلتها، وتأثير ذلك في نشر أفكاره الإصلاحية، ولهذا يقول رشيد رضا عن شيخه محمد عبده: عاد رحمه الله من سفره ذاك مغتبطا أشد الاغتباط بما رأى في تونس والجزائر من تأثير مجلة المنار في نشر أفكاره الإصلاحية، ووجود حزب كبير له فيها.

ومن الملاحظ أن ذلك الإنتشار الواسع للمنار والذي أعجب به الشيخ محمد عبده في تونس والجزائر كان في نهاية سنة المنار الخامسة وبداية السادسة فقط، فهو في عمرها المبكر.

الواقع أن تأثير مدرسة المنار في البلاد السعودية يختلف عن سائر البلاد الإسلامية، فالمملكة العربية السعودية هي موطن ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وهي الحامية لها والمطبقة لمبادئها والتي أقام رشيد رضا مبادئ مدرسته على أساسها، لذلك فإن في البلاد

السعودية من التطبيق العملي لمبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ومايغنيهاعن تأثير مدرسة المنار فيها وإن بقيت تلك البلاد عضدا هام المدرسة المنار في أهدافها وآمالها.

وليس معنى ذلك أن ننفي أي أثر للمنار في البلاد السعودية فقد كان للمنار دور كبير في نشر كثير من كتب دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكتب علماء السلفيين والحنابلة، داخل البلاد السعودية وخارجها كما سبق لذلك كثيرا ما نجد الطبعات الأولى لتلك الكتب وقد تولتها مطبعةالمنار، وهذا العمل فيحد ذاته يعتبر إنجازا هاما وتحقيق الهدف هام من أهداف مدرسة المنار وهو العمل على نشر كتب علماء الدعوات السلفية في العالم الإسلامي. كما أن هنا كمراسلات قامت بين رشيد رضا وبعض علماء نجد، وتدور كثير من هذه الرسائل حول أمور تختصب الدعوة السلفية وبعضها في نواحي إسلامية أخرى، ومن بينها الرسالة التي قام كتاباتها بيده إلى صالح بن عثمان القاضي، أحد علماء نجد المشهورين.

الباب الثالث

المنظمات الإسلامية في ولاية كيرالا وتأثيرها على المجتمع الإسلامي

الفصل الأول: جمعية العلماء لعموم ولاية كيرالا

الفصل الثاني: دور ساماستا في نهضة المسلمين

الفصل الثالث: المنظمات الفرعية لساماستا

الفصل الرابع: المخاصمة ونشأة جمعية العلماء السنية

الفصل الخامس: الجماعة الإسلامية ومنظمات أخرى

الفصل الأول

بدأ الأوربيون يؤذون المسلمين منذ وصولهم إلى كيرالا. واندلعت الحرب بين المحتلين والمسلمين وواجهت الأمة المسلمة نكبات كثيرة. فجعلت حياة السلمين سيئة في كل مجال. فقام العلماء بإصلاح العقائد وإزالة الظنون الفاسدة وبيئة المخاوف ومهدوا الطرق للتعليم الحديث والمنهج الدراسي الجديد. وأسس بعضهم جمعيات لتعميم رسالة التعليم. وأول جمعية أقاموها باسم "مسلم أيكيا سمكهام" أي جمعية اتحاد المسلين، التي تحيط المناطق كلها. وبعد سنوات قليلة حينما فشلت هذه الجمعية هم أسسوا "جمعية العلماء بكيرالا" سنة 1340 هـ/ 1921 م لنشر دعوتهم التجديدية التعليمية إضافة إلى الإصلاحية الدينية. هي أول جمعية دينية إصلاحية تجديدية. نناقش عنها في الباب الرابع. وفي سنة 1345 هـ/ 1926 م فرقة أخرى أسست "جمعية العلماء ساماستا كيرالا". ثم أسست الجمعيات الأخرى المختلفة. ونوجز فيما يلى :

جمعية العلماء ساماستا كيرالا (جمعية العلماء لعموم كيرالا)

أسست جمعية العلماء بكيرالا سنة 1340 هـ/ 1921 م التي جمعت كبار العلماء الموجودين في ولاية كيرالا تحت مظلة واحدة. ثم اشتبه الأمر بين العلماء الذين ينتمون إلى السنية وجمعية العلماء حتى شكوا في نيات علمائها. ورأو أن علاقتهم المشاركة مع الجمعية تسقط شرفهم يفقدون ثقتهم بين الناس بسبب ميولهم إلى الحركات التجديدية. فعزموا تأسيس جمعية خاصة لهم لحماية التقاليد السنية ومنع انضمام الشباب بالسلفية، وأقيمت جمعية بنفس الاسم سنة 1345هـ/ 1926 م. ثم بدلوا اسمها في السنة الثانية بجمعية العلماء ساماستا كيرالا (جمعية العلماء لعموم كيرالا)، المشهور "بساماستا" (Samastha). وكان رئيسه الأول السيد عبد الرحمن با علوي (Sayyid Abdur Rahman Ba Alavi) المعروف بوراكال مولاكويا تانغل (Varakkal

Mullakkoya Thangal). احتلت الجمعية مكانة مرموقة بين المنظمات الإسلامية والمؤسسات الثقافية والاجتماعية.

قد سجلت هذه الجمعية لدى الحكومة سنة 1353 هـ/ 1934 م يبين دستورها عن أهداف الجمعية كما يلي: الدعوة الإسلامية وتبليغ العقيدة الصحيحة والعادات الإسلامية حسب نهج أهل السنة والجماعة. ومنع الدعايات والمنظمات مضاد منظورات أهل السنة والجماعة وتوعية المسلمين عن تلك الأوهام الباطلة وكشف الآراء المزورة التى يقدمها أهل البدع. وحفظ حقوق المسلمين الدينية والقومية. ونشأة العلوم المادية عدم التدخلفي العلوم الدينية. وجرف الاعتقادات العمياء واللا أخلاقية. والقيام للتقدم القومي واتحاد المسلمين.

الأعلام البرزة لساماستا

كان السيد باعلوي مولاكويا بوراكل (Varakkal ba alavi Mullakkoya Thangal) مؤسسا وأول رئيس لهذه الجمعية وكان يجيد لغات عديدة من العربية والأوردية والفارسية له سمعة عظيمة ومكانة مرموقة وحتى كانت لقطارات تلك العهد محطة خاصة بجوار بيته التى تعرف "بوراكل" (Varakkal) ثم عرف السيد بذا الاسم. وكان له علاقة وطيدة مع محافظ كاليكوت تحت حكومة البريطاني وكان يزوره دائما.

ثم جاء بانغل (Pangil) أحمد كوتى مسليار وكنيت (Kanniyath) أحمد مسليار وإي كى أبوبكر مسليار المعروف ب"شمس العلماء"، وكان عالما كبيرا وأضاء طريق الهداية واهتدى المئات إلى طريق الهداية. وباروانا (Paravanna) محي الدين كوتي مسليار و ام ام بشير مسليار وكى وي محمد مسليار وبي ام اس اى بوكويا تانغال (PMSA Pookoya Thangal)، وهيدرووس مسليار و كى بي عثمان صاحب وجابانانغادي (Chappanangadi)

بافو مسليار وإي كى حسن مسليار وأستاذ كالمبادي (Kalambadi) وتشروشيري (Cherusseri) زين الدين مسليار وغيرهم.

نفوذ العلماء اليمنيين في بناء الثقافة الإسلامية في كيرالا

وكان للعلماء الوافدين من اليمن دور بارز في تثقيف المسلمين وتأثير عقائد أهل السنة والجماعة كما لعب تجار العرب دورا ملحوظا في أوائل عصره في إشاعة الإسلام في أراضيه، فتأثرت ثقافة اليمنيين وتقاليدهم وعاداتهم في أوساط مسلمي كيرالا بشكل واسع، ويمكن لنا معرفة مدى هذا التأثير حينما نطلع إلى الحياة الاجتماعية السائدة لدى الشعوب المسلمين في كيرالا طوال القرون الماضية.

ونتيجة حضور العلماء اليمنيين وتوعيتهم عن العقائد السمحة التي تمثلها جمهرة المسلمين في العالم كان لأهل السنة والجماعة جذور راسخة تاريخية في أراضي الهند، حيث كان معظم الشعب الهندي ينتمي إلى أهل السنة والجماعة الذين يتمسكون بإحدى الإمامين الأشعري والماتريدي في العقيدة وبإحدى الأئمة الأربعة المجتهدين في المذاهب الفقهية وبإحدى الطرق الصوفية، وكانت هذه صورة عامة في كافة بقاع الهند شرقا وغربا وشمالا وجنوبا خصوصا في ديار مليبار التي حظيت بإجاب واحتضان عديد من رجال السنة وأبطال الصوفية، ولعلمائها إسهامات عظيمة في الدفاع عن عقائد أهل السنة والجماعة.

ولا يخفى على من يتطلع إلى تاريخ الهند بالإنصاف أن مشائخ الطرق الصوفية هم الذين قادوا حملة الدعوة الإسلامية في أنحاء الهند على مدى التاريخ كما هو الحقيقة التاريخية التي نلمسها في أكثر دول القارة الآسوية بل في معظم أنحاء العالم، وأن الهند كانت أرضا ثرية بعديد من الأبطال والمشائخ الصوفية على مدى القرون الماضية مثل خواجه معين الدين الجشتي

الأجميري (ت 627 هـ/ 1229 م)، الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي (ت 1034 هـ/ 1624 م) والسيد علوي المنفري الحضرمي وغيرهم ممن لهم شهرة في صفوف المشائخ الصوفية.

وبفضل جهود هؤلاء المشائخ الصوفية ورسوخ مكانتهم في قلوب الشعب مثل أحمد رضا خان القادري البريلوي في شمال الهند والشيخ زين الدين الكبير المعبري في جنوبها لم يتمكن المنحرفون عن الطريق السوي للتسرب إلى بلاد الهند بطريق سهل ولإشاعة عقائدهم الضالة بين المسلمين بأسلوب واسع، فأصبحت الهند صرحا منيعا وحرزا حصينا بالنسبة إلى أهل السنة والجماعة على مدى القرون حتى أوائل العقود الأولى من القرن العشرين.

وتشرف كثير من المشائخ الصوفية والعلماء بلاد مليبار كغيرها من بقاع الهند. وكان للعلماء الوافدين من اليمن دور عظيم في تشكيل هذه البقعة حسب عقائدهم وصونها من أيادي التيارات المنحرفة. وتميزت بلاد مليبار عن غيرها من مدن الهند بثقافة يمنية وتصبغت بتقاليد عربية بنفوذ هؤلاء العلماء الوافدين من اليمن، حيث تقلد معظم المسلمين فيها بالمذهب الشافعي. وانتهج بنهج الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه في وقت كان معظم المسلمين في غيرها من بلاد الهند منتهجين بالمذهب الحنفي.

فتأثير الماليباريين بالمذهب الشافعي كان بسبب نفوذ اليمنيين الذين كانوا ينتهجون بهذا المذهب. على الرغم من أن جمهرة الهنود كانوا متمسكين بالمذهب الحنفي كمنهج فقهي في حياتهم. بل إن علماء مليبار لهم القدح المعلى في تثرية المذهب الشافعي بالكتب المستفيدة والمؤلفات القيمة. ولهم إسهامات جليلة في تطوير هذا المذهب وإشاعته بين مسلمي الهند. وكتاب "فتح المعين بشرح قرة العين" المؤلف على يدي الشيخ زين الدين المخدوم المعبري الماليباري كان نتيجة للنفوذ

الشافعية في أرض مليبار حيث يحتوى هذا الكتاب القيم عديدا من المسائل المرتبطة بطبيعة مليبار وظروفها الخاصة. ويعتبره مرجعا أساسيا في المذهب الشافعي لاشتماله على الآراء المعتمدة لدى العلماء المتأخرين. وقد نال هذا الكتاب رواجاا وقبولا ويعد مصدر أمها ألفه الشيخ ابن حجر الهيتمي رحمه الله . أحد أشهر العلماء المتأخرين الذين في المذهب الشافعي، فلذا اعتبر كتاب "فتح المعين" كتابا منهجيا يملا على رواد حلقات الدروس في جوامع مليبار بشكل واسع على مدى سنوات طويلة، ويستمر نفوذ هذا الكتاب وشرحه حتى الآن في ربوع مليبار حيث يدرس في الكليات والمدارس الحديثة.

تقاليد مسلمي كيرالا

تأثر المسلمون في مليبار بتقاليد وعادات علماء اليمن بسبب تبادل الرؤي والثقافات بين قرون وبالتالي غلبت أهل السنة والجماعة المتمثلة طريقة الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله عقديدة الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله فقها، فأكثر المسلمين كانوا متمسكين بمنهج صوفي حتى نرى الإحتفالات بالمناقب والمواليد للأئمة الصوفية بشكل واسع كما ظهر فيهم الإنتماء الى طرقهم والشغف بمذاهبهم.

وكانت الجوامع تجري مع شعائر المذهب الشافعي رحمه الله مثل القوت في صلاة الصبح وقراءة البسملة جهرا في سورة الفاتحة كما كان الأئمة في شهر رمضان يصلون التراويح عشرين ركعة ويقومون بأدعية جماعية بعد الصلوات المفروضة وكانوا يخطبون في يوم الجمعة باللغة العربية ويحتفلون بميلاد سيد البشر صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول، ويتجمعون بعد موت ذويهم للتعزية في الذكرى الثالثة والسابعة والأربعين، وكانوا يزورون قبور الصالحين والأولياء ويتبركون بهم، كما كانوا يتعاملون مع العلماء والصلحاء لإسترقاء مرضاهم بالأدعية،

وكانت نساؤهم يصلين في البيوت ولا يحضرن للصلوات مع الجماعة في المساجد، ورغم أن كان علماء في أروقة المساجد على اطلاع واسع بالمسائل والأحكام الفقهية لدى الأئمة الأربعة إلا أن عامة المسلمين كانوا يتربون بتطبيق المذهب الشافعي في حياتهم اليومية، كما كان رجال الدين يكتفون بالفتوى حسب الرأي المعتمد في المذهب الشافعي، وكان هذه الصورة هي الغالبة بين مسلمي كيرالا حتى أوائل القرن العشرين.

وكان لمشائخ الطريقة القادرية والجشتية والنقشبندية وغيرها من الطرق الصوفية دور رائد في تقوية عقيدة أهل السنة والجماعة ومقاومة أهل البدع والضلالة في أرجاء مليبار كما لهم مساهمات جليلة في نشر الدين الإسلامي في ربوعها، وحياتهم المثالية جذبت سكانها إلى اعتناق عقائدهم وانتهاج مسالكهم، حتى استمرت مسيرة أهل السنة والجماعة في ربوع مليبار بفضل جهود هؤلاء المشائخ.

ومن دلائل تأثر مناطق مليبار بثقافة العلماء اليمنيين أننا نرى كثيرا من المدائح والمناقب للأبطال الصوفيين القدماء في لغتي العربية وملايالم، وبخط عربي ملايالام (خط عربي بلغة ملايالام)، ومنها ما يقرأ في بيوت مسلمي كيرالا من القصائد العربية المؤلفة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمناقب والحوادث المرتبطة بميلاده صلى الله عليه وسلم ومناقب الخلفاء الأربعة وشهداء بدر والأقطاب الأربعة من الصوفية وكذلك القصائد المؤلفة في لغة ملايالام بخط عربي– ملايالام. ومنها ما يقال في لغة ملايالم باسم "مالا" أي القصيدة. ومن أشهرها قصيدة "محي الدين مالا" المؤلفة على يد الشيخ القاضي محمد الكاليكوتي المتوفي سنة 1025 هـ/ 1616 م في مدح الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني، وتعتبر هذه القصيدة أول أثر لغوي موجود في لغة ملايالام والذي عثر عليه حتى الآن.

ومن هنا تؤكد الكتب التاريخية أن خط "العربي – ملايالام" هو الذي كان يستخدم كأداة لتبادل اللغة المليبارية. وقد نشرت عدة مجلات ومنشورات بهذا الخط وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى تأثير اللغة العربية في ثقافة كيرالا في القرون الماضية. ويستعمل الآن خط "عربي – ملايالام" في كتب المدارس تحت ساماستا فقط.

الفصل الثاني

دور ساماستا في نهضة المسلمين

كلمة "ساماستا" بمعنى "عموم" التي أصبحت بعدها اختصارا ورمزا لهذه الجمعية في بلاد كيرالا حتى بلغ شيوعها وانتشارها إلى حد أن عامة الناس في كيرالا لا يعرفونها بدون هذه الكلمة. حاليا توجد في كيرالا نشاطات علمية مكثفة بتراثها. وتمشيا مع متطلبات العصر الحديث أصبحت النشاطات الآن منظمة ومرتبة. والمسلمون فيها يستخدمون الحرية الدينية المتاحة دستوريا، فيديرون المعاهد والمدارس والهيئات والجمعيات ويقومون بالنشاطات الثقافية والخيرية وكثير منها مؤسسات غير ربحية يديرها ويموّلها أهل الخير والإحسان. وفي الآونة الأخيرة ازدادت هذه النشاطات في كيرالا بفضل الجهود الجبارة للعلماء، ربما تكون هي ظاهرة فريدة من نوعها.

واستهدف تبليغ رسالة الإسلام وتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة إلى شعوب متجانسة الأديان في الهند وإزالة شبهاتهم حول الإسلام. وتوعية الأمة المسلمة شأن البدع والخرافات التي التحقت بالأمم الأجنبية بالإضافة إلى إنشاء جو التسامح مع سائر الأديان لتعريف الإسلام ولتجنب الصدمات الطائفية. كما أن هذه الجمعية تهدف إلى جانب الدعوة لغير الواقفين عن موقف الإسلام حول الجهاد والدفاع عما قذف عليه من الاتهامات فيه بإقناعهم أن هذا الدين هو دين الأمن والسلام ليس دين العنف والتطرف، كما يبذل جهودا جهيدة لصيانة الفتية من الإلحاد والزندقة.

انعقد المؤتمر الثالث لساماستا جمعية العلماء في "جيمان كوزي" (Chemman kuzhi) في مقاطعة بالاكاد (Palakkad) سنة 1348 هـ/ 1929 م تحت رئاسة الشيخ العلامة محمد عبد الباري مسليار الوالاكولامي (Valakkulam). وقد تركزت فكرة حول إصدار مجلة رسمية

للجمعية من أجل توصيل رسالتها إلى المجتمع الإسلامي. وقام المشاركون بتوعية الحضار بأهمية الوسائل الإعلامية ونفوذ ها في تبادل ا لأفكار والآراء وبأهمية إصدار مجلة تابعة للجمعية. ورغم أن كانت صعوبة وجاهدة بالنسبة لها في تلك الفترة لاحتياجها إلى تكاليف باهظة وجهود جادة من المتخصصين في مجال الصحافة. وبا لإضافة إلى ذلك أنها كانت خطوة أولى وتجربة جديدة في تاريخ الجمعية. فلذا تعمق العلماء والأمراء حول هذه الفكرة ومدى نجاحها وكيفية الشروع والمصادر المالية لمواصلتها بدون توقف حتى توصلوا أخيرا إلى نتيجة تحقيق هذه الفكرة إلى الضوء مهما كانت الصعوبات.

وقد نجحت التجربة الجديدة للجمعية نجاحا ملموسا عندما ظهر العدد الأول للمجلة الرسمية من كاليكوت باسم "مجلة البيان" في شهر رجب سنة 1345 هـ/ 1929 م. وسجلت رؤية الجمعية في صفحة الغلاف بخط العربي ملايالام كالتالي: "هذه مجلة منشورة بخط – العربي ملايالام – تمثل معتقدات أهل السنة والجماعة وتقاليدهم وعاداتهم قد تم إصدارها بتوفيق الله في وقت مناسب". وبين الأسلوب البياني والبلاغي للمجلة في نفس الصفحة كالتالي: "مجلة البيان تستهدف الشعب المتوسط من الذكور والإناث في المجتمع المليباري وتهتم نشر رسالتها بأسلوب سلس وشكل بسيط فلذا فإنها تفضل المعاني على الألفاظ والمضمون على الكلمات كما هو المطلوب من عديد من المهتئين لهذا المشروع".

تمكنت مجلة البيان من تأثيرها على المجتمع الإسلامي بكيرالا خلال فترة قصيرة حتى ازداد نفوذها كصحيفة رسمية لساماستا، وأصبحت خطوة ملحوظة في نهضة ساماستا كما أضافت ريشة ذهبية إلى تاريخها ولعبت دورا بارزا في تبليغ رسالتها إلى الأمة الإسلامية بشكل سريع، ولم ينحصر دور المجلة في نشر المقالات والدراسات فحسب بل اهتمت بالأخبار المحلية

والعالمية التي تنهض الأمة الإسلامية من رقودها وسباتها حتى عملت كجريدة إخبارية تحمل وقائع العالم الإسلامي وأحداث الأمة الإسلامية إلى القراء.

لجنة تعليم الدين الإسلامي لعموم كيرالا

ولعل العجب من أن توجد سلسلة مدارس ويبلغ عددها 9869 في صفر 1440 هـ/ أكتوبر 2018 م[111] تحت ساماستا فقط داخل وخارج جمهورية الهند حتى في ماليزيا وعمان ومملكة البحرين والإمارات العربية المتحدة وكلها تعمل تحت هذه اللجنة، ومنهاج التعليم الموحد والحال إن كيرالا ليست إلا ولاية من ولايات جمهورية الهند وليست دولة مسلمة بل دولة علمانية وفيها مدارس حكومية عديدة والمدارس الإسلامية التي ذكرنا هنا لا تجد مساعدة الحكومة ولا تخل قرية من قرى ولاية كيرالا من هذه المدارس.[112]

ويبلغ عدد طلابها أكثر من مليون طالب وعدد الأساتذة يبلغ مائة ألف. ويشرف هذه المدارس والأساتذة لجنة التعليم الديني التي أسست علم 1371 هـ/ 1951 م. وأن معظم المسلمين تعلموا الدين الاسلامي من هذه المدارس.

الجامعات والكليات المهمة تحت "ساماستا"

إن كيرالا تتمتع بتراث ثري في تاريخ نشر العلوم الإسلامية وفي تجهيز التسهيلات الوافرة للدراسة والتدريس. فإن تاريخ المدارس الدينية بكيرالا يرجع إلى عصر النبي صلى الله عليه وسلم على أرجح الأقوال، حيث أن الدعاة الذين نزحوا من الحجاز بدؤوا التدريس في المساجد التي بنوها في مختلف نواحي كيرالا. هذه الطريقة التقليدية التي تسمى بدروس المساجد شبت وترعرعت على

[111] جريدة "ملايالا منوراما" (Malayala Manorama)، 16 أكتوبار 2018 م.

[112] Sikand. Y (2004) Madrasa and Arabic Colleges in Contemporary Kerala'. The Milli Gazette.Vol. 22, No. 8, August 2004

تتابع الأزمان وتلاحق الاجيال. يقول عبد الغفور عبد الله القاسمي " أما الدروس في المساجد على منوال مسجد النبوي وطريقة أهل الصفة هي من مميزات كيرالا بدأها السلف من حين انتشار الإسلام ويستمر حتى يومنا هذا"[113] وبلغت هذه الحركة في قمتها في عصر المخاديم، وبعد هذا العصر الذهبي صارت هذه الحركة تتضاءل شيئا فشيئا. "وكان لهذه الدروس أهميتها الخاصة قبل خمس عشرة سنة. أما الآن بازدياد كليات الشريعة أخذت تتضائل في كثير من المحلات.[114] وهذه الحالة المحزنة أجبرت العلماء على تفكير جاد لتأسيس معهد إسلامي، ومن أهمها:

الجامعة النورية العربية: هي الأولى من كليات الشريعة العالية في كيرالا تحت سلماستا. وقبل تأسيسها كان الطلبة من السنية مجبورين على الذهاب للدراسات العليا إلى خارج كيرالا مثل كلية الباقيات الصالحات في تاملنادو (Tamilnadu) وجامعة دار العلوم بديوبند (Deoband) وغيرهما. هذه الكلية هي الكلية الوحيدة تديرها سلماستا مباشرا.

وأسست هذه الكلية سنة 1383 هـ/ 1963 م في "بتيكاد" (Pattikkad) في مقاطعة مالابورلم. بدأ الشيخ قطبي محمد مسليار التدريس في لجامعة، وقد تخرج منها أكثر من 6000 من العلماء الذين اشتهروا بلقب "الفيضي"، والذين يتولون مناصب مختلفة في مجل النشاطات الدعوية داخل الولاية وخارجها.[115]

جامعة دار الهدى الإسلامية : إن جامعة دار الهدى والتي تم تأسيسها كأكاديمية إسلامية عام 1406 هـ/ 1986 م ومن ثم تطورت إلى جامعة إسلامية في عام 1430 هـ/ 2009 م.

---

[113] عبد الغفور عبد الله القاسمي، المسلمون في كيرالا، ص 113

[114] نفس المرجع، ص 114

[115] نفس المرجع والصفحة

تجسّدت هذه الجامعة نتيجة فكرة طويلة وبحوث حارة من قبل بعض العلماء ذوي البصيرة وبعض القادة المخلصين في ولاية كيرالا.

لقد تم تأسيس جامعة دار الهدى وفقا للفلسفة التربوية الإسلامية حيث إنها استوحت في أهدافها ومحتوياتها وأساليبها من المبادئ المقررة في وحدة المعرفة ومراتبها. وتم تأسيسها تحت قيادة فضيلة الشيخ بشير مسليار وفضيلة الشيخ هيدروس مسليار والذي كان رئيس الكلية لعدة سنوات والدكتور يو. بافوتي حاجي (U. Bapputti Hajee).

وهناك 17 كلية تابعة للمعهد العالي للدراسات الإسلامية وكليتان تابعتين للمعهد الوطني للدراسات الإسلامية ونشاطاتها المتنوعة يدرس فيها 4000 طالب في داخل الهند وخارجها. وقد حصلت الجامعة على عضو رابطة الجامعات الإسلامية بالقاهرة وإتحاد الجامعات العالم الإسلامي بالمغرب، إضافة إلى أن عددا من الجامعات بما فيها جامعة الفاتح بليبيا وجامعة الأزهر بالقاهرة والجامعة الملية بنيو دلهي وجامعة الجيل الغربي بطرابلس وجامعة عليجر للمسلمين بعليجر وجامعة مولانا آزاد الوطنية بحيدرآباد قد وافقت هذا المنهج الدراسي. وقد حازت إقرارا من قبل هذه الجامعة أيضا.

جامعة دار السلام: هي مؤسسة إسلامية بنندي (Nandi) في مقاطعة كاليكوت التي تسعى لاسترداد روح التعليم الديني ولتنشيط الدور الحيوي للعلماء بالتوحيد بين الأهداف من العلوم المختلفة الطبائع والمحتويات وفقا للمنهج الإسلامي في تربيب العلوم حسب ما أرشد إليه القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

فجامعة دار السلام تعد خريجها عالما إسلاميا ذا قدرة على استفادة المراجع الدينية الزاخرة في فروع المعرفة الإسلامية والتي وضعها علماء موهوبون خلال القرون الماضية، كما أنه يكون

واقفا مثل الجبل أمام أحداث ومتطلبات العالم الحديثة له مهارة في العلوم المختلفة. فيتمكن على الربط بين مبادئ الإسلام وحقائق العصر الحالي للتعامل مع الأساليب والأنظمة الحديثة للمحتويات التربوية. ويقوم خريجو الجامعة المعروفون باسم "الدارمي" بإظهار الإطار المعرفي والمفاهيمي للإسلام في أي من الظروف.[116]

تنسيق الكليات الإسلامية (الوافي) : "تنسيق الكليات الإسلامية" (Co-ordinaiton of Islamic Colleges) مقرها بولانجيري (Valanchery) هيئة علمية تعتبر شبه جامعة إسلامية تنتسب إليها الكليات من مختلف أنحاء ولاية كيرالا وفي كرناتكا (Kamataka). ينطلق تنسيق الكليات الإسلامية من منظور الإسلام الشامل المتمثل في سير السلف الصالح ووجهة نظرهم ويسعى إلى توجيه الأعمال التربوية الإسلامية إلى هذه الوجهة الصحيحة من خلال بعث روح الإيمان في قلوب النشأة الجديدة.[117]

يقوم العلماء والجمعيات العلمية بنشاطات مركزة تهدف إلى تثقيف المسلمين بالثقافة الإسلامية. ولتحقيق هذا الهدف المهم يديرون آلاف المدارس ومئات الكليات وحلقات الدروس التقليدية في المساجد. وهي بحاجة ماسة ملحة إلى تطوير مناهجها الدراسية التقليدية في إطار معطيات العصر الراهن وتوحيدها، كي لا يتأخر الجيل الجديد عن الحضارة والثقافة الإسلامية والدينية والمؤهلات العلمية العالية، وكي يخرجهم جميعا بالقديم والجديد وبين العلوم الإسلامية والعلوم العصرية. ومنهم عبد الحكيم الفيضي، منسق الكليات الإسلامية وعميد كلية الشيخ أبو بكر للآداب والعلوم الإسلامية، سعى في دمج التعديلات العصرية اللازمة على المنهج النظامي

---

[116] نفس المرجع.

[117] جريدة اتحاد – الإمارات العربية المتحدة تاريخ النشر: الثلاثاء 16 أغسطس 2011 م.

السائد في الدراسة الإسلامية بكيرالا منذ القرن الثاني عشر مع إبقاء روحه وجمع طرفي العلم الدينية العصرية، حيث يمكن للطلبة تزويدهما بالعلم المادي والمعنوي تحت سقف واحد.

أسست تنسيق الكليات الإسلامية عام 1421 هـ/ 2000 م بجهود جمع من علماء ساماستا حيث قاموا بعمل تنسيق علمي وتكاتف أكادمي بين كلياتهم التى كانت تتبع مناهج متحدة الأصول. وكان هدفهم إعادة إلى صياغة العقيلة الاسلامية وتسعى من أجل ذلك إلى توحيد المناهج الدراسية في مجال التعليم الديني العالي وتطويرها وفقا للأصول والمبادئ الإسلامية في ظروف التطورات الهائلة التي يشهدها العالم في مجال العلم والتقنية. وتسعى لكي تصبح في المستقبل جامعة إسلامية متكاملة مع علاقات علمية بالجهات التربوية المختلفة والجامعات الإسلامية العالمية.

وتنسيق الكليات الإسلامية هيئة علمية شبه جامعة إسلامية تتطلع لهذه الغاية المنشودة. تعمل شبه جامعة بوضع المناهج الدراسية وتوحيد الأنشطة الدراسية وتنظيم النشاطات العلمية وإجراء الامتحانات وإصدار الشهادات العلمية وعقد الورشات والندوات وغيرها تحت رئاسة الزعيم الروحي بعموم ولاية كيرالا السيد حيدر علي شهاب تنغال. وسجلت لدى الحكومة برقم 04/379 وينتسب إليها حتى الآن 50 كلية إسلامية وتجعل من مركز التربية الإسلامية، ولاجيري (Valanchery)، كيرالا، الهند مقرا لها.[118] ويلقبون بـ"الوافي" للبنين و"الوفية" للبنات إشارة إلى التكامل المعرفي الذي نتمناه إليهم.

أصبح هذا التنسيق خلال فترة يسيرة يوزع شعاع الآمال في قلوب الطالبين الذين بعيدون عن الدراسة الإسلامية على وجه خاص واللغة العربية عامة. وكانت النقطة النوعية في اتجاه بتوفير جودة العلم بتطوير المناهج الدراسية وإضافة المواد العصرية طبق متطلبات الزمن وتأكيد تواجد

[118] http://www.wafycic.com/down-memory-lane

جميع التسهيلات المادية والعلمية في الكليات المنتسبة إليه. وقسم التنسيق مراحل الدراسة إلى التمهيدية (سنتان) والعالية (أربع سنوات) والماجستير (سنتان) اهتم الهيئة العلمية لدى تنسيق الكليات الإسلامية بقبول تغيرات علمية تجري في كل أنحاء العالم، فزار الوفد عدة جامعات إسلامية خارج الهند وداخلها. فوضع المقرر الدراسي حسب دراستهم سنة 1433 هـ/ 2012 م، وقسم المقرر إلى مرحلات. نتيجة لهذا الجهد نهضت أنشطة التربوية والتعليم حتى أسفرت عن ورود من الطلاب والطالبات من جميع نواحي الولاية متحمسين في الحصول على الدخول في المعاهد الدينية .

وقد جدير بالذكر هنا أن تنسيق الكليات الإسلامية أولى للدراسة العليا للبنات عناية خاصة لتخريج جيل جديد من النساء يمثلن الإسلام أروع نمطه ويمهدن السبيل إلى التقدم الاجتماعي بتزودهن التعليم الديني الممتاز إلى جانب العلوم والثقافات المعاصرة تحت مظلة واحدة. قتم تصميم منهج دراسي خاصا يشتمل فيه مواد التفسير والحديث والفقه والعقائد والبلاغة والتيارات الفكرية وعلم النفس وتنمية الشخصية والمناعة والإسعاف الأولي وغيرها من الموضوع الذي يتعلق بالنساء والأسرة وتربية الأولاد.

ومن هدفها المنشود الوصول إلى مستوى العالم العلمي ولهذا الغرض المهم توقعت هذه الجمعية اتفقايات واعترافات مع الجامعات العريقة الكبرى.

ومن الأجدر بالذكر منها: "ووقعت اتفاقية التعاون العلمي والثقافي معها كل من جامعة الأزهر بالقاهرة سنة 1428 هـ/ 2007 م وجامعة القاهرة – كلية دار العلوم سنة 1434 هـ/ 2013 م ومجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1434 هـ/ 2013 م ومعهد البحوث والدراسات العربية /جامعة

الدول العربية بالقاهرة سنة 1434 هـ/ 2013 م. وحصلت على المعادلة بمرحلة البكالوريوس من: جامعة عليكره الإسلامية وجامعة همدرد بنيو دلهي سنة 1432 هـ/ 2011 م".[119]

يبين عن الرؤية والرسالة وهي: نشر الدين الإسلامي بشتى الوسائل على جميع المستويات. وتحقيق التكامل المعرفي بين الطبقات المثقفة نتيجة تصنيف المعرفة إلى دينية بعيدة عن الدنيا وإلى مادية بعيدة عن الدين. وتوحيد المناهج الدراسية وتطويرها وفقا للمنهجية التربوية الحديثة. وتعزيز الدعوة الإسلامية من خلال حضور المثقفين الدينيين في شتى مجالات الحياة العامة. وتعزيز سبل التبادل الثقافي والتعايش السلمي بين الأمم والأديان. والاهتمام بالنشأة الجديدة وتربيتهم في بيئة إسلامية . والاهتمام بالمرأة المسلمة ورفع مستواها الثقافي والديني والاجتماعي.

وكذلك هناك كثير من الكليات التي تعمل على هذا النمط، وأكثر من هذه الكليات والمعاهد توفر الأطعمة والسكنى والتدريس لطلابها مجانا بمساعدات أهل الخير.[120]

أنشطة ساماستا خارج ولاية كيرالا

كلية منهج الهدى الإسلامية بآندرا برديش: هذه الكلية التي تم تأسيسها تحت إشراف جمعية خريجي دار الهدى "هادية" وتديرها نفس هيئة الإدارة للجامعة، هي مشروع أكادمي جديد بدأ بعام 1430 هـ/ 2009 م بمدينة بنغنور (Pengannur) في جيتور (Chittur) بولاية آندرا براديش (Andra Pradesh). فالهدف الأساسي هو تشكيل جيل جديد من المسلمين يقومون بقيادة الأمة المسلمة بولاية آندرا براديش وخارجها. فتعتني الجامعة بأن توفر لطلاب هذه الكلية التعليم الديني مع العلوم الحديثة حتى تتأكد من أن خريجي هذه المؤسسة يصبحون ذوي قدرة على قيادة

[119] http://www.wafycic.com/recognition-and-academic-co-operation

[120] http://www.wafycic.com/vision-and-mission

الأمة المسلمة بولاية آندرا براديش وغيرها ورفع مستواها بحيث تستوي مع الآخرين وعقد حوارات إيجابية مع الأديان المختلفة.

كلية قوة الإسلام بمومباي: وهذه الإدارة التي أسست قبل عقود من الزمن بأيدى الأمراء العباقرة تعمل كدعم أساسي لساماستا في ولاية مهاراشترا. وخريجو المعهد يعملون في سبيل إشاعة الدين بين أوساط المسلمين في اللغة الأردوية والإنجليزية.

في ولاية البنغال الغربية: إن عدد المدارس الإسلامية يزداد في ولاية البنغال الغربية، ولذلك عدد الراغبين في الدراسة الإسلامية يزداد يوما ويوما بعد أن ركزت جامعة دار الهدى الإسلامية على تشييد المدارس الإسلامية في ولاية بنغال. وتظهر هذه المدارس كمنارات للتسامح الديني.

النماذج التعليمية التي قدمتها ساماستا أمام الأمة المسلمة

ولم يكن للوالد خيار في تزويد أطفاله علوم دينية ومادية في وقت واحد لأنه كانت مناهج كليات الشريعة تنحصر على الموضوعات الدينية التقليدية فقط، بينما كانت المؤسسات التعليمية المادية خالية عن الدراسات الدينية والأخلاقية. فوقعت هذه الحالة سلبيا على ترقية الأمة وتقدمها، بحيث صار الخريجون من الكليات الدينية عاجزين أمام الاتجاهات الحديثة حينما فشل الخريجون من المؤسسات العلمانية في قبول الروح الدينية والقيام بمتطلبات الدين. فكان تأسيس هذه النماذج حلا كافيا لهذه المشكلة حتى حظي المسلمون بولاية كيرالا بفرص متعددة للحصول على كلا التعليم على أعلى المستويات من مركز واحد.

إن النموذج التعليمي الذي قدمته المؤسسات التي تعمل تحت ساماستا داخل الهند وخارجها تأثرت تأثيرا بالغا في قلوب المسلمين وغير المسلمين خاصة جامعة دار الهدى الإسلامية وتنسيق الكليات الإسلامية وغيرهما، وهي التي تحتوي على منهج دراسي شامل متكامل يتضمن

العلوم الدينية والعلوم الحديثة في المراحل الثانوية والعالية والعليا. فقد حاول المفكرون في القضاء على الفرق بين العلوم الدينية والعلوم الحديثة. هذا النوع من التعاليم أصبح نور الهداية للحائرين بين التيارات الدينية والعلمانية.

وهذا النموذج التعليمي لعب دورا هاما في إزالة أفكار سلبية في المجتمع الإسلامي أن التعليم الديني هو مجال الطلاب الفقراء أو يحتاج إلى قليل المهارة والذكاء. والجدير بالذكر أن الأغنياء يتنافسون للحصول على الدخول لأطفالهم في هذه المؤسسات كما أن كثيرا من اللجان والجمعيات الإسلامية في مناطق مختلفة تتقدم لتطبيق هذا المنهج الدراسي في كلياتهم. انضم كثير من الكليات الشريعة بهذه الجامعات، وهذا كله يدل على قبولية هذا النموذج التعليمي الجديد بين مختلف الفئات من المجتمع الإسلامي في كيرالا.

وأما في منطقة الجنوبية تقوم بهذه النشاطات الدينية جمعية العلماء بجنوب كيرالا. ولهم هيئات ومجالس ومؤلفات خاصة.

ملخص القول

ساهمت ساماستا بشدة في بناء كيرالا وحضارتها وفي نشر القيم الأخلاقية الإسلامية وتقدمت نموذجا رائعا للتعليم الإسلامي الذي يجمع بين القديم النافع والجديد الصالح على أسلوب جذاب وفقا لفهم الطالب وملكته وفي نهضة كيرالا وتطورها كما يوجد لها دور فاعل في الحفاظ على الهوية الإسلامية للمسلمين فيها وقامت بإثراء التراث الإسلامي بتأسيس عدة مراكز وكليات عالية للتربية الإسلامية مع إعداد وتخطيط برامجها ومنهاجها الدراسية، وذلك لتقديم الخدمات الجليلة القيمة لتحسين أوضاع مسلمي الهند وترقية مستواهم العلمي والتربوي والثقافي.

الفصل الثالث

المنظمات الفرعية لـ "ساماستا"

كما ذكرنا من قبل إن ساماستا تترأس لعدة مجهودات مشكورة وللعديد من الحركات الإسلامية خلال ثمانين سنة لتخليص أهالي كيرالا من حافة الانهيار علميا وثقافيا واجتماعيا. شكلت تحت ساماستا فروعا متنوعة لتبادل التوعية الاعتقادية إلى كل طبقة من طبقات المسلمين من كبارهم وشبانهم وصغارهم، الذى يفيد الأمة المسلمة إفادة تامة، وليشتمل كل المسلمين ولجمعهم تحت طراز واحد. وألف بين قلوبهم فتظلل الناس بظلال الاتحاد والجمعية فنشأ فى قلوبهم الوعي الاجتماعي الاتحادي فداولوا العلوم الإسلامية وتداولوها وصاروا مشغولين بالأمور الدينية حتى تشكلت تحتها منظمات خاصة للدعوة الإسلامية ولتبليغ رسالة الإسلام إلى غير المسلمين الذين يعيشون حائرين ومتحيرين. ولكل منها مؤتمرات وندوات خاصة. وأكثر شعارات هذه المؤتمرات الإسلامية إعدام الفرق البدعية حتى ألقيت عدة الطرائق الزائفة باسم الإسلام والاعتقادات الباطلة فى مرمى النفايات بالإعلانات والشعارات التى أصدرتها هذه الجمعية فى المؤتمرات. وفي نفس هذه المؤتمرات المتميزة فى أعوام متنوعة تشكلت فروعها المهمة أيضا وهي:

جمعية الشبان السنيين: تأسست هذه المنظمة سنة 1374 هـ/ 1954 م كجناح الشباب لجمعية العلماء لعموم كيرالا. وفي المؤتمر الذى عقد سنة 24، 25 شعبان 1373 هـ / 24، 25 أبريل 1954 م أعلن بتشكيل جمعية خاصة للشبان السنيين الذين يعدون جانبا مهما فى نمو المجتمع. ولهذه الجمعية أهداف وأغراض قيمة وثمينة ومنها: إنجاز الإرشادات لجمعية العلماء وتعقيد حملات توعية لنشر الأخلاقية والأمور الدينية ورئاسة للدعوة الإسلامية والقيام لمحو الخلافات التى تجري بين المسلمين وتأسيس المعاهد التربوية الدينية والعصرية والكليات والمدارس الإبتدائية

والثانوية للأطفال وبناء ديار الأيتام وديار المساكين والمكتبات والمباني المهنية واستعمال الإعلامات والتكنولوجيات لنشر الإسلام والتنظيم بين الناس.

تاريخ التشكيل

انعقد نقاش قوي في مؤتمر كارياوتام (Karyavattam) حول توسيع أنشطة جمعية العلماء لعموم كيرالا وأخذها إلى الجمهور، أخيرا تم تشكيل "لجنة إشاعة" و"جمعية عاملة" تحت مولانا بارفانا (Paravanna) محي الدين كوتي مسليار، كان هدفهما توسع الأنشطة إلى الشبان السنيين ثم إلى الجمهور. وكانت في "لجنة إشاعة" تسعة أعضاء. وقرروا لتشكيل تسع "جمعية عاملة" تحت رئاسة كل من هذه الأعضاء، وأجاز للأعضاء اختيار عالم أو شخص سني من عوام الناس. في المؤتمر السنوي العشرين لسامستا الذي انعقد في تانور (Tanur) سنة 1374 هـ/ 1954 م تحولت جمعية عاملة إلى "جمعية الشبان السنيين" (Sunni Yuvajana Sangam). وشدد الخطباء في المؤتمر على ضرورة تنظيم جمعية للشبان السنيين. وفي وقت لاحق، انضم العلماء والأتباع في غرفة نور الإسلام لمناقشة عن الجمعية، وتشكلوا "جمعية الشبان السنيين" بعد بوقت قصير في المؤتمر السني الذي انعقد كاليكوت.

وأهم الأهداف هو انتشار عقيدة أهل السنة والجماعة بين الجماهير على الرغم من حقيقة أن هناك شبابا يمكن أن يعمل فيه للشباب وكبار السن. وإن تأسست المنظمة في عام 1374 هـ/ 1954 م اعتمدها جمعية العلماء في المؤتمر السنوي الحادي والعشرون الذي انعقد في ككاد (Kakkad) سنة 1381 هـ/ 1961 م. أصدر الأمين العام شمس العلماء أبو بكر مسليار إعلانا علنيا، من هنا نمت الجمعية نموء وتقدما ملحوظا. أدى الجمعية إلى النمو الزعماء البارزين أمثال كوتي حسن الحاج وان عبد الله مسليار وكى وي محمد مسليار وغيرها. لقد مكن

بعمل محمد مسليار لمكافحة الأنشطة المعادية للإسلام. وفي عهده استلزم النقاش عن بدء الصحيفة تحت الجمعية وفي عام 1384 هـ/ 1964 م تم نشر صحيفة "سني تايمز" (Sunni Times)، وكان محمد مسليار أول رئيس التحرير لها. ولكن توقفت بعد ثلاثة عشر سنوات. ثم بدأت صحيفة باسم "سني وويس" (Sunni Voice)، ولكن كانت مع فرقة كانتابورام أبو بكر مسليار عند المخاصمة في ساماستا التي وقعت في عام 1399 هـ/ 1978 م، نناقش عنها في الفصل الرابع. فبدأ صحيفة أخرى باسم "سني أفكار" (Sunni Afkar).

ثم قاد الجمعية ام ام بشير مسليار، وفي عهده اجتذب إليها الشبان المتعلمين الذين حصلوا على تعليم عال. وبعده جاء بي ام اس اى بوكويا تانغال (PMSA Pookoya Thangal)، كان زعيما بارزا. وفي نفس الوقت كان رئيسا لرابطة المسلمين في ولاية كيرالا. ولكن ليس لجمعية العلماء لعموم كيرالا أي التزام أو كراهية رسميا لأي حزب سياسي.

وفي عهد بوكويا تانغال وهيدروس مسليار انتشرت الجمعية في كل ركن من أركان ولاية كيرالا نتيجة لجهودهما الجبارة، وبعد مدة هيدروس مسليار جاء كى بي عثمان صاحب في رياسة الجمعية. وبينما كان هيدروس مسليار تلميذا في المدرسة، انضم ببشير مسليار وعمل في تنظيم الثورة في المجتمع الإسلامي. ثم عين أمينا عاما للجمعية. أصبح جابانانغادي (Chappanangadi) بافو مسليار رئيسا للجمعية منذ سنة 1395 هـ/ 1975 م، وإنه قد لعب دورا هاما في نشر نشاطات الجمعية بين عوام الناس في ولاية كيرالا.

كان كى بي عثمان صاحب سكرتيرا من عام 1388 هـ/ 1968 م إلى عام 1395 هـ/ 1975م. لا يمكن أبدا أن ننسى خدماته التي قدمها لبناء هذه الحركة. كان إي كى حسن مسليار رئيسا للجمعية بين 1386 هـ/ 1976 م و 1403 هـ/ 1982 م. كان خطيبا مصقعا يخطب ساعات

بلا توقف وكان بارعا في الخطبات مدافعا عن ساماستا، وكان شقيقا للعالم الكبير الشيخ أبوبكر مسليار الملقب بشمس العلماء. ثم أصبح عبد القادر مسليار رئيسا لهذه الجمعية. كان كانتابورام أبوبكر مسليار سكرتيرا الجمعية منذ عام 1397 هـ/ 1976 م. وخلال هذا الوقت وقع أكبر انقلاب في مسيرة هذه الجمعية. وفي عام 1410 هـ/ 1989 م اظطر لإعادة تنظيم الجمعية في حالات المخاصمة.[121]

وبعد التفريق اختير السيد عمر علي شهاب تانغال رئيسا وسي أتش هيدروس مسليار أمينا عاما. وفي 14 ذي الحجة 1412 هـ/ 14 يونيو 1992 م ، جاءت اللجنة إلى حيز الوجود عمر علي شهاب رئيسا وأستاذ علي كوتي مسليار أمين عاما. وبعد أن توفي عمر علي شهاب تانغال تم اختيار باناكاد (Panakkad) سيد حيدر علي شهاب تانغال رئيسا، وإنه قد لعب دورا هاما في تطوير هذه المنظمة.

اتحاد الطلبة السنيين لعموم كيرالا: وفى المؤتمر الذي عقد في "كوتيكاتور" (Kuttikkattoor) اقترح السيد فوكويا الرأي لتنسيق وتشكيل إطار لصفوف المدارس من المرحلة الأولى إلى العاشرة، وأقرت الجمعية هذا الرأي. ثم نشأت هذه الخطوة بداية قيمة حتى عجبت الناس كلهم وحسد أعداء الإسلام على تلك التنمية العاجلة.

أسست لجنة اتحاد الطلبة السنيين لعموم كيرالا سنة 14 رجب 1409 هـ/ 19 فبراير 1989 م بكيرالا هادفة إلي تزكية الطلاب وتوعيتهم علي ضوء الكتاب والسنة وتحليتهم بحسن السيرة والسلوك.

[121] http://sysstatecommittee.com/?page_id=1133

وقد حاولت اتحاد الطلبة السنيين لعموم كيرالا لتحقيق نهضة فكرية وعلمية في قلوب الطلبة السنيين، ليس في مسيرة حياتهم فحسب بل في أساليب التعليم والتربية الحديثة أيضا مع اعتراف أهميتها. فهذا الإتحاد تعتقد أن أعضاءها مكنت لهم مواجهة تلك المحاولات والتهديدات التي تواجهها الأمة المسلمة من شتى الأطراف، كما أن فيهم قدرة لقيادة الأمة المسلمة بل الإنسانية جمعاء في المجالات الدينية والروحية والعقلية والاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية وما إليها.

وخدماتها فى مجالات متنوعة من تدريب الطلاب للدراسات العليا ولإعداد جيل جديد لنشر الدعوة الإسلامية. وخدماتها واضحة فى مجال الاسعاف للمرضى والمتألمين ولهذا الاتحاد مركز خاص لدراسة القرآن الكريم. وكل هذه الأنشطات تلوح آثارها فى الأمة وينتفع بها الآلاف من المسلمين وغيرهم.

وإضافة إلى هذه الثورة المدرسية والتربوية التي تحدث تحت راية هذه الجمعية قد أقيمت عدة من الكليات العربية والإسلامية والمدارس الإنجليزية حتى كلية الهندسة أيضا[122].

ومن أنشطتها أنها تقوم بإصدار مجلة نصف شهرية إسلامية جذابة لقلوب الشبان والطلبة باسم "ساتيادارا" (طريق الحق). تتضمن مقالات قيمة موافقة لمستواهم وملائمة لأذواقهم يخرجهم من ظلمات الجهل والغواية إلي نور العلم والهداية. ويقوم القائمون عليها بأعمال بناءة مثل "ساهاجاري" لمساعدة المعوقين والمنح الدراسية المتنوعة حتى للخدمات المدنية لعامة الناس.

اتحاد المحلات[123] السنية: هذه هيئة مستقلة تحت راية ساماستا معدة لتنسيق الأنشطات التى تجري في محلات المسلمين. وتهدف إلى تنمية المسلمين دينيا وثقافيا بأكمل صورته وتترأس لكل

[122] www.samastha.info

أعمال دينية. أنشأ العلماء هذه الهيئة سنة 1396 هـ/ 1976 م في مؤتمر انعقد بتشماد (Chemmad) بمقاطعة مالابورلم. وكان رؤساء هذه المحلات أصحاب العلم والإخلاص حيث يمكن لإرشاد المسلمين وإصلاح شؤونهم. يعقد تحت هذا الاتحاد جلسات الذكر والعلم والدعاء وغيرها.

وأسست لجنة خاصة لاتحاد المحلات السنية بمالابورلم سنة 28 ربيع الأول 1397 هـ/ 17 أبريل 1977 م، ومن أبرز أعمال اتحاد المحلات السنية أنها تقوم بانتشار دين الله في كل محلة من محلات كيرالا بواسطة المبلغين المبعوثين حتى استطاعوا على تأسيس آلاف من الدروس في المساجد في بدايته، وكفى للاتحاد فخرا أنه قام بتأسيس جامعة إسلامية في ديار كيرالا – جامعة دار الهدى الإسلامية سنة 1406 هـ/ 1986 م.

جمعية المعلمين لعموم كيرالا: فهذه جمعية خاصة للمعلمين تعرف بجمعية المعلمين لعموم كيرالا تأسست سنة 1378 هـ/ 1959 م. ومنذ بداية شهر شوال 1397 هـ/ سبتمبر 1977 م قامت خزانة نمو المعلمين بالجهود المضنية وذلك لمساعدة معلمي المدارس الإسلامية في المجالات المختلفة، وتنفق لجنة التعليم الديني ملايين من الروبيات في كل شهر لنموهم ورخائهم. وتقوم أعضاء هذه الجمعية بالأعمال الثقافية في المجتمع الإسلامي.

جمعية المفتشين لعموم كيرالا: تأسست هذه الجمعية في سنة 1381 هـ/ 1961 م لتنظيم تعاليم المدارس التي تقع في الأماكن البعيدة ويقومون هؤلاء المفتشون بزيارة جميع المدارس ويقومون باجراءات الإمتحانات ويهيأون تقاريرا مفصلا عن مستوى التعليم ويقدمونها إلى لجنة التعليم.

---

[123] والمحل هو عبارة عن منطقة في حدودها الجغرافية. وعادة هذه المنطقة تقع تحت رعاية مسجد جامع ويشرف عليها العالم الذي يلقى خطبة يوم الجمعة في هذا المسجد.

جمعية الولدان السنيين لعموم كيرالا: جمعية الولدان السنيين لعموم كيرالا جمعية ذات خطورة بالغة في ميدان توعية الولدان في المجالات العلمية والثقافية، ويعمل فيها ولدان الإبتدائية والثانوية ويقومون بعقد جلسات جذابة تساعدهم على تطور أفكارهم وخيالهم في مختلف أرجاء كيرالا، تأسست سنة 1414 هـ/ 1993 م.

دور ساماستا في مجال الصحافة والإعلام

مجلة "سني أفكار" الأسبوعية: تخصص المجلة مساحات واسعة للدراسة العقدية والفقهية في اللغة المحلية، وإنها قد لعبت دورا أساسيا في ترسيخ مفهوم الدين لدى المسلمين من خلال سلسلة البحوث والدراسات، واستضافت كوكبة من المفكرين لمناقشة القضايا المبتكرة التي تطرئ على الساحة الدينية.

مجلة "ساتيادارا" (طريق الحق): هفف هذه المجلة لانقاذ الناس من الضلال وهدايتهم من الظلمات إلى صرلط الحميد. تتضمن الأهداف والغايات التي يتطلع إليها الدعاة المخلصون، وتساعد في البحث عن الوسائل الصحيحة التي تخدم العمل الإسلامي بأسلوب يعتمد التحليل والوضوح في العبارة والمقصد.

مجلة "سانتوشدا كودومبام" (الأسرة السعيدة): وهي من أهم إصدارات جمعية المعلمين تحتوي على الموضوعات الأسرية من المقالات والتواريخ وقصص الصحابيين والصحابيات والمقالات المعاصرة التي تتعلق بالأسرة مع توعيتهم عن الأخطار التي تمد مخاليبها نحوهم وتنحلق على رؤوس الأفراد. وحسب ادعائهم تعتبر هذه المجلة أكثر ترويجا في كيرالا خلال المجلات الإسلامية من حيث عدد قرائها في الولايات الهندية والخليج.

مجلة "تاليتشام" (الضوء) الشهرية : هذه المجلة تصدر من جامعة دار الهدى الإسلامية منذ عام 1419 هـ/ 1998 م، ولا شك في أنها قد سدت منذ أن بدأت بابا مهما على مصراعيها، بل لم تزل تمتاز من بين المجلات الإسلامية الأخرى والدوريات المرموقة والإصدارات المنوعة فصلية كانت أو شهرية داخل الهند وخارجها، بأنها قد قامت بعناية لا يستهان بها وكتبوا عن كل ما يتصل بالثقافة الإسلامية والدعوة الإيمانية في عمرها السعيد. تسعى هذه المجلة لترشيد العمل وتوجيهه، وتحريك القلوب وتربيتها، وحث الهمم وشحذها، وإنها تحرص على بناء الشخص على العقيدة الصحيحة ليكون واعيا عن مضامين الإسلام الصحيح. فمنذ العقد الأخير تقوم هذه المجلة بتدخلاتها الفعالة في قضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية.

مجلة "المعلم" الشهرية: تصدر مجلة المعلم عن جميعة المعلمين لعموم كيرالا، وتأسست سنة 1379 هـ/ 1959 م وذلك لتوعية المعلمين عن الأساليب الفعالة في مجال التربية والتعليم وتثقيف الطالب إما لمواصلة تحصيله الدراسي أو لمواجهة الحياة على نمط مناسب لمستوى الطلاب. تحتوي هذه المجلة على مقالات حول الدراسات الدقيقة للأهداف المعرفية التي يرجى الوصول إليها من تدريس المنهج والتصور الكامل للمنهج والوسائل التي يحتاج إليها المعلم لتوصيل المعلومات. تحرضت هذه المجلة المعلم على احترام عقل الطالب وطريقة تفكيره ومناقشته مناقشة موضوعية لأسباب تدني مستواه واحترام وجهة نظره في ذلك لوضع الحلول المناسب حتى يشترك الطالب في عملية الدراسة. وتهتم بالتغيرات التي تحدث في المجتمع وتأخذها بعين الاعتبار بعدم إهمالها مع المحاولة الجبارة للإستفادة من الإيجابيات ومعالجة السلبيات بالطرق التربوية السليمة.

مجلة "كورونوكال" (الأطفال) الشهرية: هذه مجلة تعتقد أن ساحة العمل الإسلامي تبدأ من الطفل منذ نعومة أظفاره، فتمرن الطفل على تعاليم الإسلام خلال قصص الأنبياء والصحابة

والتابعين ولغز الجداول. تساعد هذه المجلة الأطفال لإظهار أوصافهم الكامنة وتقدم للجيل الناشئ ما يثلج صدره وتجعله يتنقل في صفحات المجلة من فن إلى فن ملون آخر. تصدر هذه المجلة عن جميعة المعلمين لعموم كيرالا في كل شهر بدون انقطاع.

مجلة "النهضة" العربية: مجلة النهضة لها المكانة المرموقة من خلال المجلات العربية والاسلامية بالهند، وحقا كانت هذه المجلة التي بدأت تصدر سنة 1427 هـ/ 2006 م هي المجلة الأولى في اللغة العربية في تاريخ ساماستا النيرة وهي تعتبر نقطة انعطاف في سيرها الدؤوم. فقد أفردت صفحات للفقه ووعي الحديث والتاريخ والاستطلاعات والحوارات والتمحيصات والفحيصات القيمة واللقطات الأخبارية وواحة النهضة التي تتناول الحكم والأمثال السائرة.

مجلة "النور" العربية: تصدر عن اتحاد الطلبة السابقين للجامعة النورية العربية بباتيكاد (Pattikkad). وهذه مجلة بحثية أدبية جامعية تتضمن المقالات والدراسات العميقة حول الموضوعات الدينية والثقافية بحيث يستطيع أن ينتفع بها الطالب والباحث الأكاديمي لتوسيع آفاق دراساته.

موقع "الإسلام على الموقع": www.islamonsite.com هو موقع على شبكة الإنترنت تشرف عليها طلاب جامعة دار الهدى الإسلامية وخريجوها. فهذا الموقع يمثل مركزا للمعرفة والتوجيهات والمناقشات الإيجابية والانعكاسات على القضايا المعاصرة الناشئة في العالم الرقمي كما أنه توفر مقالات ومناقشات ومحاضرات وخطبا كما يقوم بعرض شريط وديو ونحوها مما تتعلق بقضايا إسلامية مختلفة.

وأما معظم الجامعات والكليات التي تعمل تحت إشراف ساماستا لها مواقع خاصة بها، لتسهيل أعمالها حتى إن ساماستا تعلن نتائج الإمتحانات العامة في مدارسها على الموقع الخاص بها.

ومن الأعمال البناءة التي قامت بها جمعية العلماء لعموم كيرالا في السنوات الماضية :

- إعداد وتخريج العلماء العاملين القادرين علي قيادة الأمة الإسلامية في عموم الهند بل في العالم بأسرها علميا وفكريا.
- إعداد الدعاة الأكفاء المتمكنين من العلوم الشرعية والعصرية والمؤهلين لنشر تعاليم الإسلام ودحض المفتريات على الدين الحنيف .
- إعداد الكوادر القيادية المؤهلة لتولي المسؤوليات القيادية في مختلف المؤسسات والخدمات والتنظيمات المرتبطة بأنشطة العمل الإسلامي المتعددة على صعيد ولاية كيرالا خاصة وعلى صعيد الدولي عامة.
- المساهمة في بناء المجتمع الإسلامي على أساس ديني متين بإعداد الفرد المسلم المؤهل علميا وروحيا لتحمل أعباء هذا البناء.
- تخريج العالمات القادرات على تربية المرأة وتثقيفها على أسس الإيمان علما وعملا ودعوة وتأهيلها للقيام بالمسؤوليات الملقاة على عاتق المرأة المسلمة في العصر الحديث مثل كلية الوفية تحت مركز التربية الإسلامية وكلية فاطمة الزهراء تحت جامعة دار الهدى الإسلامية.
- تعقد دورات تخصصية للرجال والنساء لتنمية القدرات والمهارات في المجالات الدعوية والإجتماعية والإدارية وتدريب الأئمة والخطباء بهدف تنمية قدراتهم ليتمكنوا من أداء دورهم في إصلاح المجتمع .
- تمكين الأساتذة والطلاب والباحثين من القيام بمختلف أشكال البحث العلمي ودراسة الموضوعات الإستراتيجية التي تهم الأمة المسلمة في الهند كما تقوم عليها بعض الجامعات والكليات تحت إشراف ساماستا.

- إدارة سائر المشاريع المتطلبة لايجاد جيل جديد متسلح بالعلوم الدينية والعصرية وتنظيم النشاطات التربوية والدعوية وقيادة الأمة المسلمة.

وفي الخلاصة إنه قد أمكن للمنظمات الفرعية لسلماستا أن تتبرع مساهمات جبارة بأنشطاتها العميقة في مجال التعليمية والتربوية والثقافية بين المجتمع الإسلامي في ولاية كيرالا. تخرج من مؤسساتها المختلفة العلماء المتسلح بالعلوم الدينية والعصرية والقادرون على قيادة الأمة الإسلامية علميا وفكريا. وقد ساهمت المجلات والدوريات التي تصدر تحت سلماستا في تنمية قدرات ومهارات الرجال والنساء حيث يتمكن لهم لأداء دورهم في إصلاح المجتمع.

الفصل الرابع

المخاصمة ونشأة جمعية العلماء السنية

انقسمت ساماستا أي جمعية العلماء لعموم كيرالا إلى فرقتين في سنة 1399 هـ/ 1978 م. وتكون جمعية ثانية في نفس الأسلوب والأهداف تحت قيادة الشيخ أبوبكر بن أحمد المشهور بأى. بي. أبوبكر مسليار الكانتابورامي باسم جمعية العلماء السنية. كلا الفريقين كانا يتناكسان مع الآخر. وكل فرقة تسابق مع الأخرى في تنفيذ مناهجهم لترقية المسلمين في كيرالا. ولجمعية العلماء السنية جامعات ومعاهد إسلامية وعصرية ومن أهمها:

جامعة مركز الثقافة السنية الإسلامية: هي من أهم المعاهد الدراسية العليا تحت جمعية العلماء السنية. أسس هذا المركز سنة 1399 هـ/ 1978 م تحت رئاسة الشيخ أبوبكر الكانتابورامي. وكان يعمل كعميد في كلية الشريعة فيها منذ 1402 هـ/ 1981 م. نفذ المركز أساليب ممتازة لتثقيف الأجيال الناشئة ورفعها من التخلف والأمية، وقد قامت بصياغة منهج دارسي يجمع فيه العلوم الدينية والعصرية والتقنية، كما قامت بتطبيقها في شتى المدارس والكليات التابعة لها، فنالت تلك الأنظمة الأكادمية التي ابتكرتها الجامعة قبولا واسعا لدى أوساط المجتمع الإسلامي. وبالتالي تمكنت الأمة الإسلامية لادراك نهضتها العلمية وإزدهارها المعرفي كما بدأت تضمحل آثار البطالة والأمية من أوساط الأمة الإسلامية، حتى تجاوزت سمعتها من حدود كيرالا إلى أن شاعت إلى كافة ولايات الهند والتحق بها الطلاب حتى من ولايات أخرى.

فالخلاصة أن نهضة العلمية التي وقعت نتيجة لتأسيس هذا المركز بدأت تجني ثمراتها كافة المسلمين على طول الهند. وقد تتابع خطاها عديد من المدارس والكليات الإسلامية بالهند حتى

أصبحت تلك الرسالة التي رسمها المركز نموذجا مثاليا يقتدى به ممثلو المؤسسات التعليمية والهيئات الإسلامية.

وتمسكَ المركز بالأصالة والتراث ودعت إلى السير على نهج السلف الصالح وبالعقائد التي توارثوها. واهتم المركز بتطبيق المناهج التراثية الأصيلة بشكل حديث وآليات معاصرة، فتميزت أساليبها عن غيرها من المؤسسات التي رمت الأصالة الموروثة لأجل المعاصرة العمياء فابتعدت عن الدين.

وهذا المركز نشيط بمبادراته العديدة في توسعة الأعمال الخيرة، ويقوم برعاية وكفالة آلاف من الأيتام والمساكين ويوفر لهم السكن والغذاء والعلاج وتكاليف الدراسة مجانا، ومن أهم مشاريعه الخيرية بناء المساجد وحفر الآبار ومساعدة الأسر الفقيرة لتزويج الشبان والفتيات وتوزيع كسوة العيد ولحم الأضاحي وغيرها، وقد تركزت الإدارة مؤخرا على توسعة مشاريعها الخيرة في المناطق البعيدة في ولايات كشمير و آسام وبنغال الغربية وهاريانا وغيرها.

يستفيد من جامعة مركز الثقافة السنية أكثر من عشرة ملايين شباب فى أنحاء جمهورية الهند. وإنها تعد من كبرى مراكز التعليم والثقافة تحت جمعية العلماء السنية. وفي السنوات القصيرة الماضية قد نالت شرف أكبر المراكز الإسلامية نموا وشهرة حيث جذب إلي حظيرتها انتباه ملايين المسلمين وغير المسلمين. وتقوم حاليا بتخطيط منظم للقيام بما ينهض بالأمة الإسلامية علميا وثقافيا.

الأنشطة التعليمية: يوجد فى حرم الجامعة ست كليات بقوة أكثر من ألف وخمسمائة طالب كما توجد عشرات المدارس والمعاهد فى مختلف فروع الجامعة بقوة أكثر من تسعة آلاف طالب وطالبة. ويكفل للفقراء منهم الطعام والإسكان والطب وأدوات الدراسة. وتمتاز الجامعة من بين

سائر الجامعات الأخرى بأنها تشجع الطلاب إلي البحوث والدراسات العليا حسب ميولهم وقدراتهم ليكونوا في مقدمة بناء المستقبل الواعد للإنسانية كلها وتكريما لنشاطاتها التعليمية والخدمات العلمية. وقد حصلت بعض الكليات فيها على معادلة من الجامعات الكبرى فى الهند وخارجها مثل جامعة الأزهر بالقاهرة وجامعة همدرد بنيودلهي.

يبدأ نظام التعليم فيها في مستوى الحضانة، أي من السن الثالث حيث يلتحق بمدرسة الحضانة ويحرص جامعة المركز أن تكون تلك المدارس فى جو منزلي كاملا، فيه لعب مع تكوين بعض العادات الصحية والاجتماعية الحسنة ويدرس الأطفال مبادئ القراءة والكتابة والحساب عن طريق اللعب. وحاليا تدير جامعة المركز سبع مدارس من هذا النوع، ويريدون على إنشاء الحضانات الجديدة فى الأرياف والقرى من مختلف أنحاء كيرالا.

يجري جامعة المركز معاهد في مستوى المدرسة تغنى بمستوى المدرسة المرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية والثانوية العليا. المرحلة الابتدائية هي من الصف الأول إلى الصف الرابع أي من عمر خمس سنوات وإلى سن التاسع. والمرحلة الإعدادية يبدأ بالصف الخامس إلى الصف السابع أي من عمر تسع سنوات إلي اثنتي عشرة سنة. وأما المرحلة الثانوية من الصف الثامن إلي العاشر أي من عمر اثنتي عشرة سنة إلي خمس عشرة سنة. وبهذا قد أتم دراسته الأساسية لتكون شخصية مستقلة حتى يسهل عليه اختيار موضوعات الدراسة الجامعية حسب ميوله وقدرته وإرادته. ثم يلتحق بالثانوية العليا، وتنقسم الدراسة فى هذه المرحلة إلى ثلاثة أقسام اختيارية العلوم والتجارة والإنسانيات.

بعد إكمال دراسة الثانوية العليا يمكن للطالب أن يلتحق فى مجال الدراسات الجامعية تحاول جامعة المركز جاهدة لتوفير أفضل أنواع التعليم وحاليا توجد أربع كليات إسلامية وكليتي الآداب والتجارة.

وكلية الشريعة التي تجري في جامعة المركز من أفضل الكليات تحت جمعية العلماء السنية. وتستهدف هذه الكلية إيجاد طائفة من العلماء المحققين والرجال المثقفين وحتى الآن قد تخرج منها أكثر من خمسة آلاف طالب. وهؤلاء الخريجون يقومون أنشطة علمية متنوعة فى مختلف الولايات الهندية كإماما ومدرسا ومحاضرا وداعيا وخطيبا وغيرها. وأهم ميزات هذه الجامعة هي الكليات الثلاثة – كلية الشريعة وكلية اللغة العربية وكلية الدراسات.

وللجامعة معاهد أخرى للتأهيل المهني حاليا التي يدرس فيها حاليا أكثر من ثلاثمائة طالب فى مختلف الدورات التدريبية ويمنح دورات مختلفة للحصول على دبلوم فى الحاسوب وفى الإلكترونيات والراديو والتفيزيون وفى الكهربة وفى أوتوموبايل وفى مكانيكية ديسل وفى التكييف والتبريد وفى مسح الأراضي وغيرها.

ولجامعة المركز أنشطة خيرية وإنسانية أمثال كفالة الأيتام، حيث يوفر المركز لهؤلاء الأيتام السكن والطعام واللباس والرعاية الصحية والدراسة بالإضافة إلي التوعية الدينية والتربية الروحية التي هي من الأهداف الأساسية لبناء دار الأيتام. وإذا بلغ اليتيم إلى السن الخامس يدخله فى دار الأيتام، ويكفل له الدراسة العامة فى المدارس الحكومية حتى مستوى الثانوية العليا كما يكفل له الدراسة الدينية عن طريق الفصول الخاصة حسب المناهج الدينية لدى جامعة المركز، فيكون على وعي تام بسائر العلوم الدينية والعصرية حينما يبلغ إلي السابع عشر من عمر.

بالإضافة إلي الأيتام تكفل جامعة المركز مئات من الأطفال المساكين. وتشجع جامعة المركز طلبة الفقراء إلى الدراسات العليا فى الجامعات الحكومية بتوفير المنح الدراسية لهم في أقسام العلوم والطب والهندسة والإعلام والإدارة لأن هذه الأقسام تحتاج للالتحاق بهما إلى رسوم كبيرة.

وبالإضافة إلي هذا أسست الجامعة لجنة إغاثية خاصة باسم "سهاي" بمعنى المساعد، بهدف توفير الأدوية والمساعدات المادية للمترددين الفقراء إلى المستشفى الكبير بكلية الطب كاليكوت.

مجمع سراج الهدى التعليمي: تقع هذه المجمع في قرية كوتيادي (Kuttiyadi) بكاليكوت، أسست سنة 1410 هـ/ 1989 م. تجري تحت إدارة هذه المجمع كلية الدراسات الإسلامية ومدرسة تحفيظ القرآن وكلية الدعوة الإسلامية ودار الأيتام والمساكين والمدارس الإنجليزية والأردوية وكلية العربية الوظيفية وكلية العلوم والفنون.

وتجري تحت إدارة هذا المجمع عدة كليات دينية وعصرية ومدارس إسلامية ومدارس إنجليزية مسجلة تحت منهج سي. بي. أس. إي. وبالتالي بيانات ملخصة:

كلية الدراسات الإسلامية هي كلية تستهدف هذه الكلية إعداد العلماء الذين يتحطون بعلوم الشريعة الإسلامية والفنون الدينية والذين يقدرون على مقاومة الحملة الشرسة التي تثيرها التيارات المناهضة للدين الإسلامي فكريا وعقديا.

مدرسة تحفيظ القرآن الكريم هي تعتبر من أهم معاهد مجمع سراج الهدى التعليمي حيث يدرس فيها حوالي مائتي طالب، ويقوم الطالب الملتحق بهذه المدرسة بتحفيظ القرآن الكريم كاملا خلال مدة محدودة مع أحكام التجويد بالإضافة إلى العلوم الدينية والعصرية حسب المنهج المقرر لدى المدرسة.

كلية الدعوة الإسلامية هي تجري تحت إدارة المجمع، وتستهدف إعداد كوادر دعوية قادرة على القيام بالدعوة الإسلامية في هذا العصر المتطور، وتقوم الإدارة بتسهيل الطالب على حصول شهادة الليسانس في المواد الدينية من إحدى الجامعات الإسلامية بالهند وفي الآداب والفنون أو العلوم من إحدى جامعات حكومية.

دار الأيتام والمساكين هو وجه المجمع في المجال الخيري والإنساني، وتقوم الإدارة بتوفير جميع متطلبات الطالب حيث يتلقى العلوم الدينية والعصرية حسب رغباتهم بتطبيق المنهج المقرر لدى المعهد .

وتجري تحت المجمع ثمانية مدارس إنجليزية في المناطق المجاورة يدرس فيها الآلاف من الطلاب والطالبات. وقد أسست المدرسة الأردية بإستهداف الطلاب الوافدين من غير ولاية كيرالا الناطقين بالأردوية من الولايات الهندية. بالإضافة إلى هذه المعاهد تجري تحت إشراف مجمع سراج الهدى التعليمي كلية العربية الوظيفية وكلية القون للطالبات ومدرسة الثانوية العليا وكلية الفنون والعلوم وعدة مساجد في المناطق المجاورة لها ومكتبة إسلامية في رحابها حيث تضم عدة كتب دينية في شتى الفنون والعلوم.

الفصل الخامس

الجماعة الإسلامية والمنظمات الأخرى

هي الحركة الإسلامية التي ظهرت في القارة الهندية سنة 1360 هـ/ 1941 م تحت قيادة السيد أبو الأعلى المودودي. وكان هدف تأسيسها التأليف بين الطبقات المختلفة وإقامة الأمن والسلامة. تعتني بمواجهة التيارات الهدامة واللادينية المادية.

أسست الجماعة الإسلامية بكيرالا فرعا للجماعة الإسلامية الهندية سنة 1367 هـ/ 1947 م. وكان أهم مقاصدهم في ذلك الوقت القيام بتسهيلات الدراسة الإسلامية في صورة جذابة وفقا للعصر الحديث، ومع ذلك لا يميل عن توعية الإسلام. لم ترى أي تجردة بين العلوم العصرية والعلوم الدينية. وكان الأستاذ وي. بي. محمد علي، الملقب بحاجي صاحب، أول أمير للجماعة في ولاية كيرالا. وكان مقرها الأول في أدايور (Edayur) في منطقة مالابوارام. مقرها الحالي تقع في مدينة كاليكوت باسم "مركز الحراء".

تصدر تحت مراقبتها الدعوة الأسبوعية باسم "برابودانام" (Prabodhanam) منذ سنة 1369 هـ/ 1949 م وجريدة يومية يسمى "مَادْهيَامَمْ" (Madhyamam) سنة 1408 هـ/ 1987 م. وجدير بالذكر إن لهذه الجريدة مساهمة مهمة في رعاية الصحة في المجتمع المسلمين. تعمل تحت الجماعية الإسلامية دار النشر الإسلامي لطباعة الكتب والنشر أسسه سنة 1374 هـ/ 1954 م. وتعمل تحتها "هيئة المحامين" لنصر البائسين الفقراء الذين وقعوا في الحوادث والمصائب، ويقدم هؤلاء المحامون الإرشادات اللازمة في الأوقات المناسبة.

وتدير الجماعة الإسلامية معاهد علمية ومهنية. تجري تحت اشراف الجماعة هيئة تعليم باسم "مجلس التعليم الإسلامي" منذ سنة 1400 هـ/ 1979 م.

ومن أهم معاهدهم التعليمية العالية "الكلية الإسلامية" بشانتابورام (Shantapuram) في مقاطعة مالابورام، أسست سنة 1375 هـ/ 1955 م، وفي سنة 1424 هـ/ 2003 م ارتفعت جامعة، أعلن بارتفاعها العالم الشهير الدكتور يوسف القرضاوي. ومن مراكزهم الدراسية "المدرسة الإسلامية" بتشينامانغالور (Chennamangallur) أسست سنة 1380 هـ/ 1960 م ثم تغير اسمها إلى "الكلية الإسلامية" سنة 1387 هـ/ 1967 م.

ومن كلياتهم "الكلية الإسلامية" بكوتيادي (Kittiyadi) أسست سنة 1376 هـ/ 1956 م تحت رئاسة كى سي عبد الله مولوي المشهور بعلوم القرآن. و"الكلية العالية" بكاساركود (Kasargod) أسست سنة 1363 هـ/ 1943 م و"كلية وادي هدى" بكانور (Kannur) و"الكلية الإرشادية" بفاروق (Farook) و"مدرسة البنات العالية" بموولتبوزا (Muvattupuzha) و"الكلية الإسلامية" بآلتور (Alattur) و"الكلية الإلاهية" بتروركاد (Tirurkad) سنة 1400 هـ/ 1979 م. و"الكلية الإسلامية" وادانابالي (Vadanappally) أسست سنة 1400 هـ/ 1979 م. و"كلية أزهر العلوم الإسلامية" بآلوواي (Aluva) أسسها العالم المشهور الدكتور محي الدين آلوواي سنة 1411 هـ/ 1990 م.

وفي سنة 1439 هـ/ 2017 م تكونت تحت الجماعة الإسلامية لجنة خاصة للعلماء باسم "اتحاد العلماء بكيرالا". وفي سنة 1403 هـ/ 1982 م تكونت جمعية للطلبة باسم "منظمة الطلاب الإسلامية" (Students Islamic Organisation). أسست منظمة خاصة للطالبات سنة 1405 هـ/ 1984 م باسم "منظمة البنات الإسلامية" (Girls Islamic Organisation)، تصدر تحت هذه المنظمة مجلة شهرية باسم آرامام (Aaramam) منذ سنة 1406 هـ/ 1985م. وفي سنة 1424 هـ/ 2003 م تكون جمعية للشبان باسم "حركة الشباب التضامن" (Solidarity Youth Movement).

لعبت الجماعة في التعليم والنشر دورا هاما منذ إنشائها. تقوم الجماعة الإسلامية بمشروعات شتى في كيرالا مثل بيت الزكاة وتزويد أدوات الأشغال وفتح المراكز المهنية الحديثة للعاملين وما إلى ذلك.

الجماعة التبليغية

وهي حركة عالمية أسسها محمد إلياس المولوي لنشر الدعوة الإسلامية وتحريض المسلمين على العبادة. وكانت بدايتها في ميوات (Mewat) من ولاية "يوبي" (Uttar Pradesh) سنة 1345 هـ/ 1926 م. استوطن فيها قوم "مايوس" الذين كانوا مسلمين في الظاهر ولكن لم يتركوا عاداتهم وتقاليدهم القديمة. ولم يعرفوا شيئا عن الإسلام حتى يحتظون با عياد الهنادكة.

وأهاب مولانا محمد إلياس بأتباعه أن يبلغوا الإسلام على قدر علمهم لتطهير المسلمين من الشرك والضلال. انعقدت جلسة للجماعة سنة 1360 هـ/ 1941 م وحضر فيها أناس كثير من مختلف الجهات. تقررت في هذا الاجتماع برامج عملهم. ومنها تقوية الإيمان واتباع السنة وإقامة الصلاة في أوقاتها وتحريض المسلمين عليها ومعرفة القرآن والسنة والإستغراف في ذكر الله واكرام المسلمين والإخلاص في الأعمال كلها وما إلى ذلك.

بدأت أعمالهم في كيرالا سنة 1359 هـ/ 1940 م. يعقدون ثلاث اجتماعات في كل سنة. ويخرجون جماعات مبلغين إلى ولاية أخرى. ويدعون الناس إلى الصلاة وإلى فضائل الأعمال مرتكزا على المساجد. وهذه الجماعة السيارة انفع في تبليغ الرسالة وأجدى في معاودة العبادة، ولهم أثر بالغ في جنوب كيرالا.

يديرون مدارس دينية وكليات عربية، ومن أهمها "كلية الكوثر" و"كلية نجم الهدى" بمانجيري (Manjeri) في منطقة مالابورام وغيرها.

جمعية المسلمين التربوية

كان يعمل في كاليكوت جمعيات خيرية لمصالح الطلاب ولمساعدة الطلاب البائسين في المجالات العالية. فلما توقفت المنحات الدراسية قدموا شكواهم أمام الأغنياء والأطباء. وفسروا حالة بؤسهم في تتابع الدراسة. ففكروا عن مشروع لمساعدتهم ماليا وأسسوا "جمعية المسلمين التربوية" (MES) سنة 1384 هـ/ 1964 م. تستهدف الجمعية ايجاد تقدم بين المسلمين في العلوم والفنون.

ورأوا تلقائيا تخلف المسلمين والتفتوا إلى تأسيس المعاهد العلمية. مساهمة هذه الفرقة حيث يقول عبد الغفور عبد الله القاسمي: "وبعد التشكيل قاموا بزيارات من أقصى كيرالا إلى أقصاها لجمع التبرعات لتمويل مشروعهم. وتمكن لهم بهذا السفر الطويل أن يلاحظوا تخلف المسلمين في مجال العلوم والتكنولوجيا تلقائيا. لذا التفتوا أنظارهم إلى تأسيس الكليات الفنون والعلوم في مختلف أنحاء الولاية".[124]

تصدر تحت الجمعية جريدة تسمى "مجلة ام إي أس". وللجمعية لجنة خاصة للشبان والبنات. وينتمي إلى هذه الجمعية أفراد من مستويات مختلفة بما فيهم الأطباء والمهندسون والأساتذة ورجل الأعمال وغيرهم.

تقدمت هذه الجمعية وأعمالها بسرعة فائقة. حاولوا في تزويد التعاليم المدنية والحديثة. أنشأت هذه الجمعية الكليات الفنون والعلوم وكليات الهندسة وكليات الطب وكليات التقنية ومدارس ثانوية وعالية ومستشفى في أماكن مختلفة في كيرالا والخليج.

[124] عبد الغفور عبد الله القاسمي، المسلمون في كيرالا، ص 179.

جمعية المسلمين التربوية ساهمت دورا بارزا في ولاية كيرالا في مجال التعليم والتربوية خاصة في الدراسات العليا.

الباب الرابع

مساهمات الشيخ رشيد رضا إلى الحركات الإصلاحية الإسلامية في كيرالا

الفصل الأول: أبرز زعماء الحركة الإصلاحية في ولاية كيرالا

الفصل الثاني: تأثير فكر وكتابات الشيخ رشيد رضا على المنظمات

الفصل الثالث: الحركات الإصلاحية في ولاية كيرالا

الفصل الرابع: مساهمات الشيخ رشيد رضا في الحركات الإصلاحية

الفصل الخامس: تأثير الحركات الإصلاحية على مسلمي ولاية كيرالا

الفصل الأول

أبرز زعماء الحركة الإصلاحية في ولاية كيرالا

انتشر الإسلام في ولاية كيرالا بواسطة التجار العرب الذين كانوا على صلة وثيقة بالهند. والإسلام الذي علمه العرب كان خالصا وسالما من شوائب الشرك والبدع والخرافات. ولكن طال على مسلمي كيرالا الأمد، حتى تسربت إليهم البدع والخرافات، سنة من أمثالهم في أهل البلاد الأخرى. ومع ذلك كان فيهم في كل زمن طائفة ظاهرين على الحق، وكانوا يصلحون ما أفسده الناس من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أبرزهم:

السيد ثناء الله المقدي

ولد السيد ثناء الله المقدي السقاف سنة 1264 هـ/ 1847 م في فوناني (Ponnani) في مقاطعة ملابورام.[125] ولكن اختار كوتشن مقرا له لأنشطته العلمية وطباعة الكتب والنشر. تلقى التعاليم الابتدائية الدينية من أبيه، ثم التحق بالمدرسة الحكومية بجاواكاد (Chavakkad) لتعليم العصرية. وحصل الدراسة العليا من دروس المساجد المختلفة. وبرع في اللغة العربية والأردوية والإنجليزية والفارسية وتاملية.

بدأ وظيفته الرسمية كموظف حكومي. وفي ذلك العصر كان أعمال المبشرين المسيحيين شديدا ونظاميا وهجأوا الإسلام بكتيبات في لغة ملايالام ونشروها بين غير المسلمين وفي لغة العربي ملايالام ونشروها بين المسلمين. وكانوا يخطبون ضد الإسلام والرسول في الطرق والأسواق، فترك المقدي هذه الوظيفة تأسفا من حالة السيئة في الأمة المسلمة الكيرالي وللمكافحة ضد التبشير المسيحي. شعر ثناء الله المقدي بالحاجة إلى رفع حالة المجتمع الإسلامي المتخلفة التي

[125] كى كى علي، المصلحون المسلمون الثلاثة (ملايالام)، ص 11.

تعطلت بالجهل وجور الإستعمار البريطاني. وسافر وحيدا من جنوب كيرالا إلى شمالها لإلقاء الخطبات ولنشر الكتب والكتيبات.

السيد ثناء الله المقدي كان من رواد الأول في لحركة التجديدة والإصلاحية بكيرالا. وهو مشهور بنشر مقالاته وكتبه في لغة ملايالام. وهو أول مسلم نشر كتاباته في لغة ملايالام، كان المسلمون ينشرون كتاباتهم في لغة العربي ملايالام فقط. ولم يهتم أحد من المسلمين بنشر مقالة وكتاب في ملايالام لأنه ما كان المسلمون قادرين للقراءة له.

وحاول لنشر التعليم والثقافة بين المسلمين بطريقة جديدة التي نفذها وحيدا بدون أية مساعدة من الجماعات والفرق. وتألف الكتب ونشرها بين الناس كما كان واعظا نشيطا وخطيبا بليغا. وسافر طول كيرالا لهذه الغرض. واحتمل مضايقة كثيرة حتى استهزأه كثير من الناس وأصدر بعض العلماء المقلدين الفتوى بأنه كافر بسبب أعماله الإصلاحية والتعليمية. وقد فسر المقدي هذا في كتابه "مقدي مناكليشم" مع الدموع. وفي هذه الأزمة نال المقدي المساعدة من إخوان الهنادكة وسلموه من جور المسلمين.[126]

وبدأ السيد المقدي مهمته لمقاومة التبشير المسيحي وكانت محاضراته مشهورة في تلك الفترة. وألف المقدي الكتب والمقالات للدعوة الإسلامية وإجابة لأسئلة المسيحيين. فلازم أن يكون تأليفه في ملايالام لأنه نشر المسيحيون الكتب في لغة ملايالام بين غير المسلمين. وأجاب السيد ثناء الله واحدا تلو الآخر حتى أبهتهم بالبراهين لكل ما نشروا ضد الإسلام.

حاول المقدي لتوضيح أوهام الناس عن الإسلام والرسول ولذا يعرف المقدي رائد النهضة الإسلامية في ولاية كيرالا. وألف السيد ثناء الله المقدي زهاء 40 كتابا صغيرة وكبيرة في لغة

[126] نفس المرجع، ص 14.

ملايالام لهذا الغرض النبيل، وطبع هذه الكتب بمساعدة بعض الأغنياء المسلمين. وهو كان أول مسلم ألف الكتاب في لغة ملايالام، سمي هذا الكتاب باسم "كدورا كودارام" (Kadora kudaram) ألفه سنة 1302 هـ/ 1884 م، يناقد فيه من اعتقاد المسيحيين بثالث ثلاثة. ولم يستطع لأحد من الرهبان المسيحية لأن يرد له. وألف "باركاليتا بوركالام" (Parkaleetha Porkalam) سنة 1310 هـ/ 1892 م، يتبرر فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم الذي ذكر في الكتب المقدسة هو محمد صلى الله عليه وسلم. وتحدى لدحض هذا الكتاب، وأعلن مائتين روبية إناما له، ولم يقدر لأحد أن يدحضه بل اشترى المسيحيون نسخه كل ما وجدوه وحرقوه. وألف أيضا 12 كتابا في العربي ملايالام لعامة المسلمين الذين لا مهارة لقراءة لغة ملايالام. وكان الموضوع فيها معرفة الإسلام وواجبات الإجتماعية والشخصية لحميدة. وإضافة إلى هذه الكتب نشر كثيرا من المقالات لهذه الغرض. وألف أول كتاب منظما لتعليم اللغة العربية في كيرالا باسم "تعليم الإخوان" في العربي ملايالام. ومن كتابه الأخرى في العربي ملايالم "معلم الإخوان" و"ماروماكاتايلم" (Marumakkathaayam). وفي لغة ملايالام: "مسلم جاناووم ويديابياساووم" (Muslim Janavum Vidhyabhyasavum) و"مقدي سامواد ويجايام" (Makti Samvada Vijayam) و"مقدي تانغال آاغوشام" (Makti Thangal Aagosham) و"ساماناكوريب" (Sammana kkuripp) و"إسلام واض ديوا واض" (Islam Vaal Daiva Vaal) و"باليلا باياسام" (Paalilla Payasam) و"لا موجود لا بوينت" (Laa Moujooda laa Point) و"نبي نانايام" (Nabi Nanayam) و"مقتي مناكليشام" (Makti Manaklesham) و"ناري نارافيجاري" (Nari Narabhichari) يناقش فيه عن أهمية تعليم النساء. و"سوويسيشا ناشام" (Suvishesha Naasham) و"كرستيبا واياداب" (Christheeya Vayadapp) وغيرها. ويعتقد بعض الكتب الذي ألفه في أواخر عمره لم تصدر.

كتب المقدي مقالات كثيرة في لغة ملايالام ولغة العربي ملايالام وكان أكثرهم نقدا للمسيحيين اعتمادا على كتاب "إظهار الحق" لحضرة رحمة الله الهندي. وكتب هذه المقالات في الصحائف المشهورة آنذاك مثل "ساناداانا دارمام" (Santana Dharmam) و"ملايالا راجيام" (Malayala Raajyam) و"كيرالا سانجاري" (Kerala Sanchari) و"سوديشابهماني" (Swedeshaabhimani) و"صلاح الإخوان" وما إلى ذلك.[127]

وكان المقدي خطيبا مصقعا مشهورا وكانت خطاباته إيقاظا وتشجيعا للأمة المسلمة. وكانت معظم خطبه ضد التبشير المسيحي كما يتضمن في خطبه عيوب المسلمين مثل عدم تدريس اللغة وتعليم البنات والخرافات المنتشرة بين المسلمين. فحظرت خطبه الدينية لمدة ستة أشهر.

وإن ثناء الله المقدي حاول لنشر الثقافة الإسلامية وإظهار مزيتها الباطنية والخارجية مع معارضته الأعمال المسيحية المنظمة تحت المشروع التبشيري حيث نشروا الآراء الفاسدة والأقوال الخاطئة ضد الإسلام والمسلمين ليضل المسلمين الضعفاء والبؤساء. كانت الحكومة البريطانية تقوم في جانبهم ظاهرا أو مختفئا. قوى البريطانيون هذه الهجامة إذ أن المسلمين يعادون سيطرتهم ومع ذلك حرضوا أهالي كيرالا على اعتناق المسيحية، ولكن حينما نشرت مقالات المقدي وكتبه لم يقدر لأي واحد من المسيحيين أن يبهت دعوته.

كان السيد ثناء الله المقدي هو أول مسلم بدأ الجريدة اليومية في ولاية كيرالا.[128] أصدر أولا الجريدة اليومية المسائية باسم "تركي ساماجارام" (Turki Samacharam). ثم أصدر مجلة "باروباكاري" (Paropakaari) من مدينة كاليكوت سنة 1303 هـ/ 1885 م وتوقفت بعد ثلاث سنوات. ومجلة "ساتيا براكاشام" (Sathya Prakasham) في لغة ملايالام سنة 1306 هـ/

[127] نفس المرجع، ص 13.

[128] اى كى علي محمد، ستيا وسواس ساكشيام، كما نقله كى كى علي، المصلحون المسلمون الثلاثة (ملايالام)، ص 19.

1888 م. وأنشأ لهذا الغرض مطبعة باسم "طباعة محمدية" سنة 1308 هـ/ 1890 م. وأصدر كتبا باسم "تحفة الأخبار وهداية الأشرار" في لغة العربي ملايالام.

هجأ المقدي العلماء المسلمين الذين يقومون ضد التقدم، وكان لا يخاف في الله لومة لائم كما أعلن المقدي إنكاره على الخرافات والبدع وضلالات التصوف التي كانت منتشرة في أنحاء كيرالا آنذاك. فوجه صعوبات في الطريقة التجديدية من المسيحيين والمسلمين المقلدين، ولكن استمر جهده طول حياته.

وفي ذلك العصر اعتقد بعض العلماء أن ترجمة القرآن هو حرام. ولما ترجم مايين كوتي إلايا (Mayin kutty Elaya) تفسير الجلالين إلى العربي ملايالام في ستة مجلدات حرض المقدي أصحابه لأن يفهم القرآن منه. ولكن كان هذا التفسير في رأيه ناقصا، فبدأ نفسه التفسير بعض السور ولكن ضاعت مخطوطاته.

أسرع المقدي إلى تشكيل الجمعيات الثقافية بين المسلمين، فتشكل المقدي أول جمعية سنة 1889 م باسم "اللجنة المحمدية" في كانور (Kannur) مع مساعدة الشبان فيها التي كانت أولى مقره الدعوية.[129]

ودعا إلى التعليم العصرية مع المواد الإسلامية كما شجع على تدريس اللغات مثل الملايالام والإنجليز لأنه كان تدريسها محرما بين المسلمين في تلك الفترة. وأعد المنهج الدراسي لتعليم الموضوعات العصرية مع تعليم الدينية، وأخذ بعناية خاصة بتربية البنات. وعمل وبذل جهده لارتقاء العربي ملايالام وألف له كتاب باسم "معلم الإخوان".

[129] كى كى علي، المصلحون المسلمون الثلاثة (ملايالام)، ص 19.

وأصاب المقدي المرض الحمى والنسمة وأقام في كوشن سنة 1330 هـ/ 1911 م واعتنى تلميذه الحبيب سي وي هيدروس مع أصدقائه. وأخيرا وهب قلمه لهيدروس ووصى: "أنا ذاهب إلى ربي، جاهد للإسلام بهذا القلم، واعتن أولادي". ثم قال الشهادة بوضوح.[130]

وانتقل هذا الزعيم العظيم إلى جوار الله عام 1331 هـ/ 1912 م بعد تكوين العزة للمسلمين في ولاية كيرالا. دفن في قرافة الجامع كالواتي (Kalvati) في فورت كوشن (Port Kochi).

جاليلاكات كنج أحمد الحاج

ولد الشيخ جاليلاكات (Chalilakath) كنج أحمد الحاج في قرية آدرشيري (Adrussery) سنة 1283 هـ/ 1866 م. كان والده محي الدين من أغنياء بلده، وكانت أمه فاطمة عالمة التي عملت كمدرسة القرآن للأطفال. ترعرع الشيخ في حضانة أمه بعد انفصال أبيه من أمه، وتعلم القرآن والتجويد منها. ثم ذهب إلى كاليكوت والتحق في المدرسة الابتدائية. وبعد تكميل دراسة الصف الرابع حصل العلوم الدينية من خاله جاليلاكات علي حسن مسليار. ثم تعلم العلوم الدينية والفنون العلمية من الشيخ مولانا أحمد كوتي مسليار والشيخ عبد العزيز مسليار وغيرهم.

التحق في كلية الباقيات الصالحات في ويلور (Vellore) سنة 1305 هـ/ 1887 م. وبعد سنة التحق بالكلية اللطيفية في ويلور ودرس هناك لمدة ست سنوات تحت كبار العلماء مثل الشيخ عبد الجليل البشاوري والشيخ محمد حسن الرامبوري والشيخ محمد أفهام الله اللكنوي وما إلى ذلك. وفي سنة 1311 هـ/ 1893 م ذهب إلى الشيخ أحمد الأدرمي المعروف بأحمد عالم صاحب ودرس منه "كتاب رسالة الماردِيني" المشهور في علم الفلك. واكتسب القدرة في اللغة العربية والفارسية والأردوية والسانسكريتية والتاملية.[131] ورجع إلى كيرالا وبدأ التدريس في المساجد

[130] نفس المرجع، ص 20.
[131] نفس المرجع، ص 21.

المختلفة منها بوليكال (Pulikkal) ونالالام (Nallalam) وماهي (Mahi) ومناركاد (Mannarkad) ووازلكاد (Vazhakkad).

كان الشيخ جاليلاكات كنج أحمد الحاج معاصرا لوكام عبد القادر مولوي. وقد تأثر فيه الأفكار التجديدية لثناء الله المقدي والسيد الهمداني. أدخل الشيخ جاليلاكات كنج أحمد الحاج التجديد في التعليم الدينية كما شجع المسلمين إلى تجديد مناهج الدارسات الدينية وتدريس اللغة العربية. إنه قد حرض الطلاب الدينية على تعلم لغة ملايالام بدلا من العربي ملايالام. وأنشأ منهجا حديثا لدراسة العلوم الدينية واللغة العربية، أضاف العلوم العصرية إلى المنهج. وقسم الطلاب حسب مستوى معرفتهم وقدراتهم. استخدم الشيخ الطباشير والسبورة والطاولة والمقعد في قاعات تدريس العلوم الدينية كما كانت تستخدم في المدارس الحكومية حينئذ. قد جعل الشيخ مدرسته مفتوحا للبنين والبنات. وكانت هي من الخطوات الجريئة التي ارتفعت بها مستوى المعاهد الدينية في أنحاء كيرالا.

نفذ الشيخ تجديدات قيمة في التعاليم الدينية والعصرية، وأمر العلماء والأمراء أن يستخدم اللغة الملايالام بحروفها الأصلية في طريقة صحيحة. وفي العربية 28 حرفا ولكن في ملايالام 16 حرفا للحركات والسكتات و37 حرفا للأصوات. في العربية 15 حرفا من الحروف العربية فلا يوجد لها صوتا يساويها تماما أو يماثلها في الملايالام، وكذلك في الملايالام 23 حرفا لا يوجد لها صوتا يساويها تماما أو يماثلها في العربية. وأضاف الشيخ بعض النقوط والأشكال والرموز للحروف العربية لكي يجد نطقا صحيحا للحروف الملايالامية.

وعين مدرسا في مدرسة دار العلوم التي تقع بوازلكاد (Vazhakkad) في مقاطعة ملابورام سنة 1327 هـ/ 1909 م. وأنشأ منهجا حديثا لدراسة العلوم الدينية واللغة العربية، وأضاف إلى

المنهج التفسير والفقه والتصوف والمعاني والبديع والجغرافيا والعلوم والرياضيات وعلم الفلك وما إلى ذلك. ونفذ هذا المنهج في مدرسته دار العلوم. واستورد الأكرة والأطلس والكتب حتى في علم الحيوانات. واجتمع المنجد والقاموس العصري ولسان العرب والمفردات.[132] ورأى الشيخ هذه المدرسة مكانة مناسبة لتحقيق أحلامه وتنفيذ خياله لتنمية الجيل الجديد.

حرض الشيخ المسلمين على تعليم اللغة العربية واللغة الملايالام في جميع مدارسهم. وكان المسلمون في عصره متخلفين جدا في دراسة وكتابة اللغة الملايالام. والتحق في مدرسته البنين والبنات. وألف الشيخ بعض الكتب موافقة لمنهجه الحديث وتهعد منهجا لكل صف. استخدم الشيخ الطباشير والسبورة لطلابه كما استخدمها في المدارس الحكومية. فعجب الآخرون بهذا المنظر لأنه لا يستخدم هذه الوسائل في تعليم الدين آنذاك. وكره بعضهم هذه الوسائل التعليمية وخافوا من كتابة القرآن على السبورة حيث لو مسحها تحولت الآيات القرآنية مساحيق الطباشير وسقطت على الأرض. فرأوا هذا احتقار للقرآن وعظمته.

فلما ازدهرت مدرسة دار العلوم نتيجة لأعماله الإصلاحية من أجل تنفيذ مقرراته وجداول الحصص الأسبوعية نصح الشيخ العلماء على ترتيب المدارس على المنهج الدراسي. وأخيرا اضطر الشيخ أن يترك دار العلوم والتحق بمدرسة تنمية العلوم بمناركاد سنة 1336 هـ/ 1917 م. ولم تزل كلية دار العلوم قائمة على شهرتها إلى سنين. تخرج منها عدد كبير من العلماء في كيرالا مثل أحمد كوتي مسليار الشيروشيري ومحمد مسليار القطبي وإي ميدو مولوي – محارب استقلال الهند والكاتب محمد مولوي – المفكر الإصلاحي وفي كي موسى مولوي وما إلى ذلك.

كانت مناهجه الدراسية ذات نظرية بعيدة أثرها في الأمة المسلمة المتأخرة في كيرالا، وبدأت المدارس الجديدة نتيجة لمحاولاته وتحريضه التي تحولت بعضها من بعد إلى الكلية، وارتفعت

[132] نفس المرجع، ص 21.

المعاهد الدينية في أنحاء كيرالا. ولكن أكثر المدارس ظلت باقية لم تقبل أية تجديدات حديثة، يدرسون فيها كما درسوا في صغرهم. وإن كانت التجديدات منحصرة في بعض المدارس كانت آثارها عميقة في كيرالا.

ومن مؤلفاته: "حاشية على رسالة الماريني" و"رسالة الحساب في علم الميقات" و"رسالة الدعوى في القبلة" و"كتاب الصرف" و"كتاب النحو الكبير" و"كتاب اللغة العربية" و"كتاب العمليات" و"كتاب الدينيات" و"تعليم القرآن" و"تعليم البلاغة" و"كتاب تسهيل الأذهان في تعليم الصبيان لغة هندوستان" و"التعليمات البليغة في قطع دوابر الفرقة القاديانية".

توفي هذا المصلح الكبير سنة 1338 هـ/ 1919 م ودفن بجوار الجامع تارامال (Tharammal)، بترورانغادي (Tirurangadi) في مقاطعة مالابورام.

السيد محمد ماهين الهمداني

السيد محمد ماهين الهمداني له أثر كبير في ترقية وتقدم الأمة المسلمة في كيرالا، وكان مقره العملي جنوب كيرالا. ولد سيد الهمداني في كارونافالي (Karunagappally) في مقاطعة كولام (Kollam). كانت دراسته الإبتدائية في الدرس المسجدي بكودونغالور (Kodungalloor). ثم التحق للدراسة العليا في الكلية اللطيفية بويلور، ودرس لغات تامل وأردو والفارسي. وبعد إتمام الدراسة عين مدرسا في الجامع في كيرالا. أصدر مقالاته في المجلات التي كان يصدرها وكام عبد القادر مولوي من سوديشابهماني ومسلم والإسلام. أنشأ الهمداني الجمعية لتشديد أعماله الإصلاحية باسم "المؤتمر الإسلامي" يعني مسلم كانفرانس.

وكان له علاقة عميقة بالجامع الفناني الذي كان يعرف بمكة مليبار من قيامها كمنارة للعلوم. وكان من رغبته تأسيس كلية عربية للدارسة العليا وحاول لتحقيق هذه الرغبة. أخيرا تحقق

الهمداني رغبته مع كبار الأمة المسلمة وملك تروفتانكور الذي منح له الأرض. وافتتحت هذه الكلية في مدينة آلوائي (Aluwa) سنة 1333 هـ/ 1914 م. ولكن بعد وفاة الهمداني لم يوجد أحد للقيام بها فانهارت أنشطتها.

كان الناس في عصره يتقلدون تقاليد كثيرة التي لا توافق للتعاليم الإسلام. وآمن الهمداني يجب لكل واحد أن ينبه الأمة إلى الصحيح فأسس جمعية باسم "محضرة كوشن" ودعا الناس إلى المحاضرة. وأنشأ طريقة دينية تنسب إليه "الطريقة الهمدانية" مشتملة على الأنكار والأدعية والمندوبات الواردة في القرآن الكريم والسنة النبي حتى يباعد الناس من التقاليد الخاطئة. وألف كتابا لنشر أفكاره في عنوان "عرفة الإسلام".

ركز الهمداني في حل مقتضيات الأمة المسلمة لتصل تسهيلات العصرية في مجال التعليم ولمحو تخلفيتهم. وأنشأ منظمة في أزيكود (Azheekod) باسم "اللجنة الهمدانية" و"جمعية اللجنة الإسلام" في أيرياد (Eriyad). ونال الهمداني المساعدة لأعماله التجديدة من سيتي (Seethi) محمد صاحب والد كى ام سيتي صاحب الذي صار فيما بعد رئيس المجلس التشريعي بكيرالا.

وكان للهمداني اتصال وطيد مع الملك نظام بحيدراباد. وعد له الملك المساعدة المالية لدعوة الدين. أنشأ الهمداني كلية عالية للفنون والعلوم ولكن لم تكن لهذه الكلية حياة بعده، وأقيمت في هذا المكان مدرسة حكومية في تنكار السيد الهمداني.

انتقل إلى جوار الله هذا المصلح الكبير الذي قام وحيدا رائدا أولا في أعمال التجديدية الحديثة في الأمة المسلمة بكيرالا سنة 1342 هـ/ 1922 م.

الشيخ وكام محمد عبد القادر مولوي

ولد الشيخ محمد عبد القادر مولوي 9 ذو القعدة 1290 هـ/ 28 ديسمبر سنة1873 م في قرية وكام (Vakkam) بمقاطعة تيروواننتابورام، اشتهر باسم "وكام مولوي". وبذل جهده للتجديد والإصلاح في كل مجال مثل الدين والمجتمع والتربية والثقافة والأدب والسياسة وغيرها التي تتعلق بحياة الإنسان. وكان والده السيد محمد كنج أحد أثرياء البلد وأعيانه وتاجرا كبيرا وعالما قديرا، وكانوا من أسرة ذات جاه ومال.

وقد أتيحت الفرصة لمحمد عبد القادر أن يتلقى العلوم من أبرز العلماء. وقد تأثر عبد القادر بأفكار أستاذه نوح لبى، والشيخ سليمان مولوي بأفكارهم الإصلاحية والتربوية التي أمكنت بها رفع مستوى المسلمين. ودرس عبد القادر المواد الإسلامية واللغة العربية والأردوية والفارسية والسنسكرتية والتاملية والإنجليزية من هؤلاء الأساتذة، ما اتسع بها نطاق أفكاره وحصل العلوم على عدة مصادر فيها.

أحب وكام مولوي أن يقرأ كتب العلوم والأدبية. وسهل له أبوه المجلات المنشودة من أنحاء الهند. وقرأ مولوي الكتب للعلماء المشهورين مثل الإمام الغزالي وابن تيمية وابن القيم وجمال الدين الأفغاني ومحمد بن عبد الوهاب ومحمد عبده وشاه ولي الله الدهلوي وغيرهم. وكان بيته مجلسا للعلماء والأدباء أمثال ساموبل دانيال (Samuel Daniel) وشري نارايانا غورو (Sree Narayana Guru) ويجري النقاش والمباحث حول موضوعات متنوعة.

وقد تأثر الشيخ وكام مولوي بعدد من الشخصيات منهم الإمام أبو حامد الغزالى الذي تأثر بأفكاره الروحية، والسيد جمال الدين الأفغاني، تأثر بآرائه الإسلامية، والشيخ محمد عبده الذي ألهمه ضرورية الجمع بن أصالة الدين وحداثة العصر، والسر سيد أحمد خان الذي تأثر بأفكاره

التعليمية ومع ذلك كان يعارض أحمد خان في مساندته للإنجليز. ووكام مولوي كان يرى معارضة الإنجليز في سياستهم، والاقتداء بهم في نظام التعليم العصري.

كان المولوي ذكيا منذ صغره. فهم المولوي إن من واجبه أن يسوق المسلمين في مجال التعليم إلى الرشاد والصواب وإرشادهم إلى الثقافة الإسلامية الصحيحة بدلا من التقاليد الباطلة. وشق لهذا طريقا صريحا وأبرز كيف يعيش الإنسان متدينا ومثقفا ومواطنا ومصلحا ومخلصا ونشيطا في توحيد آراء أهالي كيرالا بدون تفرقة دينية مع التعايش الودي والتراحمي الإجتماعي.

وفي عصره لا يلتحق الأولاد المسلون في المدارس العامة لأنه أصدر العلماء الفتوى أن الإنجليز هي لغة أهل النار. وفي ذلك الفترة درس الأولاد في المدارس الدينية الحروف العربية فقط بحيث لا يستطيع للطلاب أن يقرأ القرآن حسب التجويد، ولا يدرس معنى القرآن في أية مدرسة.[133]

وكان نهوض السيد عبد القادر في مجال الإصلاح تابعا لخطوات السيد ثناء الله المقدي تانغال (Makti Thangal) والشيخ ماهين الهمداني، كانا زعماء الإصلاح في أيامهم. وقد تزامنت هذه الإصلاحات قيام سري نارايانا غورو (Sree Narayana Guru) بدوره في المجتمع الهندوكي. كانت كل الحركات الإصلاحية التي ذبذبت في أنحاء البلاد كادت تدمر أمام السدود التي أقامها المتزمتون. وفي هذه الأحوال عقد الشيخ عبد القادر على الجهود المستمرة للقيام بواجبه، وقد اكتسب من الحزم وثبات الجنان ما يجعله صمودا في وجه الحق والعدل. واستعاد في مهماته هذه ببصيرته والبيئات المادية التي أحاطت به. وكان غايته "أمة صالحة في بلدة صالحة" يمثل عقيدته وأهدافه. ونذر حياته لأجل تحقيق هذا الغرض، وتوسل إليه بالاعتماد على القرآن والسنة وآثار السلف الصالح. ورأى ضرورة استئصال الشركيات والبدع التي تعارض الدين الحنيف.

[133] نفس المرجع، ص 30.

أنشطته في مجال الصحافة

وحاول وكام مولوي أولا أن يجعل المسلمين مثقفين بالعلوم الحديثة. وكان بجانب عظيم من الملكة اللغوية في ملايالام واستطاع بذلك أن يكتب عدة مقالات ذات طابع ثقافي وفكري، ونشرها في بعض الدوريات، وتهافت على قراءتها المثقفون من كل مجال. وكانت خطواته هذه نافذة مفتوحة إلى حركة أدبية جديدة في كيرالا. وقد أهاب برجال الصحف التزام القيم والأخلاقيات الصحافية التي تقوم بدورها في تشكيل الرأي العام السديد في المجتمع. وأولى اهتماما بالغا بتشكيل المنابر العامة لتقديم قضايا المسلمين، علما بأنها تكون أكثر أثرا وأوسع منفعة من اللجوء إلى الجهات الخاصة بهم.

وفي هذا الصدد رأى إن الصحافة هي الطريق المناسب لهذا رغم أنها تطلب إلى مال كثير. وتحمس المولوي إلى إنشاء الجرائد والدوريات في كيرالا واشترى مطبعة من إنجلترا قيمتها اثنا عشر ألف روبية آنذاك، قام بتوريدها عام 1322 هـ/ 1904 م، وشرع في تهيئة الأوضاع والأحوال لإصدار الصحف. وصحيفه Swadeshabhimani بدأت تصدر عام 1323 هـ/ 1905 م.

رجا وكام مولوي من تأسيس الصحيفة خدمة الأمة المسلمة والشعب في كيرالا بترويج المعلومات الراهنة وتحريضهم إلى التقدم الحديث العلمي. وكان من أهم أغراض الجريدة تحريض الناس على حركة الإستقلال وتنبيه الناس على ترف الحكام والأمراء. ويرجو بها إبعاد الخرافات والتقاليد الفاسدة من قلوب الأمة المسلمة. وكانت مبادرة ملموسة شهدتها ولاية كيرالا، متمسكة القيم الصحافية، وأعلن إنه ليس بتاجر ولا يريد الربح وإنما يريد تنبيه الناس بواجباتهم وإخبارهم بما

يجري حولهم من الخير والشر ليستفيدوا منها. وإليه تشير الكلمات التي سجلها المولوي في عددها الأول وهو يقول:

"لست أنا تاجرا أتجر بالصحافة، وإنما أريد بعملي هذا إسداء الخدمات للوطن والمجتمع. وليس المال هو الهدف الأساسي أمامي. وكل ما أتطلع إليه بهذه الصحافة سوف تجده وطني وقومي وسوف ينفعهم، وإن لم يُوفق لي أن أراه".[134]

وهذه الكلمات التي هي تقول نفسها بنزاهة وكام مولوي وحسن نيته لا تكاد توجد في الصحافة المعاصرة إلا نادرا. بل كل الصحف في أيامنا تلهث وراء المال والجاه، ويريد أصحابها أن يضاعف أموالهم ليستثمروه مرة أخرى أضعاف مضاعفة. ومؤكدا على القيام برسالة الصحيفة وصراحة القول فيها نراه يقول :

"نقدم إلى القراء صحيفة سوديشابهماني، وقد أكملنا كل الاستعدادات التي تحتاج إليه الصحافة الماليالمية في بلادنا، وتجولنا في مناطق مليبار ترويجا لرسالة هذه الصحيفة ما حظيت هذه الوليدة بإقبال ملموس من كل الفئات. وإن صحيفتنا هذه تهدف إلى رعاية المجتمع وصلاحهم ولا نكتم شيئا عن العوام في المجتمع مهما كانت المشاكل التي ستحيط بنا ولا نؤثر أنفسنا على مصلحة الأمة، وإن هدفنا بهذه الصحيفة أن نرعى الصلاح والأمان لجميع البشرية وغرس بذور المودة والوئام فيما بينهم".[135]

وقد تحقق ذلك في كل حركاتها وسكناتها، حتى إن الزعماء السياسيين آنذاك أثنوا عليها واعترفوا بثقافتها. وكان صدورها منعطفا في تاريخ الصحافة الماليالمية، إذ كانت تقفز قفزات موفقة سريعة في الصحافة الناجحة التي تقوم بدورها في إصلاح المجتمع، وكان مقرها أولا أنجوتينغ

---

[134] كما نقله كى كى علي، المصلحون المسلمون الثلاثة (ملايالام)، ص 30.

[135] نفس المرجع، ص 33.

(Anjuthengu) مركز الشركة الهندية الشرقية في كيرالا التي أسسها الحكام الإنجليز، وصارت هذه الصحيفة مسرحا للتسامح والتفاعل بين المسلمين والهنادكة. فكر وكام مولوي في تعيين محرر ذو شجاعة في كتابة الآراء بلا خوف الأمراء والولاة. إذ كان مساعد التحرير الأول غووندا بيلا (Govinda Pilla) وجاء بعده راما كريشنا بيلا (Ramakrishna Pilla) الذي عرف بموقفه الحاد والحاسم تجاه القضايا الاجتماعية، وكان قذى في عيون الحكام والإدارة وقتئذ وسبق أن عمل في الصحف من أمثال Kerala Darpanam, Kerala Pachika، ما أصبح لديه رصيد صحفي عتيد لقيادة هذه الصحيفة إلى طريق التقدم والكمال، وقد أعطاه المولوي تمام الحرية لكتابة ما كان يعتقده حقا ونافعا لإصلاح المجتمع، ولم يجعل عليه أي رقابة. اعتبرت جذابة بكلماته الإفتتاحية التحريرية التي تتعمق في قلوب القراء، وتبعث الأسهام إلى الحكام والأمراء. وكان مكتوبا على رأسها "الخوف والحيرة لا يليق لأمة ترجو النمو والارتقاء". ظهرت في جريدته عمود خاصة للزارعة والطب والتاريخ والصناعة والأدب والفن.

وكانت هي أول صحيفة في كيرالا اتفقت مع رويتر (Reuter)، أبرز وكالات الأنباء الدولية في تلك الأيام، على تزويدها بالأخبار الدولية. ولم يلبث أن تطورت الصحيفة وفي عام 1325 هـ/ 1907 م أصبحت تصدر في كل أسبوعين. وفي أيام الاجتماع البرلماني في ترووبتانكور بدأت تصدر يوميا. وقد كانت تكتب بأحرف من نار ضد الطغيان الملكي والفساد الإداري أيام الملك ديوان سي. راجا غوبالا آجاري (Diwan C. Raja Gopala Achary) الذي يصفق له حاشيته وبطانته، ما أدى إلى توقف هذه الصحيفة، وذلك في سنة 1328 هـ/ 1910 م حين ألغاها الملك بمرسوم خاص، وفورا تمت مصادرة المطبعة وأملاكها وحبسوا مساعد التحرير Ramakrishna Pilla ونفوه من ترووبتانكور. وقد كان موقف الملك موقفا عدائيا ما ثار عليه أصحاب الصحف الأخرى واستنكروا تلك الإجراءات الانتقامية بلهجة عنيفة. وحين تشكلت ولاية

كيرالا سنة 1376 هـ/ 1956 م واستوى على عرشها وزارة EMS فرفع عنه المحاسبة ورد إليه كل ممتلكاته.

فكر وكام مولوي أن تصدر صحيفة خاصة لتناقش أمور الأمة المسلمة وتحريضهم على تعاليم الحديثة والتقدم على حياتهم الإجتماعية، وسماها "المسلم". ووضع نصب عينيها الانتقادات الداخلية والإصلاحات القومية، ولم تكن مصيرها تختلف عن أختها، وقد أثقل عليه الديون ولم يصدر منها إلا تسعة أعداد، ولكن أصداء التجديد والإصلاح التي أحدثت تلك الصحيفة لم تكن تنتهي في عشية أو ضحاها.

ولما علم إن رسالاته التقدمية لا تصل إلى مسلمي مليبار لأنهم لا مهارة لهم لقراءة لغة ملايالام، فأصدر صحيفة بارزة أخرى في العربي ملايالام باسم "الإسلام" التي بدأ صدورها من كايكارا (Kayikkara)، صدر العدد الأول منها عام 1917 م. واهتمت الصحيفة بنشر تفسير القرآن الكريم وعقيدة التوحيد وأهمية تعليم المرأة وغيرها من القضايا تدريسا لعامة المسلمين وتزكية لقلوبهم. وكان من حظه أن وجد نسخة من مجلة المنار التي كانت تصدر من مصر تحت رئاسة محمد رشيد رضا. فأخذها وكام المولوي نموذجا لمجلته من حيث الموضوعات والأسلوب.

وفي آخر حياته بدأ صحيفة "ديبكا" (Deepika) عام 1350 هـ/ 1931 م، وقد ظهر عددها الأول بنشر ترجمة معاني القرآن، وتناولت مختلف المواضيع وكل عدد من هذه الصحيفة يتمثل موسوعة صغيرة، والمولوي هو بنفسه يكتب المقالات ويترجمها من الإنجليزية والعربية ويحررها وينشرها. وهذه الصحيفة تعكس علاقة صاحبه بالشخصيات البارزين طول العالم مثل Lot Stoddard harp الأمريكي الذي كتب The New world of Islam، صدرت له عدة

ترجمات في مختلف اللغات، وكتاب حاضر العالم الإسلامي لشكيب أرسلان، وقد نشر المولوي ترجمته الماليالمية بعد أن نال إذنا خطيا منه[136]. وصدر منها عددا قليلا ثم انقطع عن الظهور.

وقد بلورت كل هذه الصحف شخصيته الفريدة. إنه كان دائم الحوار مع الحقائق الظاهرية في صورة رجل ثوري، كان قوي الالتزام للأفكار العالية الراقية التي تنبثق عن كبار الشخصيات، ثم هو بنفسه بذل ممتلكاته المادية والذهنية لتنقيح هذه الأفكار وتحقيقها وتقديمها إلى المجتمع الذي يعيشه.

وقد قامت "أمانة مؤسسة المولوي وكام" في تروونندابورام عام 1413 هـ/ 1992 م بنشر مقالات صحيفة ديبكا المتوزعة في أعدادها الاثني عشر في مجلد واحد، وكل عدد منها تجسد منهجه الإصلاحي وتسلط الضوء على معالم طريقه. وقد نشر ترجمة معاني القرآن في كل أعدادها ما عدا الأخر. بدأ بترجمة معاني سورة الفاتحة وأكملها في العدد الثالث وتلاها ترجمته لسورة البقرة. وكل سطوره في هذه الترجمة تعطي القراء صورة واضحة عن أفكاره وتؤثر فيهم بحيث يستطيعون أن يحذوا حذوه في مجال الفكر والإصلاح والتربية والتزكية.

يوجد في هذه الصحيفة مقالة قيمة حول الفكر والعقل، نشره بعنوان "كيف تتغير النظم والأديان واللغات" جاءت هذه المقالة ترجمة لكتاب "أسرار التغير الاجتماعي" للكاتب الفرنسي غستاو لوبون، وهو يعلم المجتمع كيف يهتدي إلى الصالح النافع وما هو دور الأفكار التجديدية فيه. سوف يقضي منا الدهشة والعجب إذا علمنا أن الشيخ المولوي استطاع الإلمام بكل هذه المزايا واطلع على الأعمال القيمة لعلاء الغرب في وقت لم يبلغ الوسائل الإعلامية فيه عشر معشار ما نحن عليه اليوم. وقد نجح المولوي في تعريف أمته بكل جديد ونافع في عالم الأفكار. وطلب من القراء أن يقبلوا بقلبهم وقالبهم على العلوم والآداب والفنون والمعارف والتمييز بين صالحها

[136] إي يوسف ندوي صاحب، وجود الوهابية في تاريخ الإصلاحية (ملايالام)، ص 171.

وطالحها، واستخدامه لبناء شخصية الأفراد والمجتمع لكي يكون المسلم محافظا على ثغور دينه مولكبا ركب حضارة العصر الذي يعيشه. وفي العدد الأول كتب في عنوان "اختاروا الكتب للقراءة" يوضح مدى أهمية الكتب الدينية والأدبية وضرورة توفيرها في متناول أيدي الناشئين. وفي العدد العاشر نراه ينشر مقالا للسيد برنادشاه.

ولم يكن تعمق مكام مولوي في العلوم والمعارف إلا باطلاعه الواسع على ما يحدث في العالم الغربي ومواقف أهله من الدين الإسلامي، وفي هذا المقال يقول السيد برنادشاه أن سيكون من الضرورة لدى الغرب أن يعتنقوا الإسلام بعد مائة سنة، بل قبل ذلك. والمولوي إذ يركز على هذه الحقيقة يشير إلى دور الإصلاح والتجديد الذي به تتم الدعوة الدينية في العصر الراهن. وفي العدد الخامس لصحيفة ديبكا نراه يشيد بالقدوة التي قام بها الشباب من طائفة نامبودري، إذ تصدى جماعة منهم لنبذ التقاليد الباطلة من مجتمعهم ونرى التعليم والتربية فيما بينهم. وقد تأثر بأسلوبهم بهذا الصدد، وذلك إنهم جمعوا التبرعات من المجتمع النامبوديري وكثفوا بذلك مسرة التعليم. ويهيب بشباب المسلمين أن يحذوا حذوهم في تعليم أولادهم وتربيتهم.

مساهماته في مجال التربية والتعليم

رأى المولوي ضرورة تعميم التعليم في المجتمع وخصوصا بين المسلمين الذين حرموا منه منذ زمان، لأنه ظنوا أن التعليم ينافي الدين والشريعة. وحث الأثرياء المحسنين للاستثمار في هذا المجال لبناء المدارس والمعاهد المهنية، كما مارس الضغط لدى الحكومة لتطبيق التنوع التعليمي في المدارس. ومن نتيجة هذه الجهود أن صار مسلمو تروواناندابورام أكرم تقدما في التعليم قياسا لإخوانهم في مليبار. وقد اتخذ اللغة الإنجليزية ودراستها مدخلا إلى عالم المعرفة الواسع كما اتخذ اللغة الماليالمية وسيلة لتحرير المجتمع ومقاومة الجور، واللغة العربية طريقا إلى التأمن الروحي.

ومن هذه الثالثة استطاع أن يصيغ اتجاها سائدا للمسلمين لكي يقوموا متكافئين مع غيرهم في هذا البلد المتعدد في الثقافة والأديان. وفيما يلى ما كتب في صحيفة "المسلم" بصدد الاهتام بالتربية:

"وجد في منطقة تراوانكور زهاء مائتي ألف مسلم، يتشكلون الستة في المائة، ويندر بينهم من يعرف القراءة والكتابة، وهم على معيشتهم من التجارة والزراعة مكبون، وذلك مبلغ علمهم، والكثير منهم انحرفوا عن الدين الحنيف وتسربت إليهم التقاليد الباطلة المستعارة من الأمم الأخرى ما يلقي على هويتهم، وقد آن الأوان للقيام بتغير جذري بينهم، وهذا يتطلب خروجهم إلى المدارس العامة والاطلاع على العلوم الحديثة. وأريد بهذه الصحيفة إرشاد هؤلاء وتبصيرهم وتوعيتهم. ونرجو من الله أن تبقى هذه الصحيفة مشكاة يشع منها نور الهداية والمعرفة إلى مسلمي كوشن ومليبار".

وهذه الكلمات التي سجلها صاحبها قبل مائة سنة لا زالت تنبض بالحيوية، وتجسد عطشه الشديد لبناء أمة نموذجية صالحة، كان يأمل أن تكحل بها عينيه قبل موته. وقد قامت هذه الصحيفة بدورها القيادي في تقديم القضايا التي تشغل الرأي العام إلى المسؤولين. وركزت اهتمامها على تعليم المرأة وادخال العربية في إطار المواد المدرسية والعناية بالمواد ذات الاهتمام بالثقافة والفنون.

والمولوي بجانب هذا وذاك كان كبير الاهتام بتدريس اللغة العربية في المدارس العامة، قدّم بهذا الخصوص عددا من الطلبات إلى البرلمان الملي وقام بأكبر قدر من الضغط في تعيين أساتذة العربية في المدارس العامة، ليجتذب أولاد المسلمين إليها. وقد نجح في ذلك أيما نجاح، إذ وافقت الحكومة على إدراج العربية في إطار المقررات الدراسية، ووكل إليه تحرير الكتب المدرسية

العربية وتدريب المعلمين. واللغة العربية في كيرالا في انطلاقها وانتشارها والظروف الملائمة لها، لمدينة للشيخ وكام مولوي.

وانتقل الوكام المولوي إلى رحمة الله سنة 1932 م.

يذكر سي أتش محمد كويا[137] عن وكام المولوي: "الوكام المولوي هو من رواد الحركة الإصلاحية في كيرالا. كان سيتي صاحب زعيم تأثر بوكام المولوي. ألف المولوي الكتب القيمة في عصر يفتي العلماء المتقلدون بأن الكتابة محظورة، وفي عصر يبين كتابة القرآن على السبورة كراهة، فجاهد المولوي بقلمه. ولكن نسي القوم هذا العبقري الذي رصف معالم لا يمكن لمحو في التقدم المجتمع. حياته تاريخ عصر، وتاريخ مجتمع، وباب في تاريخ الدولة".[138]

وخلاصة القول أن شخصية الشيخ وكام عبد القادر مولوي متعدد الجوانب والملامح، عمل وجاهد وثابر لكي يستفيد منه الجيل المستقبل.

وتكرى شري نارايانا غورو بين القوم الإيياوا (Ezhava) خالدة ومستقرة وإن كانوا طبقة خاصة بين الهنادكة. وكانوا في محبة وشفقة مع هذا القائد في قلب واحد في ارتفاعهم ووحدتهم. وهم ملة واحدة وشيعة متفقة وحزب واحد وزعيم واحد. سواء كان يفارق آراء الطبقات المختلفة بين الهنادكة يبجل رؤساءهم هذا المصلح الكبير. ولكن الأمة المسلمة التي حاول وكام مولوي لرفع شأنهم كانوا مختلفين في التقاليد والعقائد. وفيهم من يحبه ومن يكرهه لأنهم منتمين إلى أحزاب متعاندة في كثير من المسائل الدينية والإجتماعية.

---

[137] كان محمد كويا (15 يوليو 1927 – 28 سبتمبر 1983) سياسي هندي شغل منصب رئيس وزراء ولاية كيرالا العاشر. وكان زعيم الرابطة الإسلامية للاتحاد الهندي.

[138] سي أتش محمد كويا، في مقدمة كتاب "وكام مولوي" (ملايالام)، ام محمد كانو.

الفصل الثاني

تأثير فكر وكتابات الشيخ رشيد رضا على المنظمات

وللتعرف على حالة العالم الإسلامي وإصلاح أوضاعه زار رشيد رضا كثيرا من المناطق الإسلامية كالهند والحجاز وأوربا والأفريقا والتقى بكثير من أعلام العصر. وكان رشيد رضا ذا روح إسلامية قوية. كما أنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد لتخريج العلماء والمفكرين والخطباء والدعاة المقتدرين على التفاعل مع قضايا الأمة تفاعلا إيجابيا، وقد كان لها أثر إيجابي في هذا المجال.

لقد شهد كثير من العلماء المسلمين والمستشرقين على الأثر الإصلاحي الكبير للمنار والانقلاب العظيم ولم يشرق منار القاهرة على المصريين وحدهم، ولكنه أشرق على العرب في بلادهم وفي خارجها وعلى الكثير من المسلمين الذين درسوا في الجامعة الأزهرية، أوجد مجلة المنار الأثر البالغ داخل العالم الإسلامي.

كانت مصر في طليعة تلك الدول التي انتشرت فيها مجلة النار فبطبيعة الحال هم أول المتأثرين بتلك المدرسة، فنكر رشيد رضا بأنه وجد في المصريين متتبعين دائمين وأصدقاء للمنار يدافعون عنها ويحثون على قراءتها والتعمق في تفسيره وكان من بينهم بعض كبار علماء الأزهر ، أمثال محمد مصطفى المراغي الذي تولى مشيخة الأزهر عام 1354 هـ/1933 م بعد الشيخ الظواهري. ويذكر رشيد رضا بأن تفسيره أصبح يدرس من قبل علماء الأزهر ويدمج في مجلاتهم كما اعتذر بعضهم إليه لخوفهم من إنتقام الشيخ الظواهري لأنه مخالف لأفكاره في جميع المجالات.

ويذكر تشارلز آدامز في كتابه :"الإسلام والتجديد في مصر عن ما يسميهم حزب المنار ويقصد بهم تلاميذ الشيخ محمد عبده وأنصاره وكان منهم أزهريون وأدباء وأصحاب مناصب في الدولة وغيرهم". [139]

ولا ريب أن أكثر هؤلاء ناصر مدرسة المنار فقد تأثر رشيد رضا بحياة الشيخ محمد عبده لأنه أكبر تلاميذه ويرجع الفضل إلى رشيد رضا في كثير من المظاهر الإصلاحية للأستاذ محمد عبده. ولم يقف أثر المنار عند حدود الأزهر فقط، حسب ما يذكر محمد بن عبد الله السلمان:

"بل شمل مناطق عديدة في القطر المصري فقامت مجلات إسلامية إلى جوار مجلة المنار وكان من أبرزها مجلة الفتح الإسلامية التي أنشأها الشيخ محب الدين الخطيب سنة 1344 هـ/ 1925م، وكانت أسبوعية وغيرها". [140]

أما جمعية الإخوان المسلمين، التي أسسه حسن البنا استقى فيها من مدرسة المنار كثيرا من مبادئها وأفكارها، وتأثروا بها دينيا وسياسيا، يدل على ذلك أن الشيخ حسن البنا تولى رياسة التحرير بعد وفاة رشيد رضا الذي أشار في افتتاحية العدد الجديد من مجلة المنار إلى العلاقة الوثيقة بين رشيد رضا وجماعة الإخوان المسلمين وذكر أن هذه الجماعة هي التي يتمناها رشيد رضا لتقوم مقام جماعة الدعوة والإرشاد، في الدعوة إلى الإسلام وجمع كلمة المسلمين كما أشار أن رشيد رضا كان يهدي الجماعة كثيرا من مؤلفاته.

تأثير رشيد رضا في الهند

[139] تشارلز آدمز: الإسلام والتجديد في مصر، ص 196

[140] محمد بن عبد الله السلمان :رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المرجع السابق، ص251.252

دخلت أفكار مدرسة المنار إلى بلاد الهند عن طريق مجلة المنار التي انتشرت في الهند منذ سنواتها الأولى حتى إنه في السنة السادسة أرسل ناظر مدرسة العلوم بعليكر في الهند رسالة إلى رشيد رضا يقول فيها:

"أن المنار منتشرة في الهند انتشارا عجيبا وأن مئات من مقالاته الحكيمة والإسلامية نقلناها في لغتنا الهندية ونشرناها في جريدتنا الأسبوعية". [141]

ومما يدل على رواج المنار في بلاد الهند وجود جمعيات إسلامية سلفية هناك متأثرة بالشيخ محمد عبد الوهاب عن طريق بعض مسلمي الهند الذين قاموا بالحج إلى مكة.

وفي سنة 1236 هـ/ 1821 م خرج السيد أحمد بن عرفان الباريلي إلى مكة لأداء فريضة الحج فلقي بمكة بعض علماء وأتباع الدعوة السلفية، فعرضوا عليه مبادئ الدعوة فاقتنع بها سريعا، حتى إذا عاد إلى بلاده فبذل جهوده لنشر هذه الدعوة في إقليم البنجاب – شمال غرب الهند – وسعى لمحاربة البدع والخرافات التي ضربت أطنابها في قلوب المسلمين هناك.

ويتضح من رسائله أنه كان من أهداف حركته وضع حد لحكم الإنجليز، ونفوذ جماعة السيخ (Sikh) الوثنيين هناك، واستعادة الحكم الإسلامي للهند من جديد، وسرعان ما ذاع صيته في كل مكان، فاعتنق مبادئه آلاف من المسلمين، وأسس دولة مستقلة في البنجاب وما حولها، واتسعت هذه الدولة حتى وصلت في نفوذها إلى منطقتي السند وبلوجستان وجزء من أفغانستان، ثم أعلن الجهاد على كل من خالف مذهبه فهزم السيخ قرب بيشاور، ولكنه تعرض لمقاومة عنيفة من الإنجليز والسيخ متعاونين حتى استشهد – رحمه الله – في اشتباك وقع بينه وبين السيخ بمعاونة الإنجليز لهم عام 1246 هـ/ 1831 م.

[141] محمد رشيد رضا :مجلة المنار، مجلد 6 ، ج 3.

فاضمحلت بذلك دولته، ولكن دعوته ظلت باقية في أتباعه الذين تابعوا دعوته الإصلاحية في الهند بإصرار، وأنتجوا أدبا دينيا ضخما واصطنعوا اللغة الأردية ليضمنوا إيطال تعاليمهم إلى كل الشعب، كما آثروا الاشتغال بالتجارة حتى يبتعدوا عن الخضوع للمستعمر الإنجليزي ولقد اعتبر المؤرخون حركة الباريلي تلك وحركة أتباعه من بعده عاملا من عوامل قيام الثورة الهندية الاستقلالية والتي نالت بها الهند الاستقلال عام 1367 هـ/ 1947 م .[142]

زار العلامة رشيد رضا الهند عام 1330 هـ/ 1912 م فتقدمت دارالعلوم بديوبند بدعوته لزيارة الجامعة فلبَّى – رحمه الله – دعوتها وزارها واطلع على خدماتها العلمية وخصائص وميزات تعليمها وتربيتها ومذهبها الفقهي والأسس العلمية والفكرية الرصينة التي قامت عليها دار العلوم، وأعرب عن غاية فرحه وعجبه مما رأى وشاهد.

وقد قام رشيد رضا خلال رحلته إلى الهند بالدعوة إلى السلفية وصار لهم أتباع ومؤيدون في مدن مختلفة مثل مومباي ودلهي ولكنو ومليبار، ولقت دعوته محاربة من فرق مختلفة فأخذ يردون عليه بمختلف الكتب والمنشورات، ومن هذه الفرق الفرقة القاديانية، وقد انتشرت مبادئها في الهند وترصعت مكانة رشيد رضا هناك فأصبحت له المشورة في أمورهم الدينية والعلمية.

تأثيره في بلاد الشام

رغم أن بلاد الشام هي موطن رشيد رضا الأصلي إلا أن أثر المنار فيها يأتي متخلفا عن مصر وذلك لأن رشيد رضا عاش أكثر فترة جهوده الإصلاحي في مصر، كما منعت الدولة العثمانية دخول مجلة المنار إلى بلاد الشام رسميا منذ سنتها الأولى، ولكن رشيد رضا أخذ يرسل المنار

[142] محمد رشيد رضا، والوهابيون والحجاز، مصر، 1344 هـ.

بالبريد الأجنبي، فانتشرت عند كثير من الأفراد منذ سنة الأولى، ثم إتسع انتشارها بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني في عام 1327 هـ/ 1909 م.

ولذلك وجد في بلاد الشام مجموعة من العلماء المسلمين الذين تأثروا بمدرسة المنار كثيرا وكان لهم نشاط كبير في نشر الدعوة السلفية هناك ومن أبرز هؤلاء العلماء الشيخ بهجت البيطار ومصطفى السباعي وشكيب أرسلان.

تأثيره في أندونيسيا

قد تعتبر أندونيسيا بلدا التي انتشرت فيها حركة رشيد رضا بواسط مجلة المنار منذ سنتها الأولى وذلك بوجود مشتركين وقراء لها. وكان لهم اتصال قوي بالمجلة عن طريق عدد من الأسئلة التي بعثها بعضهم إلى رشيد رضا ونشرها، وأكثرها يدور حول مسائل تتصل بمحاربة أنواع البدع والخرافات التي كانت منتشرة بين مسلمي أندونيسيا، وكانت تلك الأسئلة ترد أكثرها من جزيرتي جاوة (Java) وسومطرة (Sumatra) لأن انتشار المنار فيها أكثر من غيرهما، كما أن بعض تلك الأسئلة يدور حول مواضيع إسلامية وأبرزها محاربة دسائس التبشير النصراني، الذي انتشر بشكل غريب في أنحاء أندونيسيا وبمعاونة من الاستعمار الهولندي هناك، فكتب بعض من تأثروا بالمنار إلى رشيد رضا يشكون إليه هذا الخطر، وكان ذلك ما دفع رشيد إلى الإسراع بإنشاء مدرسة الدعوة والإرشاد للرد على الخطر وعلاجه.[143]

تأثيره في شمال إفريقيا

انتشر تأثير المنار في شمال القارة الإفريقية ما عدا مصر وهي ليبيا وتونس والجزائر ومراكش وكل هذه البلدان استطاعت المنار ودعوتها أن تدخل في كثير منها منذ سنواتها الأولى. ومن

[143] بن عبد الله السلمان :رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 572 .

الأمور التي حببت المنار ودعوتها إلى مسلمي تلك البلدان الإفريقية ما يشاهدونه في المجلة من إحساس بما يقع في بلدانهم من مصائب الاستعمار ومشاركة المنار لهم في آمالهم.

فلقد كان للمنار ذوي كبير في الاحتجاج على الغزو الإيطالي للبلاد الليبية، كما حذرت المنار سلطان مراكش من مطامع الاستعمار الفرنسي في بلاده. وحينما أنشب الاستعمار الإيطالي والفرنسي أظفاره في تلك البلاد وقفت المنار بكل قوة خلف الحركة السلفية في المغرب التي حملت لواء الحرية والكفاح ضد المستعمرين في البلاد. ولعل أكبر دليل على حسن انتشار المنار في بلاد شمال إفريقيا منذ بداية المنار أن الشيخ محمد عبده حينما قام بزيارته إلى تونس والجزائر عام 1321هـ/ 1904م، شاهد هناك الأثر الكبير الذي أحدثته مدرسة المنار ممثلة بمجلتها، وتأثير ذلك في نشر أفكاره الإصلاحية، ولهذا يقول رشيد رضا عن شيخه محمد عبده: عاد رحمه الله من سفره ذاك مغتبطا أشد الاغتباط بما رأى في تونس والجزائر من تأثير مجلة المنار في نشر أفكاره الإصلاحية، ووجود حزب كبير له فيها.

ومن الملاحظ أن ذلك الإنتشار الواسع للمنار والذي أعجب به الشيخ محمد عبده في تونس والجزائر كان في نهاية سنة خامسة المنار وبداية السادسة فقط، أي في عمرها المبكر.

تأثيره في المملكة العربية السعودية

الوقع أن تأثير مدرسة المنار في البلاد السعودية يختلف عن سائر البلاد الإسلامية، فالمملكة العربية السعودية هي موطن ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وهي الحامية لها والمطبقة لمبادئها والتي أقام رشيد رضا مبادئ مدرسته على أساسها، لذلك فإن في البلاد السعودية من التطبيق العملي لمبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وما يغنيها عن تأثير مدرسة المنار فيها وإن بقيت تلك البلاد عضدا هاما لمدرسة المنار في أهدافها وآمالها.

وليس معنى ذلك أن ننفي أي أثر للمنار في البلاد السعودية فقد كان للمنار دور كبير في نشر كثير من كتب دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكتب علماء السلفيين والحنابلة، داخل البلاد السعودية وخارجها كما سبق لذلك كثيرا ما نجد الطبعات الأولى لتلك الكتب وقد تولتها مطبعة المنار، وهذا العمل في حد ذاته يعتبر إنجازا هاما وتحقيقا لهدف هام من أهداف مدرسة المنار، وهو العمل على نشر كتب علماء الدعوات السلفية في العالم الإسلامي. كما أن هناك مراسلات قامت بين رشيد رضا وبعض علماء نجد، وتدور كثير من هذه الرسائل حول أمور تختص بالدعوة السلفية وبعضها في نواحي إسلامية أخرى، ومن بينها الرسالة التي قام كتاباتها بيده إلى صالح بن عثمان القاضي، أحد علماء نجد المشهورين.

رشيد رضا – مهندسا للجمعيات الدينية

كان رشيد رضا مهندسا **ل**جمعيات الدينية، وعن طريق تلك **ل**جمعيات أمكن تحول المصري عن الصوفية إلى **ل**وهابية.

ومنها "الجمعية الشرعية"، أسسها الشيخ محمود خطاب السبكى سنة 1332 هـ/ 1913 م على أساس الولاء المطلق للتصوف، وفي اخضاع الفقه للتصوف كتب الشيخ محمود السبكى مؤلفاته الأولى: "أغلب المسالك المحمودية في التصوف والأحكام الفقهية" في أربعة أجزاء. ولكن في عام 1345 هـ/ 1926 م اتخذت مؤلفاته طابعا جديدا تحت شعار الدفاع عن السنة، وبالطريقة الوهابية أخذ يهاجم التصوف تحت هذا الشعار، وكتب ستة وعشرون كتابا إلى أن مات سنة 1350 هـ/ 1931 م. وسار على طريقه ابنه أمين السبكى وقد كتب في الدعوة **ل**وهابية تسعة من الكتب وتوفي سنة 1388 هـ/ 1968 م.

وبالتأثير السعودي الذى أرساه رشيد رضا انتشرت مساجد الجمعية الشرعية، وهى الآن أكبر جمعية في مصر، تسيطر على أكثر من ألفي مسجد وألوف الأئمة الوعاظ وملايين الأتباع. والجمعية الشرعية هم الآن مادة الفكر السلفي وحركته في المجتمع المصري.

والثانية: "جمعية أنصار السنة"، أقامها الشيخ حامد الفقي أحد الأزهريين سنة 1345 هـ/ 1926 م، وقد أنشأ له عبد العزيز آل سعود منزلا في حي عابدين كان مقرا للدعوة الوهابية، وتخصصت هذه الجمعية في نشر الفكر السلفي ومؤلفات ابن تيمية وابن القيم، كما أنشأ مجلة الهدى النبوي سنة 1355 هـ/ 1936 م ولا تزال تصدر.

والثالثة: "جمعية الشبان المسلمين" أنشأت سنة 1346 هـ/ 1927 م بتخطيط محى الدين الخطيب رفيق الشيخ رشيد رضا الشامي في الدعوة السلفية، وتولى رئاستها الدكتور عبد الحميد سعيد، والاتجاه الحركي يغلب على هذه الجمعية وانتشرت وسط الشباب، ومن أهمهم حسن البنا، ومع أنه أنشأ الإخوان المسلمين على غرار جماعة الإخوان التي أنشأها عبد العزيز آل سعود، إلا أن حسن البنا كان دائم التردد على جمعية الشبان المسلمين، وقد لقى حتفه أمام أبوابها سنة 1368 هـ/ 1948 م.

والرابعة: "جماعة الإخوان المسلمين" أسسها سنة 1347 هـ/ 1928 م وهي الاتجاه الحركي السياسي، وكان إنشاؤها برعاية رشيد رضا وتوجيهاته. ورشيد رضا هو الذى قام بتقديم الشاب حسن البنا إلى أعيان السعودية وأعمدة الدعوة الوهابية، ومنهم حافظ وهبة مستشار الملك عبد العزيز، ومحمد نصيف، وابنه عبد الله نصيف هو الذى كان يتزعم رابطة العالم الإسلامي، والتي يتغلغل من خلالها النفوذ السعودي إلى العالم الإسلامي حتى اليوم.

والشيخ رشيد رضا وجنوده خارج نطاق الجمعيات هي من أسس مدرسة الدعوة والإرشاد لتخريج الدعاة في جزيرة الروضة سنة 1331 هـ/ 1912 م، وكانت تجاورها مؤسسة الزهراء للسلفي الشامي محيى الدين الخطيب، في نفس المنطقة، كما كانت مجلته "المنار" ذائعة الصيت متخصصة في الدعوة الوهابية والسعودية، هذا بالإضافة إلى مؤلفاته المتخصصة كـ"الخلافة" والسنة والشيعة، وفيها كان يدعو إلى الخلافة الإسلامية، ويرى في ابن سعود المؤهل الوحيد للخلافة. ونشر رشيد رضا عن طريق مطبعة المنار كثير من مؤلفات ابن حنبل وابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب. وتوفي رشيد رضا بعد أن قام بتوديع الأمير سعود ولي العهد في ميناء السويس سنة 1354 هـ/ 1935 م وترك الراية يحملها من بعده تلميذه حسن البنا مؤسس الإخوان.

آثاره في البعث الإسلامي المعاصر

كان من آثار الشيخ رشيد رضا ومدرسة المنار خاصة غرس الوعي لدى أبناء الأمة الإسلامية بضرورة إحياء الذات وبناء المشروع الإسلامي المعاصر انطلاقا من القرآن الكريم والسنة النبوية وتجربة الأمة مع الاستفادة المضبوطة بضوابطها الشرعية من العلوم المعاصرة، وما عرفه العالم الإسلامي من صحوة يرجع في غالبه إلى جهود رشيد رضا وأضرابه، ويمكن رصد هذه الآثار في ما يلي:

خريج جيل من المصلحين: أمثال الشيخ حسن البنا والشيخ محمد الإبراهيمي والشيخ عبد الحميد بن باديس، وغيرهم كثير مشرقا ومغربا. ويدل على ذلك التجاوب الكبير التي تلقته مجلة المنار، والقبول والإقبال اللذان حظي بهما تفسير المنار.

جديد الفكر وتوسيع دائرة الإصلاحات: ذلك أن كل المصلحين الذين جاءوا بعد رشيد رضا تلقفوا دعوته للإصلاح وعملوا بها في مجالات التعليم والدعوة والفكر والمجتمع حيث اهتم الشيخ رشيد رضا برد الشبهات والرد على الفرق الضالة والمنحرفة، وبيان الفكرة الإسلامية في بناء الإنسان والمجتمع، وتناول قضايا اجتماعية وسياسية وفكرية واقتصادية وتعليمية وتربوية. وتعكس مجلة المنار في أبوابها وقضاياها وموضوعاتها هذا الأمر بوضوح.

تجديد المنهج في فهم كتاب الله وتجديد الدين في الأمة وتجديد منهج بعثتها والتركيز على قضايا من شأنها إصلاح المجتمع من قبيل مقاصد القرآن الكريم وإعجازه والسنن الإلهية والتفسير الموضوعي ومنهج الدعوة.

وقد تأسس فكر مدرسة المنار عموما وفكر رشيد رضا خصوصا على مجموعة قواعد وأسس كانت في عمومها مبادئ حركة البعث والإحياء والإصلاح والتجديد في العالم الإسلامي ومنها تحليل وقع الأمة الإسلامية والكشف عن علله وأمراضه العقدية والسياسية والفكرية والاجتماعية واقتراح الحلول والأعمال المساعدة على تجاوز هذه المعضلات. والدعوة إلى عودة الأمة إلى العمل بالقرآن والسنة، وتحكيمهما وجعلهما المصدر الأول للتلقي والاهتداء.

ويلخص الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي نتائج مدرسة المنار في الأمة في جوانب ثلاثة:

"الأول، تخليص المصطلح القرآني من كثير من الشوائب التي علقت به عبر القرون. والثاني، تعبيد الطريق إلى إصلاح واقع الأمة بالقرآن . والثالث، إعادة القرآن الكريم إلى مركزيته في الإصلاح هذه أهم النتائج وأفضل الفضائل؛ نحن أمة أخرجت من كتاب،

وصنعت بكتاب، وقبل الكتاب لم يكن يحسب لها أي حساب، إننا ما دخلنا التاريخ بمنهج فلان أو فلان، ولكننا دخلنا التاريخ بهداية القرآن". [144]

وفي الخلاصة قد تأثرت فكر وكتابات الشيخ محمد رشيد رضا ومجلته المنار داخل العالم الإسلامي، خاصة في الهند وإندونيسيا ولشام وشمل الأفريقيا والمملكة العربية السعودية. ومدرسته المنار غرس الوعي لدى أبناء الأمة الإسلامية بضرورة إحياء الذات وبناء المشروع الإسلامي المعاصر انطلاقا من القرآن الكريم والسنة النبوية. وعمل رشيد رضا وأفكاره مهندسا لجمعيات كثيرة حول العالم التي أسسها كبار العلماء والأمراء.

[144] أ. د. الشاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية، ص 111.

الفصل الثالث

الحركات الإصلاحية في ولاية كيرالا

بعد وصول العرب التجار إلى ولاية كيرالا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم حاملين معهم رسالة الدعوة الإسلامية، فانتشر بواسطتهم الإسلام في هذه المنطقة انتشارا عظيما.

وكان الإسلام الذي علمه العرب خالصا سالما من شوائب الشرك والبدع والخرافات. ولكن طال على مسلمي كيرالا الأمد، وتسربت إليهم البد ع والخرافات، سنة أمثالهم من أهل البلاد الأخرى. مع ذلك كان فيهم في كل زمن طائفة لم يزالوا ظاهرين على الحق، ممن كانوا يصلحون ما أفسده الناس من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالرغم من أن البدعيين كانوا يؤذونهم أشد الأذى، وينكلون بهم أشد التنكيل.

ولكن طال على مسلمي كيرالا الأمد، حتى تسربت إليهم البدع والخرافات. كان القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين أصعب عصر بالنسبة إليهم. فكانوا إذ ذاك في الحضيض الأسفل علميا ودينيا وثقافيا. فانتشر الجهل الفاحش بينهم، واستولت عليهم البدع والخرافات والتقليد الأعمى في أصول الدين وفروعها. فكان علماؤهم يحرمون عليهم تعلم العلوم العصرية واللغة الإنجليزية، ويحرمون على المرأة تعلم الكتابة في أية لغة حتى العربية، زاعمين أنه يفضي إلى فساد كبير. وكانوا يعتبرون الاجتهاد على أساس القرآن والسنة للأحكام الشرعية محظورا عندهم، ولم يكن يعدونهما دليلا لها، وإنما كانوا يتمسكون بما كتبها الفقهاء فقط.

وبالرغم من هذا كله كان جمهور مسلمي كيرالا متحمسين للإسلام، ومحافظين على الصلوات الخمسة وغيرها من العبادات، ومع ذلك كان يحدث في أكثر البقاع بين مسلميها الشقاق بين فئة وأخرى، لأنهم لم يكونوا متمسكين بالقرآن الكريم والسنة على الطريقة السلفية.

السيد ثناء الله المقدي هو من رواد الأول في الحركة التجديدية والإصلاحية بكيرالا، وهو أول مسلم نشر مؤلفاته في لغة ملايالام، كان المسلمون ينشرون كتاباتهم في العربي ملايالام فقط، لأنه لم يكن عندهم مهارة القراءة في لغة ملايالام.

وحاول لنشر التعليم والثقافة بين المسلمين بطريقة جديدة التي نفذها شخصيا بمجرد دون أي مساعد أو جماعة. وكان واعظا نشيطا وخطيبا بليغا، وسافر طول كيرالا لهذا الغرض. واحتمل مضايقة كثيرة حتى استهزأه كثير من الناس وأصدر بعض العلماء المقلدين الفتوى أنه كافر بسبب أعماله الإصلاحية والتعليمية. أنشأ المقدي أول جمعية سنة 1307 هـ/ 1889 م باسم "اللجنة المحمدية" في كانور (Kannur) مع مساعدة الشبان فيها الذي كان كانور أول مقره الدعوية.[145]

ومن رواد لحركة الإصلاحية في ولاية كيرالا لشيخ جاليلاكات كنج أحمد الحاج، كان معاصرا لوكام عبد القادر المولوي. تركز وكام مولوي أنشطته التجديدية في التدريس الحديثة واللغة العربية في منطقة مليبار متأثرا بأفكار التجديدية لثناء الله المقدي والسيد الهمداني. حرض المسلمين لتجديد مناهج الدارسات الدينية وتعليم اللغة العربية كما حرض الطلاب الدينية على تعليم اللغة المحلية أي الملايالام وأن يستعملها في صورتها الأصلية بدلا من العربي ملايالام.

نفذ الشيخ تجديدات في التدريس الدينية، وأمر العلماء والأمراء أن يستخدم اللغة الملايالام بحروفها الأصلية في طريقة صحيحة. وأضاف الشيخ بعض النقوط والأشكال والرموز للحروف العربية لكي يجد نطقا صحيحا للحروف الملايالامية. وعين مدرسا في مدرسة دار العلوم التي تقع بوازكاد (Vazhakkad) في مقاطعة ملابورام سنة 1327 هـ/ 1909 م. وأنشأ منهجا حديثا لدراسة العلوم الدينية واللغة العربية، وأضاف إلى المنهج علوم التفسير والفقه والتصوف والمعاني

[145] كى كى علي، المصلحون المسلمون الثلاثة (ملايالام)، ص 19.

والبديع والجغرافيا والعلوم والرياضيات وعلم الفلك وما إلى ذلك. ونفذ هذا المنهج في مدرسته دار العلوم، واستورد الأكرة والأطلس والكتب حتى في علم الحيوانات. واجتمع المنجد والقاموس العصري ولسان العرب والمفردات.[146] ورأى الشيخ هذه المدرسة مكانة مناسبة لتحقيق أحلامه وتنفيذ خياله لتنمية الجيل الجديد.

حرض الشيخ المسلمين لتعليم اللغة العربية واللغة الملايالام في جميع مدارسهم، والتحق في مدرسته البنين والبنات. وألف الشيخ بعض الكتب موافقة لمنهجه الحديث وتهعد منهجا لكل صف حسب مستوى الطلاب، واستخدم الشيخ الطباشير والسبورة لطلابه كما استخدمها في المدارس الحكومية. فعجب الآخرون بهذا المنظر لأنه لا يستخدم هذه الوسائل في تعليم الدين آنذاك.

أنشأ الهمداني الجمعية الخيرية لتشديد أعماله الإصلاحية باسم "المؤتمر الإسلامي" يعني مسلم كانفرانس. وكان من رغبته تأسيس كلية عربية للدارسة العليا وحاول لتحقيق هذه الرغبة. أخيرا تحقق الهمداني رغبته مع كبار الأمة المسلمة وملك تروفتانكور الذي منح له الأرض. وافتتحت هذه الكلية في مدينة آلوائي (Aluwa) سنة 1333 هـ/ 1914 م. ولكن بعد وفاة الهمداني لم يوجد أحد للقيام بها فهدمت أنشطتها.

كان الناس في عصره يتقلدون تقاليد كثيرة التي لا يوافق لتعاليم الإسلام، فأسس جمعية باسم "محضرة كوشن" ودعا الناس إلى المحاضرة. وأنشأ طريقة دينية تنسب إليه ولقب بـ"الطريقة الهمدانية" متضمة الأنكار والأدعية والمندوبات الواردة في القرآن الكريم والسنة النبي حتى يباعد الناس من التقاليد الخاطئة. وأنشأ منظمة في أزيكود (Azheekod) باسم "اللجنة الهمدانية" و"جمعية اللجنة الإسلام" في أيرياد (Eriyad).

[146] نفس المرجع، ص 21.

الشيخ محمد عبد القادر الوكمي المعروف بوكام مولوي بذل جهوده في سبيل التجديد والإصلاح في كل مجال التي تتعلق بحياة الإنسان. وكان أبوه عالما كبيرا. وكان بيته مجلسا للعلماء والأدباء حيث كان العلماء البارزون يتوافدون إليه مثل ساموويل دانيال (Samuel Daniel) وشري نارايانا غورو (Sree Narayana Guru) ويجري النقاش والمباحث حول موضوعات متنوعة.

وقد تأثر الشيخ وكام مولوي بعدد من الشخصيات بما فيهم الإمام أبو حامد الغزالى الذي تأثر بأفكاره الروحية، والسيد جمال الدين الأفغاني، تأثر بآرائه الإسلامية، والشيخ محمد عبده الذي ألهمه ضرورية الجمع بين أصالة الدين وحداثة العصر، والسر سيد أحمد خان الذي تأثر بأفكاره التعليمية ومع ذلك كان يعارض أحمد خان في مساندته للإنجليز. ووكام مولوي كان يرى معارضة الإنجليز في سياستهم، والاقتداء بهم في نظام التعليم العصري.

وكان نهوض وكام مولوي في مجال الإصلاح تابعا لخطوات السيد ثناء الله المقدي تانغال (Makti Thangal) والشيخ ما هين الهمداني، الذين كانوا من زعماء الإصلاح في أيامهم. وقد كانت هذه الإصلاحات معاصرة لما قام بها سري نارايانا غورو (Sree Narayana Guru) في المجتمع الهندوكي. بذل وكام مولوي الجهود المستمرة للقيام بواجبه، واكتسب من الحزم وثبات الجنان ما يجعله صمودا في وجه الحق والعدل. واستعاد في مهماته هذه ببصيرته والبيئات المادية التي أحاطت به. وكان غايته "أمة صالحة في بلدة صالحة" يمثل عقيدته وأهدافه.

وحاول وكام مولوي أولا أن يجعل المسلمين مثقفين بالعلوم الحديثة. وكان بجانب عظيم من الملكة اللغوية في ملايالام واستطاع بذلك أن يكتب عدة مقالات ذات طابع ثقافي وفكري،

ونشرها في بعض الدوريات، وتهافت على قراءتها المثقفون من كل مجال. وكانت خطواته هذه نافذة مفتوحة إلى حركة أدبية جديدة في ولاية كيرالا.

أنشأ وكام مولوي الجرائد والدوريات في كيرالا، رجا مولوي بتأسيس الصحيفة خدمة الأمة المسلمة والشعب كيرالا بترويج المعلومات الراهنة وتحريضهم إلى التقدم الحديث العلمي. وكان من أهم أغراض الجريدة تحريض الناس على حركة الإستقلال وتنبيه الناس على ترف الحكام والأمراء. ويرجو بها إبعاد الخرافات الكاذبة والتقاليد الفاسدة من قلوب الأمة المسلمة.

وبعد ست سنوات فكر وكام مولوي أن يصدر صحيفة خاصة لتناقش أمور الأمة المسلمة ولتحريضهم على تعاليم الحديثة حتى تتطور حياتهم الإجتماعية، وسماها "المسلم". ولما علم أن رسالاته التقدمية لا تصل إلى مسلمي مليبار لأنهم لا يستطيعون قراءة لغة ملايالام. فأصدر صحيفة بارزة أخرى في لغة العربي ملايالام باسم "الإسلام" التي بدأ صدورها من كايكارا (Kayikkara)، صدر العدد الأول منها عام 1336 هـ/ 1917 م. واهتمت الصحيفة بنشر تفسير القرآن الكريم وعقيدة التوحيد وأهمية تعليم المرأة وغيرها من القضايا تدريسا لعامة المسلمين وتزكية لقلوبهم. وكان من حظه أن وجد نسخة من مجلة المنار التي كانت تصدر من مصر تحت رئاسة الشيخ محمد رشيد رضا. فجعلها وكام مولوي نموذجا لمجلته من حيث الموضوعات والأسلوب.

ووضع نصب عينيها الانتقادات الداخلية والإصلاحات القومية، ولم تكن مصيرها تختلف عن أختها، ولم يصدر منها إلا تسعة أعداد، ولكن أصداء التجديد والإصلاح التي أحدثت تلك الصحيفة لم تكن تنتهي في عشية أو ضحاها.

وفي آخر حياته بدأ صحيفة "ديبكا" (Deepika) عام 1350 هـ/ 1931 م، وقد ظهر عددها الأول بنشر ترجمة معاني القرآن، وتناولت مختلف المواضيع وكل عدد من هذه الصحيفة يتمثل موسوعة صغيرة، ووكام مولوي هو بنفسه يكتب المقالات ويترجم المقالات من ا لإنجليزية والعربية وينشرها في مجلات مختلفة. وهذه الصحيفة تعكس علاقة صاحبه بالشخصيات البارزين طول العالم مثل Lot harp Stoddard الأمريكي الذي كتب The New world of Islam، صدرت له عدة ترجمات في مختلف اللغات، وكتاب حاضر العالم الإسلامي لشكيب أرسلان وقد نشر المولوي ترجمته الماليالمية بعد أن نال إذنا خطيا منه[147]. وصدر منها عددا ثم انقطع عن الظهور.

بدأ بترجمة معاني سورة الفاتحة وأكملها في العدد الثالث وتلاها ترجمة لسورة البقرة. وكل سطوره في هذه الترجمة تعطي القراء صورة واضحة عن أفكاره وتؤثر فيهم بحيث يستطيعون أن يحذوا حذوه في مجال الفكر والإصلاح والتربية والتزكية.

وقد رأى وكام مولوي ضرورة تعميم التدريس في المجتمع وخصوصا بين المسلمين الذين حرموا من التدريس منذ زمان، ظنا من أن التعليم ينافي الدين والشريعة كما أقنعهم العلماء. وقام بتجديد الدروس الدينية ليتطرق من خلالها إلى قيادة الناس إلى التعليم العام. وحث الأثرياء المحسنين للاستثمار في هذا المجال لبناء المدارس والمعاهد المهنية، كما مارس الضغط لدى الحكومة لتطبيق التنوع التعليمي في المدارس. ومن نتيجة هذه الجهود أن صار مسلمو تروواناندابورام أكثر تقدما في التعليم من إخوانهم في مليبار. وقد اتخذ وكام مولوي اللغة الإنجليزية ودراستها مدخلا إلى عالم المعرفة الواسعة، واللغة الماليالمية وسيلة لتحرير المجتمع ومقاومة الجور، واللغة

[147] إي يوسف ندوي صاحب، وجود الوهابية في تاريخ ا لإصلاحية (ملايالام)، ص 171.

العربية طريقا إلى التأمن الروحي. ومن هذه الثلاثة استطاعوا أن يصيغ اتجاها سائدا للمسلمين حتى يقوموا متكاتفا مع إخوانهم في هذا البلد المتعدد في الثقافة والأديان.

ووكام مولوي كان كبير الاهتام بتدريس اللغة العربية في المدارس العامة، رفع لهذا عديد من الطلبات إلى البرلمان المحلي وقام بأكبر قدر من الضغط في تعيين أساتذة العربية في المدارس العامة، لتجذيب أبناء المسلمين إليها. وقد نجح في ذلك أيما نجاح، إذ وافقت الحكومة على إدراج العربية في إطار المقررات الدراسية، ووكل إليه تحرير الكتب المدرسية العربية وتدريب المعلمين. واللغة العربية في كيرالا في انطلاقها وانتشارها، لمدينة بالفضل للشيخ وكام مولوي.

نالت منظمات كيرالا السلفية تقديرا عظيما في الأعمال الإصلاحية والتجديدية في كيرالا، هي منظمة إسلامية خيرية، ممتازة بالعالمية، قائمة بجميع خدماته وأنشطته حسب القرآن والسنة، متبعة طريقة الرعيل الأول والسلف الصالح ابتغاء وجه الله الكريم.

المنظمات السلفية هي خمس منظمات:

1. جمعية العلماء بكيرالا، هي أم المنظمات الإسلامية الموجودة في ولاية كيرالا، شكلت قبل كل منظمة سواها.
2. ندوة المجاهدين بكيرالا.
3. اتحاد الشبان المجاهدين.
4. حركة الطلبة المجاهدين بكيرالا.
5. حركة البنات والسيدات المسلمات بكيرالا.

وكان في بقعة كودونغالور (Kodungallur) – وهي أول منطقة دخل فيها الإسلام من مناطق كيرالا – بعض من تأثر بدعوة الشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وإمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب وغيرهم من أئمة الدعوة السلفية. ففكروا في توحيد كلمة مسلميها، فرأوا أجدى وسيلة لذلك تشكيل جمعية خيرية، تقوم بإصلاح بينهم وتوعيتهم على ضوء القرآن والسنة. فشكلوا جمعية محلية سنة 1340 هـ/ 1921 م سموها "جمعية الإنصاف بين المسلمين". فصارت أنشطتها أنفع وأجدى مما انتظروه، حتى صارت جاذبة لن يريد إصلاح بين المسلمين من أهل البقاع الأخرى أيضا. فشكلوا عام 1341 هـ/ 1922 م جمعية لعموم كيرالا سموها "جمعية اتحاد المسلمين بكيرالا". واستهدفوا لها الدعوة إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة، وإلى التمسك بالقرآن والسنة، وتعليم المسلمين – ذكورهم وإناثهم – القراءة والكتابة، ورفع مستواهم علميا وثقافيا واجتماعيا، وتوحيد كلمتهم، إلى غير ذلك من الأهداف السامية.

وبعد ذلك ألغيت "جمعية الإنصاف بين المسلمين" المحلية. بدأت هذه الجمعية تبذل جهودها في تنفيذ أهدافها السامية، فنالت نجاحا عظيما يكاد يكون عديم المثال، وبعد عامين من عهد تشكيلها أحس زعماؤها بضرورة تشكيل جمعية خاصة بعلماء كيرالا ليصيروا بذلك أمة تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالإفتاء والدعوة والإرشاد، فتشكلوا عام 1341 هـ/ 1922 م "جمعية العلماء بكيرالا". وكانت أنشطة هذه الجمعية قيمة جليلة الفوائد، فيها شرعت العلوم الدينية العصرية تنتشر انتشارا عظيما بين المسلمين في أنحاء كيرالا.

ولم تزل جمعية العلماء وجمعية اتحاد المسلمين تتعاونان بينهما، وكان زعماؤهما من طائفة واحدة وأصحاب الرأي فلم يروا حاجة إلى وجود طائفتين التبليغ، فبعد سنين ألغيت جمعية اتحاد المسلمين أيضا. ولما نمت جمعية العلماء تأثر جم غفير من غير العلماء من مسلمي كيرالا بالدعوة السلفية. فتشكل منظمة يمكن أن ينتمي إليها كل من تأثر بالدعوة عالما كان أو غيره،

فلذلك أسست عام 1370 هـ/ 1950 م "ندوة المجاهدين بكيرالا". وهي أكبر المنظمات السلفية في كيرالا.

رأى زعماء جمعية العلماء شبان مسلميها يميلون إلى المنظمات الشبابية التي شكلها الزنادقة أو أهل الزيغ، فتشكل جمعية شبابية إسلامية تضم تحت جناحيها، مع اللزوم الطريقة التي سلكها السلف الصالح، باسم "اتحاد الشبان المجاهدين" سنة 1387 هـ/ 1967 م. صارت هذه المنظمة أعظم نعمة على مسلمي كيرالا، خصوصا على شبانهم، فإنها لا تزال تقوم بأنشطة قيمة.

رأى زعماء من الضروري تشكيل جمعية لأولاد المسلمين الذين يتعلمون في المدارس والكليات والجامعات العصرية، لأن تقوم بالتوعية على ضوء القرآن والسنة، والتثقيف بالثقافة الروحية، والتربية على حسن السيرة والسلوك. فتشكلت "حركة الطلبة المجاهدين بكيرالا" سنة 1392 هـ/ 1972 م.

كان من أنشطة جمعية العلماء وندوة المجاهدين تأسيس المعاهد التربوية والإسلامية لتعليم الذكور والإناث العلوم الدينية. منها كلية أنوار الإسلام العربية للبنات بقرية مونغلم (Mongam) في منطقة ملابورام أسست سنة 1388 هـ/ 1968 م تديرها جمعية العلماء مباشرة. فتخرجت في كيرالا عدد كبير من النساء المتضلعات من العلوم الإسلامية والفنون العربية، قائمات بالدعوة إلى سبيل الله على بصيرة وحكمة، فنشأت بسعيهن في نساء كيرالا نهضة مباركة. فرأين تشكيل جمعية خاصة بهن للدعوة ولإنقاذهن من الشرك والبدع والخرافات، فشكلت "حركة البنات والسيدات المسلمات بكيرالا" سنة 1407 هـ/ 1986 م.

ولا تزال تدير هذه الجمعيات المؤتمرات والملتقات لنشر العلوم الدينية والتوعية الإسلامية. وجرت تحت رئاستها الكليات والجامعات الإسلامية لتخريج جهابذة العلماء والدعاة الخالصين كما

أصدرت الجرائد والمجلات والكتب تحت رعايتها وإرشاداتها، ومن أهمها تميزا وأشهرها المجلة الشهرية "المنار" تصدر تحت رئاسة ندوة المجاهدين، وجريدة "الشباب" التي قام نشرها اتحاد الشبان المجاهدين. ومجلة شهرية للأطفال "بل كوتوكام" (Bala Kouthukam) التي تصدر تحت رئاسة حركة الطلبة المجاهدين. وحركة البنات والسيدات المسلمات تصدر مجلة شهرية باسم "بوداوا" (Pudava)، وجدير بالذكر في هذه العجالة، المجلة الشهرية "بوداوا" تهتم برفع مستوى النساء.

الفصل الرابع

مساهمات الشيخ رشيد رضا في الحركات الإصلاحية

كان لرشيد رضا تأثير شديد في الحركات الإصلاحية في كيرالا. يقول يوسف الندوي صاحب في كتابه "الوجود الوهابية في التاريخ الإصلاحية":

> "الفكر التجديدية والدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب دخلت إلى كيرالا على أساس علاقة وكام عبد القادر المولوي مع منشئ المنار السيد محمد رشيد رضا. لا يستطيع لأحد أن يرفض هذه العلاقة لأنه كانت قوية ببراهين ثابتة. وكان وكام مولوي قارئا مستمرا للمنار".[148]

التراسل الطويل بين رشيد رضا ووكام مولوي دليل واضح لهذه العلاقة الوطيدة. فلما انقطع "المنار" عنه أرسل وكام المولوي رسالة باسم "شكوى المنار إلى المنار" إلى رشيد رضا مبينة حزنه. ويبين فيها لأنه كان المنار مرجع هام لمجلاته. أثرت هذه الرسالة على رشيد رضا فأصدرها مع ملاحظته في المنار، صفر 1348 هـ/ 1930 م. وفي هذه الرسالة يفسر الكاتب نفسه تأثير رشيد رضا وأحواله فيها. وعندما مات وكام مولوي أصدر رشيد رضا مذكرته النعي للمولوي مع تعزيته في المنار. وهذه الرسالتان تكفيان لاثبات تأثير رشيد رضا في الحركات الإصلاحية الكيرلي.

أصدر رشيد رضا الرسالة الأولى تحت عنوان "المراسلة والمناظرة":

[148] يوسف الندوي صاحب، الوجود الوهابية في التاريخ الإصلاحية (ملايالام)، ص 162.

"شكوى المنار إلى المنار، من أحد علماء مليبار رسالة من زميلنا الأستاذ الفاضل المولى محمد عبد القادر الملياري الهندي. إلى فضيلة السيد الإمام، حجة الإسلام، صاحب مجلة المنار بالقاهرة – أدامه الله للمسلمين ذخرًا، وزاده شرفا وقدرا.

من أحد مريديه في الغيب، المستفيدين من فيوض قلمه المهتدين بنور مناره محمد عبد القادر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

مولاي الجليل، أرجوكم أن تتفضلوا ببذل بضع دقائق من دقائقكم الثمينة لسماع شكواي التي طالما كنت أردت أن أرفعها إلى فضيلتكم، ولم أتمكن منه إلا الآن لما كان يتوارد علي من نوائب الدهر.

أهم ما أشكوه وأبث حزني منه إلى فضيلتكم هو انقطاع المنار عني منذ ثلاث سنوات، وحزني على هذا عظيم لأني صرت منذ انقطاعه عني كمن يعيش في الظلام، لأن المنار كان لي منارًا بالمعنى الحقيقي.

كنت قارئًا للمنار تسع سنوات متوالية لكن لا على سبيل الاشتراك، بل بمحض فضلكم ومنكم، ذلك أنه لما بلغني نبأ المنار حين كنت مباشرًا لعمل جريدتي (المسلم) سنة (1334هـ) بادرت إلى طلبه من إدارته، فلم تجبني، ثم أردفت بطلب آخر مع خمس روبيات، ثم بآخر، هكذا كنت أوالي الطلب بعد الطلب إلى مدة تزيد على ثمانية أشهر، ولم ألق من الإدارة إلا السكوت، وأخيرًا تفضل علي المرحوم السيد صالح مخلص رضا بأجزاء من المنار مع كتاب قال فيه بعد الاعتذار عن تأخر الإجابة (... إن شقيقي السيد محمد رشيد عندما قرأ كتابك الأخير المؤرخ 21 ذي الحجة سنة 1331هـ استاء

جدا، ولأمر بإجابة الطلب، وأن يقدم إليكم المنار لا على جهة الاشتراك، بل مبادلة أو مساعدة لمجلتكم فاقبلوا ذلك كرمًا منكم، واحسبوا ما أرسلتم من ثمن ما تطلبونه في المستقبل من المطبوعات، وهو يهديكم عاطر السلام).

هكذا كنت منتظما في سلك قراء المنار، لا أستطيع أن أعبر عما أنا متلبس به من الشكر على هذا الإحسان الجسيم، كما أني لا أستطيع الغفلة عنه ولو لحظة في حياتي.

من أجلِّ نعم الله علي أن وفقني لأن أكون من قراء المنار إذ نفخ في روحًا جديدةً جعلتني بصير القلب، وحي النفس، أنشأت لنشر مبادئ المنار مجلة باسم (الإسلام) بلغة بلدي (اللغة المليبارية) فلما رأى الناس ضوء المنار منعكسًا منها استغربوه، وعلت من بينهم جلبة وضوضاء، ونسبوني إلى الزيغ والضلال ونبزوني بلقب الوهابي، ولكن نور الحق لم يعدم قلوبًا تنزل فيها أشعته، فتنبهت أفكار واستيقظت نفوس، وبالجملة فتح المنار في الديار المليبارية التي كانت متصلبة في الجمود باب فكرة (الإصلاح الديني) ولكن الجماهير ممن انتسبوا إلى العلم أخذوا يقاومون هذه الفكرة، ويمنعون الناس عن قراءة مجلتي ويحذرونهم أيضًا من المنار، مع أنهم لم يكونوا حينئذ رأوه حتى ولا غلافه، وذلك لأنهم كانوا قد أساءوا الاعتقاد فيه من قبل بسوء تأثير مؤلفات يوسف النبهاني [هو الدجال الخرافي الشاعر البيروتي، وكان استأجره رجل كبير بمصر للطعن في الأستاذ الإمام وخطته فلم يجد بدًّا من الطعن في أستاذه الحكيم السيد الأفغاني ومريده صاحب المنار؛ لأن الإصلاح الذي يعاديه قام بهم وكان قبل ذلك يطري الأستاذ الإمام قولاً وكتابة.] ، ولهذا لم أنجح في سعيي لأن أجد أحدًا يرغب في الاشتراك فيه، فكنت أعير لبعض أصدقائي الذين آنست فيهم سلامة الفطرة وحسن الاستعداد بعض أجزائه لقراءة، رجاء أن يوفقهم الله للاقتداء بنوره، فلم أخب في رجائي ذلك، فإن الذين لم تفسد فطرتهم

في هذه البلاد قد أخذوا يعرفون قدر المنار ولو في الجملة؛ حتى ظهر من بعضهم في الأيام الأخيرة رغبة في الاشتراك فيه فطلبوه بأنفسهم من إدارته كعبد القادر بكتور، ومحمد سيدي، بكرانكنور بكوشي، ومحرر مجلة الإرشاد، ومحرر جريدة يولوكم بكاليكوت؛ ولكن من غرائب الزمن أن صرت بعد ذلك أستعير منهم أجزاءه بعدما كنت أعيرها لهم، ومما يوجب المسرة بالنسبة إلى المنار أن أرى منهم الآن في الإعطاء ما كنت رأيته منهم من قبل في الأخذ من الكراهة؛ ولكن ذلك يؤلمني نظرًا إلى ما صرت إليه من الحالة في أمر المنار. فالمرجو من فضيلتكم أن تتفضلوا علي بأن تأمروا إدارة المنار أن ترسل إلي المنار تباعًا، وإنما انقطع عني من الجزء الثاني من المجلد السابع والعشرين؛ ولكن لا أرى من الصواب أن أسالكم أن ترسلوا إلي جميع ما صدر منه إلى الآن، فسأطلبها مع تقديم الثمن عندما يتيسر لي ذلك؛ وإنما أرجو الآن أن ترسل لي من الجزء الأول من المجلد الجاري (29).

هذا وإني لأستحيي أن أسألكم أن تواصلوا علي ذلك الكرم الذي غمرتموني به تسع سنوات، ولهذا فإني مستعد لأن أدفع إليكم مبلغًا ترضونه لي ثمنًا للمنار، أو كله على ما أنا عليه من ضيق اليد، وعلى كل حال فإني واثق بأني لا أكون محرومًا من قراءة المنار؛ فإن حب المنار قد امتزج بدمي، وصارت قراءته قوت روحي، حتى لا أستطيع فراقه، ولا يطيب لي العيش بدونه، ولولا أنه يأتي لأصدقائي المذكورين وتمكنت من استعارة أجزاء منه منهم أحيانًا لضقت ذرعًا. أود أن أفيدكم – للنشر في المنار – بيانات عما أحدث المنار في المليبار من الشعور بالحاجة إلى الإصلاح الديني، وما يجري فيها من السعي وراء ذلك الإصلاح، ومن المقاومة له ممن يُعرفون بعلماء الدين بادعائهم أنه (الوهابية) وما قد حدث في هذه الأيام من قيام فريق يرأسه شاب عاد من

مصر قبل سنة بعد أن أقام بين المتفرنجين فيها مدة بالطعن في الإمام ابن سعود وأنصاره وقومه الذين يُعرفون بالوهابيين انتصارًا للأخوين محمد علي وشوكت علي وسأرسل إلى فضليتكم هذه البيانات بصورة مقالة إن شاء الله اهـ. (المنار)". [149]

وتابع رشيد رضا ملاحظته يقول فيه:

"إننا نحيي أخانا وزميلنا بأحسن من تحيته، من السلام ورحمة الله وبركاته ونعمته، وسيُطبع عنوانه المرسل باللغة الإنكليزية ويُرسل إليه المنار هدية دائمة، مع المجلدات الثلاثة التي فقدها تامة، لا نطلب منه جزاء ولا شكرًا عليها إلا نشر دعوة الحق وجهاد الباطل وأهله، والله في عونه ونصره، كما نصرنا على الدجالين ونصر إمام السنة عبد العزيز آل سعود وقومه على الباغين، ومكَّن له في خير الأرض ومهد الإسلام، وأطق بالثناء عليه جميع الأقوام". [150]

فلما مات وكام مولوي أصدر رشيد رضا في المنار مذكرته وتعزيته تحت عنوان "وفيات الأعيان". فهي كالتالي:

"الشيخ محمد عبد القادر المليباري

تُوفي في هذا العام عالمان عاملان مصلحان، أحدهما: الشيخ محمد أمين الشنقيطي في بلدة الزبير التابعة للبصرة، وقد كلَّفْنا أحد أصدقائه كتابة ترجمته، والثاني صديقنا الأستاذ المصلح الشيخ محمد عبد القادر في مليبار وقد كتب لنا ترجمته أحد تلاميذه ومريديه فننشرها باختصار قليل، وهي:

---

[149] محمد رشيد رضا، مجلة المنار، صفر 1348هـ. ج 3، ص 140.

[150] نفس المرجع.

في غرة رجب من هذا العام 1351 توفي العالم العلامة محرر المجلة الغراء دبيك (المنير) أستاذ الإصلاح الديني لمسلمي مليبار محمد عبد القادر المولوي ابن العالم المرحوم محمد كنجي رحمهما الله تعالى، ففقد مسلمو مليبار أستاذهم ومحيي أرواحهم بالإصلاح الإسلامي.

وكانت أعمال التجهيز لجنازته على غاية من اتباع السنة رغم أهواء الخرافيين لأن أبناء الفقيد وأقرباءه وتلاميذه المصلحين قد بذلوا جهدهم لئلا يمزج الناس تشييع هذا المصلح الأول فيهم بشيء من مبتدعات هذه البلاد من الجهر بالتهليل أو غيره حين تشييع الجنازة حاملين لها أو ماشين معها، ومن جمع الناس وضيافتهم بعد الدفن في ذلك اليوم أو في الثالث أو غيرهما، ففضل الله وتوفيقه كان تجهيز هذا المصلح الأكبر خاليًا من جميع البدع والمنكرات، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وكان أهل مليبار كافة وأهل بيت الأستاذ الفقيد بل كان هو نفسه أيضًا ممن يحافظون على المحدثات والبدع مقلدين لكتب المتأخرين المؤلفة في الفقه والتصوف وغيرهما من الفنون الإسلامية، ولكن بعد ما شرع الأستاذ يقرأ مجلة المنار الغراء هداه الله بها إلى التفكير في الإصلاح الديني، وصار أول أستاذ إصلاح في هذه البلاد الملييارية، جزاه الله عنا خير الجزاء، ورضي الله عنه وأسكنه في جنة الخلد، ومتعه بالنعيم المقيم، آمين، وهذه خلاصة ترجمته: كان الفقيد من أعضاء قبيلة كريمة معروفة بالمجد والشرف في نواحي تراونكور وفي الخارج أيضًا. ولد من أبوين كريمين سنة 1873م ووالده رحمه الله كان من التجار الكبار والعلماء الكرام أهل الغني والسخاء، وكان قد أحضر من الخارج بعض علماء ذلك الوقت لتعليم الفقيد، فقرأ عليهم وعلى غيرهم كتب النحو والبلاغة والفقه الشافعي والتصوف وحقائقه والمنطق، ثم لم يلبث أن وجه عقله للبحث عن حقائق

الدين وأسرار العبادات والأعمال المشروعة. ثم بعد ما توفي والده وحصل على سهمه الخاص به من التراث أجمع أمره وعزم على وقف حياته على خدمة الأمة بماله ونفسه. وكان محبًّا لقراءة الجرائد والمجلات فأسس أولاً جريدته الأولى المشهورة باسم شوديشابهماني (الوطني) ومطبعة مسماة بذلك الاسم أيضًا، وبعد عام عين في رياسة تحريرها أديبًا هندوسيًّا مشهورًا بتحريكه للأفكار السياسية الاستقلالية في أهالي تروانكور، فمن ثَم شرعت الجريدة بقلمه السيال تفضح الحكومة وتنقد أعمال موظفيها ولاسيما وزيرها الأعظم الذي كان شهوانيًّا أكثر من أنه إداري، فاغتاظت الحكومة وصادرت الجريدة والمطبعة، ونفت الناصح الصادق من أرضها ومات في غربته، جزاه الله بصدقه وخير أعماله وأوصافه، فبهذه المصادرة خسر فقيدنا خسرانًا عظيمًا يقدر بخمسة آلاف روبية أو أزيد، وكان فقيدنا عقيب تأسيس الجريدة المذكورة قد أسس لخدمة أمته الإسلامية خاصة مجلته المشهورة باسم المسلم، ولكنه بعد هذه المصادرة التي خسر بها مطبعته قد اضطر لتعطيلها أيضًا، ثم لم يتمكن من متابعة أعماله للأمة والملة التي وقف حياته عليها إلا بعد ثلاث سنوات أو أربع.

وفي سنة 1913 م استأنف إصدار مجلة المسلم الغراء فوجد أمته الإسلامية على شيء من الاستعداد لقبول الإصلاح والتجديد، فعزم على الصدع بأهم قواعد الإصلاح الديني متوسلاً إليه بإصدار مجلة في لسان قومه بأحرف عربية؛ لأن غالب المسلمين من قومه رجالاً ونساء لا يقرءون لغتهم المليبارية بأحرفها الأصلية وإنما يقرءونها بالأحرف العربية، فأسس تلك المجلة باسم الإسلام ومطبعتها سنة 1917 م وأصدر عددها الأول في غرة رجب سنة 1336 هـ منبهًا للمسلمين إلى أحوالهم الحاضرة من حيث دينهم

وتعليمهم واجتماعهم واقتصادهم، وصادعًا بالإصلاح الديني المبني على الاعتصام بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالحين.

وتلك المجلة (الإسلام) وإن لم يتمكن أن يصدر منها إلا خمسة أعداد فإنها نورت وجه أرض البلاد الماليبارية، ووجهت وجوه عقلاء المسلمين المفكرين علماء كانوا أو عوام، شبانًا أو شيوخًا إلى مبادئها الإصلاحية من تعميم التعليمين الديني والعصري بين الذكور والإناث، مع المحافظة على التربية الدينية الصحيحة ونبذ الخرافات والبدع وجميع أنواع الأعمال الشركية، وتجديد توحيد الألوهية والربوبية، والاعتصام بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالحين في جميع نواحي الحياة، وعلاوة على ذلك جعل مجلة (المسلم) جريدة أسبوعية، وولي رياسة تحريرها أحد تلاميذه المصلحين حفظه الله آمين.

ثم وجه همته إلى تأسيس الجمعيات بين أهل وطنه وخصوصًا المسلمين، فأسست جمعيات ومجالس في مختلف البلاد الماليبارية: تراونكور وكوسن وماليبار، البعض بسعيه والباقي على وفق إرشاداته في الإصلاح الديني، وإن كان بعضها قد غاب من أفق الوجود فالبعض الآخر لا يزال حيًّا ظاهرًا عاملاً بتوفيق الله.

وفي النهاية وجه عزمه إلى تأسيس دار النشر الإسلامية وإلى الصحافة، فشرع في إصدار مجلته الأخيرة ديبك (المنير) منها موجهًا عالي همته وأكبر عنايته إلى الرد على الملحدين والماديين الذين ظهرت قرونهم في أهالي هذه البلاد ولاسيما الهندوس والنصارى في هذه الأعوام الأخيرة، وإلى نشر محاسن الإسلام وفضائله وسائر المواضيع النافعة المهمة. فهاتان المؤسستان لا تزالان جاريتين، أدامهما الله تعالى آمين.

كان قد شرع في تفسير القرآن الكريم بلغة قومه في مجلتيه الأخيرتين (الإسلام) و(المنير) وكان عضوًا من أعضاء الهيئة المؤلفة لامتحان معلمي العربية في مدارس الحكومة، وله مقالات في مختلف المواضيع الإصلاحية في جرائد شتى مليبارية، وترجم من الفارسية كيمياء السعادة للغزالي رحمه الله، ومن الأوردية رسالة أهل السنة والجماعة، ورسالة السنة والوحي، وكلتاهما للعلامة السيد سليمان الندوي حفظه الله. وترجم أيضًا رسالة السيد جمال الدين الأفغاني في الرد على الدهريين وله أيضًا رسالة (إسلام مت سدهانتها سنكرهم) (خلاصة مبادئ دين الإسلام) .

كان رحمه الله حليما، محبا للسلم والسكون، شجاعًا لا يخاف في الله لومة لائم، ولكنه على كونه لا يحب الثورة ولا الثوار في شيء، يحب ويكرم مبادئ الجمعية الوطنية الهندية، وكان ذا عزم وثبات لا يتزلزل للأهوال والبلايا مهما تكن عظيمة، وتقيًّا ورعًا لا يوصف، وكان إيمانه وتوحيده وتوكله وتفويضه جميع أموره إلى الله مثار تعجب عند جميع من يعرفون أحواله، وكانت أُخوته شاملة لجميع البشر، وكذلك كان صبره وصفحه وعفوه وتسامحه واحترامه للمخالفين تبعثه على الإحسان إليهم والرحمة بهم وكذا بأعدائه في جميع الأحوال، وكان على حظ عظيم من التواضع: يتواضع ويخفض جناحه لجميع الأصحاب بل لخَدَمِه أيضًا، وفي الجملة كان مثالاً عظيمًا لمكارم الأخلاق.

وكان يعرف من اللغات سوى لغته المليبارية وآدابها: العربية والفارسية والأوردية والتاملية معرفة جيدة، والإنكليزية والسانسكريتية معرفة دون ذلك، وكان في العربية وعلومها الأدبية فردًا فذًّا في مليبار بل في جنوب الهند أجمع وفي العلوم الإسلامية وأسرارها ودقائقها من الأفراد النادرين الممتازين بالاستقلال في التفكير والبحث في بلاد الهند جمعاء.

وكان بمنزلة الأب العطوف لجميع مسلمي مليبار (كيرله) في جميع سعيهم للتجديد والإصلاح غيَّر حركة الأحمدية، قاديانيين كانوا أو لاهوريين؛ إذ لم يشارك أي فريق منهم فيها، بل كان مخالفًا لها وإن لم يصوب سهامه إليها.

وأما مذهبه في التجديد والاصلاح فقد كان فيه سلفيًّا لا يقول بالتقيد بأي مذهب كان غير مذهب أهل السنة والجماعة، داعيًا إلى نبذ جميع العادات والأعمال الشركية والخرافات والبدع الدينية، والاعتصام بالكتاب والسنة، وسيرة السلف الصالحين رضي الله عنهم، ومع كونه مستقلاً في البحث والتفكير كان في مبادئ التجديد والإصلاح موافقًا لإرشاد مجلة المنار الغراء، محبًّا لها ولصاحبها السيد محمد رشيد رضا حفظه الله، وكان يحب حكيمي الإسلام والشرق السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده المصري رحمهما الله، وشيخ الاسلام ابن تيمية وتلاميذه، وشيخ الإسلام مرشد أهل نجد محمد بن عبد الوهاب، وللفقيد في الذب عن ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب والثناء عليهما رسالة (ضوء الصباح) في اللغة المليبارية، وكان أيضا يحب إمام المملكة العربية السعودية عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود، أصلحه الله وهداه ووفقه لما يحب ويرضى آمين، وقد أعقب رحمه الله ذرية مباركة: بنتًا واحدة وتسعة أبناء، أكبرهم عبد السلام نال شهادة البكالورية من الجامعة الوطنية الملية في دهلي، فنسأله تعالى أن يجعل منهم خير خلف لوالدهم الكريم المجدد الحكيم، ويوفق سائر أهل مليبار للاستقامة على ما هداهم إليه من الصراط المستقيم، وأن يثيبه عنا جنات النعيم. آمين. (المنار)[151]

تعزية رشيد رضا:

[151] محمد رشيد رضا، مجلة المنار، رمضان 1351هـ، ج 32، ص 793.

"إننا نشارك أنجال هذا الصديق الكريم والمصلح الحكيم ومريديه وسائر أهل وطنه في مصابهم العظيم بفقده، ونعزيهم أصدق التعزية، وندعو لهم بالثبات على ما أرشدهم، ونعدهم بأن نكون لهم كما كنا له فيما يرجعون إلينا، ونسأله تعالى أن يتولى توفيقهم وتوفيقنا".[152]

وفي الخلاصة هذه المراسلات الطويلة بين رشيد رضا ووكام مولوي دليل واضح لتأثير رشيد رضا ومساهمته في الحركة الإصلاحية في ولاية كيرالا.

[152] نفس المرجع.

الفصل الخامس

تأثير الحركات الإصلاحية على مسلمي ولاية كيرالا

وقد وقعت صراعات جلية بين الإصلاحية والتجديدية وبين جميع العقائد والتقاليد الفاسدة، ولكن الحركات التجديدية كانت حيوية ومستمرة في جميع المجتمعات والديانات التي تعيش داخل مليبار وخارجها من ولاية كيرالا القديمة. وهذه الحركات التجديدية تؤثر في أصالة التقاليد المليبارية المسلمة.

كما أشرنا من قبل فلما انتشر الإسلام في كيرالا بوساطة التجار العرب كان خالصا سالما من شوائب الشرك والبدع والخرافات لأنه نقلوا العقائد من السلف إلى الخلف بلا تغيير ولا تبديل. ولكن طال الأمد على مسلمي كيرالا، وتسربت إليهم البدع والخرافات. كان القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين أفسد العصر بالنسبة إلى مسلمي كيرالا. كانوا إذ ذاك في الحضيض الأسفل علميا ودينيا وثقافيا، فكان الجهل الفاحش منتشرا بينهم، واستولت عليهم البدع والخرافات والتقليد الأعمى في أصول الدين وفروعها. وبالرغم كان جمهور مسلمي كيرالا متحمسين للإسلام،وإن كانت مشوبة بالبدع، لأنهم لم يكونوا متمسكين بالقرآن الكريم والسنة على الطريقة السلفية.

ونظرا إلى الصورة العامة السائدة في بلاد مليبار كان العلماء يتركزون بالأحداث والوقائع المحدودة داخل سور المنطقة التابعة لهم وما يجرى في أروقة المساجد التي يقضون فيها خدماتهم وما كان لهم إلمام واسع حول القضايا التي تجري خارج نطاق خدماتهم، وكان اهتمامهم في إرشاد الأهالي المستوطنين في القرى والمدن وإلقاء الدروس للطلاب الوافدين المقيمين في أروقة المساجد، وكانوا رموز الإخلاص والزهد إلى حد كبير، فلذا لم يشتغل بالهم في الأحداث

والشبهات المثارة خارج حدود بلادهم، وكان شغلهم الشاغل هو توعية المسلمين دينيا وتزويد التلامذة علميا في منطقة محدودة وبأسلوب معين.

فإن التربيات التقليدية إنما هي على واسطة المدارس الابتدائية لتعلم الصلاة وتلاوة القرآن من المعلم، ثم على دروس المساجد التي هي أكبر الوسائط للدراسة العالية تحت مدرس حاذق. وكان درس فناني الذي أسسه زين الدين المخدوم الكبير أشهر دروس المساجد بكيرالا حتى وصل إليه الطلبة من إندونيسيا وسرنديب وملاي وما إليها من خارج الهند. ولكن صيته تراجع حينما بزغت الكليات للدراسات العليا مثل كلية الباقيات الصالحات وندوة العلماء ودار العلوم بشمال الهند وجنوبها.

وتهيأ أول خطة لتحديث التربيات التقليدية من جاليلاكات كنج أحمد الحاج الذي نفذ هذه الخطة في مدرسة دار العلوم بوازكاد، وضمن في مناهج دراسته الموضوعات الجدد والعصرية مثل التفسير والفقه والتصوف والمعاني والبديع والجغرافيا والعلوم والرياضيات وعلم الفلك وما إلى ذلك.

رأى وكام مولوي ضرورة تعميم التعليم في المجتمع وخصوصا بين المسلمين الذين حرموا منه منذ قديم. وقام بتجديد الدروس الدينية أداة إلى قيادة الناس إلى التعليم العام. وحث الأثرياء المحسنين للاستثمار في هذا المجال لبناء المدارس والمعاهد المهنية، كما مارس الضغط لدى الحكومة لتطبيق التنوع التعليمي في المدارس. ومن نتيجة هذه الجهود أن صار مسلمو تروواناندابورام أكرم تقدما في التعليم قياسا لإخوانهم في مليار. وقد اتخذ اللغة الإنجليزية ودراستها مدخلا إلى عالم المعرفة الواسع، واللغة الماليالمية وسيلة لتحرير المجتمع ومقاومة الجور، واللغة العربية طريقا إلى

التأمن الروحي. ومن هذه الثالث استطاع أن يصيغ اتجاه سائدا للمسلمين لكي يقوموا متكافئين مع غيرهم في هذا البلد المتعدد في الثقافة والأديان.

وقد قامت صحيفة وكام المولوي بدورها القيادي في تقديم القضايا التي تشغل الرأي العام إلى المسؤولين. وركز اهتمامها على التدريس المرأة وادخال اللغة العربية في إطار المواد المدرسية والعناية بالمواد ذات الاهتمام بالثقافة والفنون.

واهتم وكام مولوي بتدريس اللغة العربية في المدارس العامة، قدّم بهذا الخصوص عددا من الطلبات إلى البرلمان المحلي وقام بأكبر قدر من الضغط في تعيين أساتذة العربية في المدارس العامة، وذلك جلبا لأولاد المسلمين إليها. أخيرا أعلنت حكومة تروونامكور في صحيفتها الرسمية بأن من واجباتها إقامة مشروعات لتحرض الصغار المسلمين نحو التعاليم الحديثة.

وعقد وكام مولوي مؤتمرا لزعماء الأمة المسلمة في آلابوزا (Alappuzha) تحت اللجنة المحمدية. نفذت الحكومة تقرير اللجنة التي قدمها المولوي وعينت 15 نفرا مباشرا كأول دفعة لدراسة القرآن أو اللغة العربية في المدارس الحكومية سنة 1331 هـ/ 1912 م مع راتب حكومي. وعينت الحكومة لهم مفتشا خاصا لتنسيق نشاطاتهم التعليمية. وقد نجح في ذلك أيما نجاح، إذ وافقت الحكومة على إدراج العربية في إطار المقررات الدراسية، ووكل إليه تحرير الكتب المدرسية العربية وتدريب المعلمين. ثم بدأت تزدهر في كل ناحية من نواحي تروونامكور لجان نشيطة في أسماء مختلفة، وأقيمت مدارس خاصة لكل لجان.

وقد أسس كليات إسلامية تنتهج هذا المنهج مباشرا أوغير مباشر. كان من أنشطة جمعية العلماء وندوة المجاهدين تأسيس المعاهد التربوية والإسلامية لتعليم الذكور والإناث. منها كلية أنوار الإسلام العربية للبنات بقرية مونغام (Mongam) التي أسست سنة 1388 هـ/ 1968 م تديرها

جمعية العلماء مباشرة. هي أول كلية إسلامية للبنات المسلمات في جنوب الهند. فتخرجت في كيرالا عدد كبير من النساء المتضلعات بالعلوم الإسلامية والفنون العربية، قائمات بالدعوة إلى سبيل الله على بصيرة وحكمة.

ثم إن المنافسة بين الحركات المختلفة أدت إلى تأسيس المدارس العلمانية التي صارت سبب قدوم التحديث إلى المجتمع. وإن المدارس تعرف أعجوبة وقوة لأهل مليبار في جميع أنحاء العالم، حيث إن فيها أكثر من عشرة آلاف مدرسة تجري تحت إشراف منظمات مختلفة، كما أن هناك صورة جديدة للمدارس تتضمن تعلم الانجليزية والمواد العلمانية مع العلوم الدينية تحت رعاية تلك المنظمات نفسها.

ثم إن دور جمعية المسلمين التربوية (MES) جدير بالذكر، بعدما تأسست عام 1384 هـ/ 1964 م، ولعبت دورا بارزا في تقدم الدراسات العصرية لدى المسلمين حيث إن عديدا من الكاترة والمهندسين والحذاق في عديد من المجالات تخرجوا على أيدي هذه الجمعية التجديدية.

أنشطات الإصلاحيات الاجتماعية

ليس من العجيب أن يؤثر تعملات قوم أو تقاليد قوم في قوم يعيشون معهم. قد أثر كثير التقاليد في الشعب المسلم من المسيحيين في كيرالا. ومنها العادت الزواجية والأعياد وما إلى ذلك. والهنادكة أيضا اعتادوا بالتقاليد العربية في زيهم مثل العمامة والسراويل والنعال والشعر على الرأس وغيرها حيث لا تعرف هذه العادات بينهم قبل امتزاجهم مع العرب.

إن جمهرة المسلمين في مناطق مليبار تأثروا بتقاليد وعادات علماء اليمن نتجية تبادل الرؤي والثقافات فيما بينهم طوال قرون طويلة. وبالتالي غلبت في ربوعها التقاليد المتمثلة في الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله عقديا وفي الإمام الشافعي رحمه الله فقهيا. وكان أكثر المسلمين

متمسكين بعادات وعقائد الصوفية حيث سادت في أنحائها حفل المناقب والمواليد للأئمة الصوفية بشكل واسع كما ظهر فيهم الإنتماء إلى طرقهم والشغف بمذاهبهم.

وكانت المساجد تقام فيها شعائر المذهب الشافعي رحمه الله مثل القنوت في صلاة الصبح وقراءة البسملة جهرا في سورة الفاتحة. ويصلون التراويح عشرين ركعة ويقومون بأدعية جماعية بعد الصلوات المفروضة وكانوا يخطبون في يوم الجمعة باللغة العربية الفصحى فقط وكان المسلمون يحتفلون بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول، ويتجمعون بعد موت ذويهم للتعزية في الذكرى الثالثة والسابعة والرابع عشر والأربعين. وكانوا يزورون قبور الصالحين والأولياء والمشايخ ويتبركون بهم، كما كانوا يتعاملون مع العلماء والصلحاء لإسترقاء مرضاهم بالأدعية. وكانت نساؤهم يصلين في البيوت ولا يحضرن للجمعة والجماعات التي تقام في المساجد، ورغم أن كان علماء الشريعة الموجودين في أروقة المساجد على اطلاع واسع بالمسائل والأحكام الفقهية إلا أن العوام من المسلمين كانوا يتربون بتطبيق المذهب الشافعي في حياتهم اليومية، كما كان رجال الدين يكتفون بالفتوى حسب الرأي المعتمد في المذهب الشافعي.

وكان لمشائخ الطريقة القادرية والجشتية والنقشبندية والنورية وغيرها من الطرق الصوفية دور رائد في تقوية عقائدهم ومقاومة أهل البدع والضلالة في أرجاء مليبار كما لهم مساهمات جليلة في نشر الدين الإسلامي في ربوعها، وحياتهم جذبت سكانها إلى اعتناق عقائدهم وانتها ج مسالكهم. وكان هذه الصورة هي الغالبة بين مسلمي كيرالا حتى أوائل القرن العشرين.

كان للمسلمين أعياد يشابه أعياد الهنادكة، ويسمونها بالعروس، التي تجري بمناسبة وفاة الشيوخ والشهداء والأولياء الذين عاشوا متزهدين. والناس يتبركون بالإشتراك فيها بالحضور والزيارة والدعاء لهم وتقديم الهدايا أو النذور لهم ويعتقدون إن هذا يحميهم من المصيبة والفتن.

وفي النذور قطع بعض أعضاء الإنسان مثل اللسان وطعن البطن بالسكاكين كما يوجد عند النهادكة ضرب الرأس بالسيوف حتى يسيل من الجرح الدم.

وكان التربية في ذلك العصر درس الغناء الذي يمدح فيه الشهداء والأولياء، مثل غناء لقصة البدر والأحد وغناء لمدح الرسول وما إلى ذلك . لجأ المسلمون إلى المقابر بدلا من المساجد. ويفضل الناس الدعاء لغير الله اعتقادا إنه خير في الدين. وتفرق الناس الرهبان حسب فضله وأعطى لهم مرتبة مثل تانغال والسيد ولبا ومسليار ومؤذن وغيره. وحارب العلماء والزعماء الإصلاحي ضد هذه التقاليد الفاسدة والاعتقاد الباطلة.

وفي هذا الحال أنشأ وكام مولوي جمعيات مختلفة في أنحاء كيرالا، وكان مقصد كل منها توحيد كلمة المسلمين ورفع مستواهم في المجالات المختلفة في الحياة كما فكر المولوي عن تشكيل جمعية مركزية، وتشاور مع أصدقائه ومع ذلك كتب مقالة في حاجة تأسيس لجنة المسلمين في كيرالا. وجدير بالذكر هنا أن جوس أبرهام (Jose Abraham)، أستاذ في جامعة (McGill University)، كاندا ، أجرى دراسة بحثية عن مساهمات وكام مولوي. ويقول في كتابه[153] أن وكام مولوي قد أدى الأمة الإسلامية إلى التقدم والمكانة المرتفعة.

وفي البداية ما كان في كيرالا أي معهد يمنح الإذن لدخول البنات. ولكن نتيجة لأعمال العلماء الإصلاحي الآن يجد كثير من المعاهد تمنح الإذن للبنات بل للبنات معاهد خاصة. حينما تخرجت الفتيات من الكليات أنشأت حكومة كيرالا بعض المناصب ووظفت ثلاثة منهن كمفتشات لتدريس البنات. زرن المدارس وفتشن مستوى تدريس البنات المسلمات. وزرن البيوت التي فيها البنات اللائي يتأخرن في دخول المدارس، وحرضن إلى دخول البنات في المدارس.

[153] جوس أبرهام، Islamic Reform And Colonial Discourse On Modernity In India: Socio-Political And Religious Thoughts Of Vakkom Moulavi, New York.

الآن يجد بين المسلمات حاملي الشهادات العالية في العلوم الحديثة والتكنولوجية والشهادة الطبية والهندسية وما إلى ذلك. وهن تعملون في المدارس والكليات والجامعات، وبعضهم يرتحلون إلى البلاد الخارجية لمختلف الأعمال والوظائف الحكومة وغيرها.

وفي الأخير نتيجة لما أثرت القوانين الهندية بحجز المقاعد للنسوة في المؤسسات والمناصب الرسمية، تغيرت وجهة الأمة التقليدية حول تقوية النسوة بعد طول الضجيجات من جانب التجديدي على إيجابها. وإن المجتمع الإسلامي الذي أغلبيته الأمة التقليدية يشارك في سياسة النسوة للتخلص من ضغط القوانين.

وبالجملة إن الفضل في تقدم المسلمين في كيرالا يرجع إلى العلماء والأمراء ونشاطاتهم في المجتمع. والحركات الإصلاحية هي جلية في مد جسور التواصل بين شتى طوائف الهند وغرس بذور التسامح والأخوة في قلوبهم، وكان للزعماء الإصلاحي علاقة وطيدة مع كافة الأحزاب السياسية والطوائف الدينية مع اختلاف ميولهم الدينية والسياسية، وساعدت تلك العلاقة لتقوية الأخوة وتبادل الآراء فيما بينهم، حتى تمكنت أن تعمل كواسطة بين شتى أفراد المجتمع في دولة متعددة الطوائف والديانات والأعراق.

وفي الخلاصة نتيجة لهذه الحركات الإصلاحية التجديدية نهض مسلمو كيرالا من سباتهم. وتأثر هذه الحركات هي لأصبحت ظاهرة بين مسلمي كيرالا في كل مجال مثل التعليم الديني والعصري بما فيها تربية النساء وتدريس اللغات الأجنبية والعبادة والأدعية والتوحيد وما إلى ذلك. ولا شك أن ولاية كيرالا تحتل المكانة الأولى بين ولايات الهند في خدمة الإسلام ورفع شأنه وترويج اللغة العربية. ولا محالة أن الفضل في هذا النهوض الفكري والتطور الثقافي التي انتشرت بين المجتمع الاسلامي في ولاية كيرالا يعود إلى العلماء والمنظمات الإصلاحية فيها.

الخاتمة

تاريخ العلاقة بين كيرالا والبلاد العربية يرجع إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم. ولما بزغ نور الإسلام في مكة المكرمة ووصلت أشعته إلى سواحل كيرالا. والتجار العرب المسلمون كانوا يتوافدون إلى سواحل كيرالا بل يقومون في مقدمة التجارة البحرية، فانتشر فيها الإسلام بواسطتهم انتشارا عظيما.

والإسلام الذي نشره العرب كان خالصا وسالما من شوائب الشرك والبدع والخرافات. ولكن طال على مسلمي كيرالا الأمد، حتى تسربت إليهم البدع والخرافات. القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين كان من أفسد العصور بالنسبة إلى مسلمي كيرالا، لأنهم كانوا في الحضيض الأسفل علميا ودينيا وثقافيا حيث كان العلماء يحرمون تعلم العلوم العصرية واللغة الإنجليزية، ويحرمون على المرأة تعلم الكتابة في أية لغة حتى العربية، زاعمين أنه يفضي إلى فساد كبير.

وفي ذلك العصر كان أعمال المبشرين المسيحيين شديدا ونظاميا وهجأوا الإسلام ويخطبون ضد الإسلام والرسول في الطرق والأسواق. فنهض رائد النهضة الإسلامية والحركة التجديدية والإصلاحية بكيرالا، السيد ثناء الله المقدي ضد هذا الموقف. وإنه كان واعظا نشيطا وخطيبا مصقعا، فسافر وحيدا من جنوب كيرالا إلى شمالها لهذا الغرض النبيل. وبذل جهوده في سبيل نشر التعليم والثقافة الإسلامية بين المسلمين بطريقة جديدة.

وهو أول مسلم ألف الكتاب في لغة ملايالام، ونشرها بين الناس. قد ألف السيد المقدي زهاء 40 كتابا صغيرة وكبيرة في لغة ملايالام لهذا الغرض. وألف أيضا 12 كتابا في لغة "عربي ملايالام"

لعامة المسلمين الذين لم يكن عندهم مهارة القراءة في لغة ملايالام بالإضافة إلى مقالاته وكتيباته حول مواضيع مختلفة.

السيد ثناء الله المقدي هو كان أول مسلم بدأ إصدار جريدة يومية في ولاية كيرالا كما أصدر مجلات مختلفة. وأنشأ السيد ثناء الله المقدي أول جمعية باسم "اللجنة المحمدية"، ودعا إلى التعليم المفاهيم العصرية في الموضوعات الإسلامية. وشجع الناس على تدريس اللغات المتنوعة إذ كان تعلمها محرما بين المسلمين آنذاك.

والشيخ وكام (Vakkam) محمد عبد القادر مولوي، المشهور بوكام مولوي، الذي بذل جهده للتجديد والإصلاح في كل مجال التي تتعلق بحياة الإنسان. وقد أدرك وكام مولوي ان من واجبه أن يسوق المسلمين في مجال التعليم حتى يرشدهم إلى الصواب والثقافة الإسلامية الصحيحة بدلا من التقاليد الباطلة. وفي عصر وكام مولوي كان أولاد المسلمين لا يلتحقون بالمدارس العامة. وإنه هو الذي حاول أولا أن يجعل مسلمي كيرالا مثقفين بالعلوم الحديثة. تناول وكام مولوي الصحافة طريقة تناسب هذا الغرض حتى تحمس إلى إنشاء الجرائد والدوريات في كيرالا. صحيفته Swadeshabhimani بدأت تصدر عام 1323 هـ/ 1905 م.

وفي عام 1324هـ/1906م أصدر صحيفة في الملايالام باسم "المسلم". ولما علم أن رسالاته التقدمية لا تصل إلى مسلمي مليبار لأنهم كانوا لا يستطيعون قراءة لغة ملايالام فأصدر صحيفة بارزة أخرى في "عربي ملايالام" باسم "الإسلام".

تأثر وكام مولوي برشيد رضا ونظرياته وكان لوكام مولوي علاقة وطيدة معه. كان وكام مولوي من قراء مجلة "المنار" الذي كان يصدرها الشيخ رشيد رضا من مصر. والتواصل الطويل بين رشيد رضا ووكام مولوي كان دليلا واضحا لهذه العلاقة الحارة. ترجم وكام مولوي مقالات نشرت في مجلة المنار إلى لغة مالايالم وأصدرها في مجلته.

بذل وكام مولوي مجهودته لإضافة اللغة العربية إلى مناهج المدارس العامة ودوراتها في ولاية كيرالا، رفع وكام مولوي عددا من الطلبات إلى البرلمان، وأخيرا وافقت الحكومة بتروونكور (Travancore) بإضافتها في المنهج. قامت الحكومة الأولى في كيرالا بنشر تدريس اللغة العربية إلى جميع أنحائها في مراحلها المختلفة. والفضل لذلك يرجع إلى وكام مولوي في ترويج دراسات اللغة العربية في مختلف أنحاء كيرالا خاصة في القطاع العام.

ومن الشخصيات البارزة في مجال الحركات الإصلاحية الإسلامية هو الشيخ جاليلاكات كنج أحمد الحاج (Cahlilakath Kunj Ahamd Haji). وهو كان من روّاد الحركة الإصلاحية في كيرالا. وكان معاصرا لوكام محمد عبد القادر مولوي. وإنه قد تأثر بأفكار تجديدية لثناء الله المقدي والسيد الماهن الهمداني ومحمد رشيد رضا.

أدخل الشيخ جاليلاكات كنج أحمد الحاج التجديد في التعليم الدينية كما شجع المسلمين إلى تجديد مناهج الدارسات الدينية وتدريس اللغة العربية. إنه قد حرض الطلاب الدينية على تعلم لغة ملايالام بدلا من العربي ملايالام. وأنشأ منهجا حديثا لدراسة العلوم الدينية واللغة العربية، أضاف العلوم العصرية إلى المنهج. وقسم الطلاب حسب مستوى معرفتهم وقدراتهم. استخدم الشيخ الطباشير والسبورة والطاولة والمقعد في قاعات تدريس العلوم الدينية كما كانت تستخدم في المدارس الحكومية حينئذ. قد جعل الشيخ مدرسته مفتوحا للبنين والبنات. وكانت هي من الخطوات الجريئة التي ارتفعت بها مستوى المعاهد الدينية في أنحاء كيرالا.

والسيد محمد ماهين الهمداني له أثر كبير في ترقية الأمة المسلمة وتقدمها في ولاية كيرالا. قد ركز السيد الهمداني في حل مقتضيات الأمة المسلمة حتى قام بتطبيق التسهيلات العصرية الحديثة في مجال التعليم.

فكّر العلماء والزعماء في توحيد كلمة المسلمين في منطقة كودونغالور (Kodungallur)، فقاموا بتأسيس جمعية محلية في سنة 1340 هـ/ 1921 م وسموها "جمعية الإنصاف بين المسلمين". فصارت أنشطتها أنفع وأجدى مما كانوا يتوقعون بها. فشكلوا عام 1341 هـ/ 1922 م جمعية لعموم كيرالا سموها "جمعية اتحاد المسلمين بكيرالا" بأهداف الدعوة إلى الله وإلى التمسك بالقرآن والسنة، وتعليم المسلمين ورفع مستواهم علميا وثقافيا واجتماعيا، وتوحيد كلمتهم وغيرها.

ولما ألغيت "جمعية الإنصاف بين المسلمين" فيما بعد أن أحس زعماؤها بضرورة تشكيل جمعية خاصة لعلماء كيرالا فقاموا بتشكيل "جمعية العلماء بكيرالا" عام 1341 هـ/ 1922 م. وكانت أنشطة هذه الجمعية قيمة جليلة وفريدة. ولما اتسعت نطاق جمعية العلماء، تأثر بها جم غفير من غير العلماء من مسلمي كيرالا نتيجة لدعواتهم الإصلاحية. فشكلوا منظمة يمكن أن ينتمي إليها كل من تأثر بالدعوة عالما كان أو غيره، فلهذا الغرض أسست عام 1370 هـ/ 1950 م "ندوة المجاهدين بكيرالا". ثم تشكلت جمعية للشبان باسم "اتحاد الشبان المجاهدين" سنة 1387هـ/ 1967 م، وجمعية للبنات والنساء باسم "حركة الطلبة المجاهدين بكيرالا" سنة 1392 هـ/ 1972 م وتشكلت جمعية للنساء والبنات باسم "حركة البنات والسيدات المسلمات" سنة 1403 هـ/ 1982 م.

ولا تزال تدير هذه الجمعيات المؤتمرات والملتقات لنشر العلوم الدينية والتوعية الإسلامية. وجرت تحت رئاستها الكليات والجامعات الإسلامية لتخريج جهابذة العلماء والدعاة الخالصين كما أصدرت الجرائد والمجلات والكتب تحت رعايتها وإرشاداتها، ومن أهمها تميزا وأشهرها المجلة الشهرية "المنار" تصدر تحت رئاسة ندوة المجاهدين، وجريدة "الشباب" التي قام نشرها اتحاد الشبان المجاهدين. ومجلة شهرية للأطفال "بال كوتوكام" (Bala Kouthukam) التي تصدر تحت رئاسة حركة الطلبة المجاهدين. وحركة البنات والسيدات المسلمات تصدر مجلة شهرية

باسم "بوداوا" (Pudava)، وجدير بالذكر في هذه العجالة، المجلة الشهرية "بوداوا" تهتم برفع مستوى النساء.

تأثر روّاد لحركات الإصلاحية في كيرالا بأفكار رشيد رضا حيث إنهم كانوا من قراء مجلاته وكتبه. نرى هذا التأثير بكامله في أعمال وكام مولوي، وإنه كان على علاقة وطيدة برشيد رضا، وكان من قراء مجلة المنار، والتواصل الطويل بينهما كان دليلا واضحا لهذه العلاقة الجادة والوثيقة.

كان الشيخ محمد رشيد رضا عامرا بالحركة والنشاط والعمل، وشاركا بنشاطاته في الجمعيات والهيئات الإسلامية. اشتغل بالسياسة وقضايا العروبة والإسلام فضلا عن الصحافة، كما فرغ لتفسير القرآن وطبع منه إثني عشر مجلدا، فترك أثرا لا يمحى في حياة جيله والأجيال التي أعقبته.

تأثر سكان كيرالا بفكره وكتاباته التي قاموا بترجمتها الزعماء الإصلاحيون كما نشرت في مجلاتهم المختلفة. أنفذ العلماء أنشطتهم الإصلاحية والتجديدية متأثرين بكتابات رشيد رضا وأعماله. وأنشأوا منظمات في مناطق مختلفة في ولاية كيرالا. وكان وكام مولوي يقوم في وساطة هذا التأثير. اشترك وكام مولوي في مجلة "المنار" وقام بترجمة مقالاته فيها كما قام باصدارها في لغة ملايالام وعربي ملايالام في مجلات مختلفة. ترجم وكام مولوي أيضا الكتب والمقالات والأخبار من اللغة الإنجليزية والأردوية إلى ملايالام ونشرها في مجلته.

نتيجة لهذه الحركات الإصلاحية التجديدية نهض مسلمو كيرالا من سباتهم. وتأثر هذه الحركات هي لأصبحت ظاهرة بين مسلمي كيرالا في كل مجال مثل التعليم الديني والعصري بما فيها تربية النساء وتدريس اللغات الأجنبية والعبادة والأدعية والتوحيد وما إلى ذلك. ولا شك أن ولاية

كيرالا تحتل المكانة الأولى بين ولايات الهند في خدمة الإسلام ورفع شأنه وترويج اللغة العربية. ولا محالة أن الفضل في هذا النهوض الفكري والتطور الثقافي التي انتشرت بين المجتمع الإسلامي في ولاية كيرالا يعود إلى العلماء والمنظمات الإصلاحية فيها.

***

المصادر والمراجع

الكتب العربية

أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني — **في تحقيق ما للهند**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1958 م.

أبو عبد الله الحاكم النيسابوري — **كتاب الأطعمة، المستدرك على الصحيحين**، دار الكتب العلمية، 1422 هـ.

أبو عبد الله محمد الإدريسي — **وصف الهند وما جاورها من البلاد**، جمعه الدكتور مقبول أحمد، عام النشر غير موجود.

أحمد الشرباسي — **رشيد رضا صاحب المنار**، إصدارات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة. 1970 م.

أحمد الشرباسي — **رشيد رضا: الصحفي، المفسر، لشاعر**، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، 1977 م.

أحمد أمين — **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948 م.

أحمد بن حجر البوطامي — **الشيخ محمد بن عبد الوهاب**، دار الفتح الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 1995 م.

أحمد فهد بركات — **محمد رشيد رضا**، دار عمار، الأردن، الطبعة الأولى، 1409 هـ/1989 م.

أنور الجندي — **إعلام وأصحاب أقلام**، دار الندوة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1970 م.

جمال البنا — **السيد رشيد رضا منشئ المنار ورائد السلفية الحديثة**، دار الفكر الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2006 م.

خالد الفهداوي — **العلامة محمد رشيد رضا (عصره، تحدياته، منهجه الإصلاحي)**، دار صفحات، دمشق، الطبعة الأولى، 2007 م.

خير الدين الزركلي — **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت 1984 م.

د/ إبراهيم أحمد العدوي — **رشيد رضا الإمام المجاهد**، المؤسسة المصرية العامة، 1964 م.

د/ إبراهيم أحمد العدوي — **رشيد رضا الإمام المجاهد**، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، مصر، 1964 م.

د/ في تي عبد الرحمن — **إنه شمس العلماء: سيرة وعطاء**، مؤسسة شمس العلماء، كاليكوت، 2018 م.

د/ محمد درنيقة — **السيد محمد رشيد رضا إصلاحاته الاجتماعية والدينية**، مؤسسة الرسالة، 1986 م.

د/ محمد عمارة — **جمال الدين الأفغاني المفترى عليه**، دار الشروق، القاهرة، 1984 م.

د/ محمد عمارة — **من أعلام الإحياء الإسلامي**، مكتبة الشروق الدولية، 2006 م.

د/صالح بن عبد الله العبود — **عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي**، مكتبة الغرباء العصرية، 1996م.

سامي عبد العزيز الكومي — **الصحافة الإسلامية في القرن التاسع عشر**، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، 1992 م.

السيد جمال الدين الأفغاني **تتمة البيان في تاريخ الأفغان**، مطبعة الموسوعة، القاهرة، 1901 م.

السيد يوسف أحمد **جمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999 م.

شكيب أرسلان **السيد رشيد رضا، أو، إخاء أربيعن سنة**، دار التقدمية، دمشق 1937 م.

الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي **المسلمون في الهند**، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، الهند، 1419 هـ.

الشيخ زين الدين المخدوم المخطوطة **تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتكالين**، عام النشر غير موجود.

الشيخ محمد أحمد **الحركة السلفية بكيرلا**، مطبعة العربي، ترور، كيرالا، 1982 م.

الشيخ محمد رشيد رضا **الوهابيون والحجاز**، مطبعة المنار، مصر، 1344هـ

الشيخ محمد رشيد رضا **تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ ومحمد عبده**، القاهرة، 1931 م.

الشيخ محمد رشيد رضا المنار والأزهر، مطبعة المنار، مصر، 1353 هـ.

الشيخ محمد رشيد رضا **الوحي المحمدي – ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدنية إلى الإسلام دين الأخوة الإنسانية والسلام**، مكتبة القاهرة، مصر، 1380 هـ.

الشيخ محمد رشيد رضا **ذكرى المولد النبوي**، مطبعة المنار، مصر، 1339 هـ.

الشيخ مسعود عالم الندوي **تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند**، دار العروبة، بيروت، 1951 م.

عباس محمود العقاد — **محمد عبده**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1962 م.

عباس محمود العقاد — **الإسلام في القرن العشرين**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969 م.

عبد الحي بن فخر الدين الحسني — **الثقافة الإسلامية في الهند**، المجمع العلمي العربي، دمشق، 1958 م.

عبد الغفور عبد الله القاسمي — المسلمون في كيرالا، مكتبة أكمل، ملابرم، 2000 م.

عبد المنعم النمر — **تاريخ الإسلام في الهند**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1981 م.

عثمان أمين — **رائد الفكري المصري الإمام محمد بن عبده**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1955 م.

فيصل عبد العزيز السدحان — **الإمام محمد رشيد رضا في ميادين المواجهة**، مكتبة أهل الأثر، 2011 م.

محمد أبو زهرة — **ابن تيمية حياته وعصره وآراؤه وفقهه**، دار الفكر العربي، 1952 م.

محمد أبو زهرة — **ابن حنبل حياته وعصره وآراؤه الفقهية**، دار الفكر العربي، علم النشر غير موجود.

محمد بن اسماعيل البخاري — **صحيح البخاري**، دار ابن كثير، دمشق، 2002 م.

محمد بن عبد الوهاب — **كتاب التوحيد**، مكتبة عباد الرحمن، 2008 م.

محمد بن علي الشيباني — **حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه**، الدار السلفية، الكويت، 1987 م.

محمد عبيد الله الأسعدي القاسمي **دار العلوم ديوبند: مدرسة فكرية توجيهية حركة اصلاحية دعوية**،مؤسسة تعليمية تربوية، أكاديمية شيخ الهند، دار العلوم ديوبند، الهند، 2000 م.

محمود منصور هبة **الصحافة الإسلامية في مصر**، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، 1990م.

الكتب الإنجليزية

Adams, Charles C., *Islam and Modernism in Egypt: A Study of the modern reform movement inaguarated by Muhammad 'Abduh*, New York: Russell and Russell, 1933.

Ahamd, Qayamuddin, *The Wahabi Movement In India*, Culcutta: Firma K.L. Mukhopadhyay, 1966.

Albert Hourani, *Arabic Thought in the Liberal Age. 1798-1939*, London: Oxford University Press, 1970.

Ali, Syed Ameer, *The Spirit of Islam*, Gorgias press, LLC, 2002.

Arberry, A. J., *Religion in the Middle East*, Cambridge University Press, 1974.

Arkoun, Mohammed., *The Unthought in Contemporary Islamic Thought.*

Aziz, Ahmad, *Islamic Modernism in India and Pakistan 1857-1964*, Oxford University Press, 1964.

Badawi, M. A. Zaki, *The Reformers of Egypt*, Croom Helm, London, 1976.

Bahaudheen, K M., *Kerala Muslim History: A Revist.* Calicut: Other books, 2012.

Baljon, J. M. S., *Modern Muslim Koran Interpretation*, E. J. Brill, Leiden, 1961.

Black, Antony, The History of Islamic Political Thought, New York: Routledge, 2001.

Bon, Gustave Le, *The World of Islamic Civilization*, Geneve: Tudor Publishing Company, 1974.

Browers, Michaelle and Kurzman, Charles, *An Islamic Reformation?*, Oxford: Lexington Books, 2004.

Dale, Stephen F., *The Mappilas of Malabar 1498 – 1921,* Oxford: Islamic Society on the South Asian frontier, 1980.

Dale, Stephen Frederic, *Islamic Society on the South Asian Frontier – The Mappilas of Malabar 1498-1922,* Oxford, 1980.

Elie Kedourie, *Afghani and`Abduh: An Essay on Religious Unbelief and Political Activism in Modern Islam,* London: Frank Cass and Co., Ltd., 1966.

Engineer, Asgar Ali, (ed.), *Kerala Muslims: a Historical Perspective*, New Delhi, Ajenta Books: 1995.

Hoodbhoy, Pervez., *Science: Religious Orthodoxy and the Battle for Rationality*.

Hunter, W.W, *The Indian Musalmans*, Lahore: Premier Book House, 1968.

Ikram, S.M., *Muslim Civilization in India*, New York: Columbia University Press, 1964.

Iyer, K. V. Krishna., *A short History of Kerala*, Ernakulam: Pai, 1968.

Iyer, K. V. Krishna., *Islam in Malabar* (proceedings of Indian History Congress, Vth session, Hyderabad: 1941).

Iyer, L. A. Krishna., *Kerala and her people,* Palghat: The Educationl Supplies Depot, 1961.

K.T, M. A., *The Development of Education Among the Mappilas of Malabar 1800-1965*. New Delhi: Nunes Publication, 1990.

Keddie, Nikki Ragozin., *An Islamic Response to Imperialism, Political and Religious Writings of Sayyid Jamal al-Din `Al-Afghani*, trans. Nikki R. Keddie and Hamid Algar, Berkeley and Los Angeles: University of California Press, 1968.

Keddie, Nikki Ragozin., *Sayyid Jamal al-Din al-Afghani: A Political biography*. Berkeley: University of California Press, 1972.

Kedourie, Elie, *Afghani and `Abduh: An Essay on Religious Unbelief and Political Activism in Modern Islam*, Frankfurt School Cass & Co. Ltd. London, 1966.

Kerr, Malcolm H, *Islamic Reform: The Political and Legal Theories of Muhammad 'Abduh and Rashid Rida,* Berkely and Los Angeles: University of California Press, 1966.

Khan, M. A. Muqtedir, *American Muslims: Bridging Faith and Freedom*.

Khan, Qadir Hussain, *South Indian Musalman,* Madras: The Brahmavadin Press, 1910.

Koya, M.S., *Mappilas of Malabar.* Calicut: Sandhya Publication, 1983.

Kunhali, Dr. V., (ed.) *Calicut in History,* Calicut: Publication Division, University of Calicut, 2004.

Kunhi, P.A. Muhammad., *Arrival of Islam in Kerala*, Calicut:1998.

Kunhu, Dr. A. P. Ibrahim, *Mappila Muslims of Kerala*, Sandhya Publications, Thiruvanadapuram, 1989.

Kurzman, Charles (ed.), *Liberal Islam: A Sourœbook*

Kutty, E. K. Ahmed., *Islam and Social Reform Movements in Kerala*, Thiruvananthapuram, University of Kerala: 1978.

Majid, Anouar, *Unveiling Traditions: Postcolonial Islam in a Polycentric World.*

Menon, A Sreedhara., *A Survey o Kerala History,* Kottayam: DC Books, 2007.

Menon, K.P. Padmanbha, *A History of Kerala*, Ernakulam: Cochin Govt. Press, 1924-1937 (4 Vols).

Miller, R. E. (1992). *Mappila Muslims Of Kerala, The: A Study In Islamic Trends.* New Delhi: Orient Longman, 1992.

Miller, Ronald. E., *Mappila Muslims of Kerala,* Madras: Orient Longmans, 1976.

Miller, Ronald. E., *Mappilas of Malabar: A study of Islamic Trends,* Bombay, 1976.

More, JBP., *Origin and Early History of the Muslims of Kerala 700AD- 1600AD*, Calicut: Other Books, 2011.

Nasr, Sayyed Hossein., *Traditional Islam in the Modern World*, London: KPI Limited, 1987.

Noorani, A., *Muslims of India.* New Delhi: Oxford University Press, 2003.

Rahman, Fazlur., *Islam and Modernity: Transformation of an intellectual Tradition*, Chicago and London: The University of Chicago Press, 1984.

Rahman, Fazlur., *Revival and Reform in Islam*.

Randathani, Dr. Husain., *Mappila Muslims: A Study on Society and Anti-colonial Struggle.*

Robinson, Francis., *Islam and Muslim History is South Asia*, New Delhi: Oxford University Press, 2000.

Safi, Omid, *Progressive Muslims: On Justice, Gender, and Pluralism*, Ebsco Publishing, 2003.

Samad M, Abdul., *Islam in Kerala, Groups and Movements in the 20th Century*, Kollam, Laural Publication, 1998.

Sikand, Y.,'*Bastions of the Believers: Madras as and Islamic Education in India*.New Delhi: Penguin Books India, 2005.

Slapak, Orpa., *The Jews of India: A Story of Three Communities,* Jarusalem: The Israel Museum, 2003.

Watt, William Montgomery, *Islamic Philosophy and Theology, Edinburgh: Edinburgh University Press, 1985.*

Winder, R. Bayly., *Saudi Arabia in the Nineteenth Century*, New York: St. Martin's Press, 1965.

الكتب الملايالمية

Abdul Qadir Musliyar, M. A., *Samasthayude Charithram,* (History of Samastha), Calicut: SYS Books, 2002.

Abu, O, *Arabi Malayala Sahitya charithram* (History of Arabi-Malayalam Literature), Kottayam: Sahitya Pravarthaka, 1970.

Ali, K.K., *Moonnu Muslim Parishkarthakkal* (Three Muslim Reformists) Calicut: Islamic Publishing House, 1996.

Alqadiri, Dr. Shamshullah., *Praajeena Malabar,* (Ancient Malabar*).*

Bahauddeen, Prof: K.M., *Kerala Muslimkal Cheruthu Nilpinte Charithram* (History Of Muslim Resistance In Kerala), Calicut: Islamic Publishing House, 1995.

Faizi, P.M., (2002). *Samasta,* Kottakkal: Prakasham Publication, 2002.

Ganesh, D. K., *Kerala Samooha Padanangal* (Kerala Social Lessons), Pathanam Thitta: Prasakti Book House, 2002.

Gangadaran, M., *Mappila Padanangal* (The Mappila Lessons), Calicut: Vachanam Books, 2004

Gundert, Dr. Herman, *Kerala Pazhama,* Kerala Pazhama or History of Malabar form 1498 -1531, Calicut: Mathrubhumi Press, 1996.

Kareem, K. A., & Moulavi, C. A., *Mahattaya Mappila Sahitya Parambaryam* (The great Literary Legacy of Mappilas). Calicut: Azad Book Stall, 1979.

Kareem, K.K.Muhammad., *Maqti Thangalude Sampoorna Kritikal* (Complete Work of Maqti Thangal), Calicut, 1982,

Kareem, K.K.Muhammad., *Sayyid Sanaullah Maqti Thangal,* Tirur, 1981.

Kareem, M. K. (1997). *Makti Tangalude Jeeva Charitram* (Biograpy of Makti Thangal), Calicut: Yuvatha Book House, 1997.

Koya,P. M., *History of Calicut,* Calicut: Focus Publications, 1994.

Kunju, D. A., *Mappila Muslims of Kerala.* Tiruvanandapuram: Sandhya Publications, 1989.

Kuruppu, Dr. K. K. N., *Arakkal Rajavamsam* (The Arakkal Dynasty), Calicut: Poonkavanam Books.

Kutty, T. V. Adburahiman., *Ponnani Paithrakavum Navothanavum* (Ponnani Heritage and Reformation), Calicut: Poonkavanam Books.

Lakshmi, Dr. L. R. S., *Malabar Muslimkal* (The Malabar Muslims), Kottayam: Poorna Publication, 2014.

Mandalamkunnu, Zainudheen., *Mappila Samara Charithra Paadangal* (Historical Lessons of Mappila Struggle), Calicut: Al Huda Books.

Manu Musliyar, K., *Samasthayum Keezhgadakangalum* (The Samastha and its subdivisions) , Calicut: Shifa Book Stall, 2004.

Moidu Moulavi, E., *Atmakatha* (Autobiography), Kottayam, 1981,

Moidu Moulavi, E., *Ente Koottukaram* (My Friend), Trichur, 1964.

Muhammad Koya, P.P. Parappil., *Kozhikkode Muslimkalude Charithram* (History of Kozhikode Muslims), Kozhikode: Focus Publications, 1994.

Muhammad, P.A. Said, *Kerala Muslim Charithram* (History of Kerala Muslims), Thrissur, 1969.

Muhammed, T., *Islamile Navothana Prasthanangal* (Reformative Movements in Islam), Calicut: Islamic Publishing House.

Muhammed, T., *Mappila Samudayam: Charithram, Samskaram* (The Mappila Community: History, Culture), Calicut: Islamic Publishing House.

Panickasseri, Velayudhan, *Kerala Charithra Padanangal* (Lessons of Kerala History), Kottayam: Current Books, 1998.

Pillai, Suranad P. N. Kunjan., *Malabar in the Eye of Travelers*.

Poolappoyil, Basheer Salafi., *Kerala Muslim Navothanam: Charithravum Varthamanavum* (Kerala Muslim Reformation: History and present), Feroke: Ahlussunna Publication.

Qadir, Koduvalli Abdul., *Samastha: Mullakkoya thngal muthal Shmsul Ulama Vare* (Samastha: From Mullakkoya to Shamsul Ulama), Kozhikode: Ma'adinul Bayan Students Association, 1990.

Sayed, M., *Kerala Muslim Charithram,* (History of Kerala Muslims), Calicut: Al-Huda Books Stall, 1951.

Thenveer, Musthafa., *Sanaulla Maqti Thangal: Probhodhakanum Parishkarthaavum* (Sanaulla Maqti Thangal: Preacher and Reformer), Calicut: KNM Books.

Vallikkunnu, Balakrishnan., *Mappila Samskarathinte Kanappurangal* (Beyond the Mappila Culture), Calicut: Capital International Publishers, 2000.

المجلات وإصدار خاصة من الدوريات

الشيخ محمد رشيد رضا "التربية والتعليم". مؤتمر التربية والتعليم الإسلامي بالهند. المطبعة الأحمدية. النشرة الحادية عشر. الهند. 1912 م

الشيخ محمد رشيد رضا **مجلة المنار**، القاهرة، صفر 1331 هـ، جزء 16، وصفر 1348 هـ، جزء 3، ورمضان 1351 هـ، جزء 32.

محمد خروبات "الإصلاح السياسي عند محمد رشيد رضا"، مجلة إسلامية المعرفة. العدد 26.

"Jamal ad-Din al-Afghani." Encyclopædia Britannica. 2005. Encyclopædia Britannica Online. 5 Oct. 2005 <http://search.eb.com/eb/article-9043289>.

Farook College Golden Jubilee. Souvenir, Farook College, Calicut.

Islamika Vigjana Kosham (Islamic Encyclopedia) Vol. 1, Islamic Publishing House, Kozhikkode, 2001.

Jamiyyathul Mujahideen 40th Annual Souvenir, 1983, ed. E.K.M Pannur.

Journal of the Society for Qur'anic Studies, Number 1, Volume 1, 2001.

Kaalpatukal, Samastha Jubilee Souvenir, SKIVB, May 2002.

Kerala Muslim Navothana Charithram, Prabhodhanam Special Issue, April 1998.

Maqdhum and Ponnani, Souvenir published by Ponnani Juma Masjid Committee in 1998.

Muallim Sammelanam Smaranika 1993, Samastha Kerala Jam'eyyat ul-Muallimeen State committee. 1993.

Mujahid Jilla Sammelanam, Souvenir, 2003.

Mujahid State Conference '02 Souvenir, Calicut, 2002.

Mujahid State Conference '98 Souvenir 1998.

Panditha Keralam, Samastha Keral Jam'eyyt ul-Ulama, Calicut, 1997.

'Probhodhanam' 50th year special – Jama'ate Islami 50th Annual Edition, March 1992, ed. Shaikh Muhammad Karakkunnu, Kerala Jamaate Islami, Calicut.

Samad, M.Abdul., 'Muslim Reformist Movements in Kerala; Work of Sayyid Sanaulla Makthi Thangal', *Proceedings of South Indian History Congress* 12th Annual Section, 1991.

Samastha 60th Anniversary Souvenir, 1985.

Samastha Kerala Sunni Jam'eyyat ul-Muallimeen Tenth Anniversary Souvenir, Kozhikkode: Sunni Jamiyyathul Muallimeen, 2001.

Samastha Sammelana Special, Feb 1961

Shabab Seminar Edition '97, ed. Cheriyamundam Abdul Hameed, Calicut: Shabab Publishers, 1997.

Shabab Seminar Special Issue, 1997.

Sharafudhin, S., 'Vakkom Maulavi- A Pioneer Journalist of Kerala', *Journal of Kerala Studies* Vol. VIII, 1981.

Sikand. Y (2004) Madrasa and Arabic Colleges in Contemporary Kerala'. The Milli Gazette.Vol. 22, No. 8, August 2004

Souvenir Of Samastha Kerala Jam'eyyat ul-Mu'allimeen State Conference 1993.

Sunni Yuvajana Sangham Golden Jubilee Review '05, SYS State Committee, Calicut.

Sunni Yuvajana Sangham Golden Jubilee Souvenir 2004, CE. C. Muhammad Faizi.

Sunni Yuvajana Sangham State Conference Souvenir, 1989, CE. C. A. Paramaba Kadavu.

Sunni Yuvajana Sangham Malappuram District Conference Souvenir, 1990

Vyathiyanathinethire, Samastha Malappuram District Conference 98, SKSSF Malappuram, CE, Shahul Hameed Melmuri.

Wadi Nur, SKSSF State Conference Souvenir 1999,

مواقع الإنترنت

www.ismkerala.in

www.jihkerala.org

www.knm.org

www.marefa.org

www.markazonline.com

www.samastha.info

www.sirajulhudaonline.com

www.syssstatecommittee.com

www.vmft.org

* * * * *

Islamic Reformative Movements in Kerala: with Special Focus on the Thoughts and Writings of Sheikh Muhammad Rasheed Rida

Thesis Submitted to Jawaharlal Nehru University
in partial fulfillment of requirements for
the award of the Degree of

DOCTOR OF PHILOSOPHY

By
JAFAR. M

Under the Supervision of
PROF. RIZWANUR RAHMAN

Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi – 110067
2019